الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أكثر الكتب مبيعاً
ترجمت إلى 27 لغة

@ketab_n
Follow Me
14.5.2016

تائهون في أستراليا

LOST & FOUND

رواية
ستضحكك،
وتبكيك،
وتجعلك أكثر
حكمة

بروك دايفيز

BROOKE DAVIS

تائهون في أستراليا

LOST & FOUND

بروك دايفيز

Brooke Davis

ترجمة

أفنان محمد سعدالدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

Twitter: @ketab_n

تائهون
في أستراليا
LOST & FOUND

Twitter: @ketab_n

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Lost & Found
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Penguin Group (USA) LLC
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2015 by Brooke Davis
All rights reserved
Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: 1436 هـ - 2015 م

ردمك 978-614-01-1564-4

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**
التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

Twitter: @ketab_n

1

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

كان الكلب رامبو، كلب بطلة قصتنا ميلي، الكائن الأول الذي دونته في لائحة كائناتها الميتة. فعندما عثرت عليه إلى جانب الطريق صباح يومٍ غائمٍ مكفهرٍّ، بدت فيه السماء كأنها توشك أن تنطبق على الأرض والضباب يكتنف جسده المهشّم كالشبح، نظرت إليه ووجدت فكيه وعينيه مفتوحين على وسعهما كأنه يهم بالنباح. أما قائمته الخلفية اليسرى، فقد بدت ممدودةً في اتجاه غريب ليس من عادته أن يمدها إليه. راح الضباب يرتفع من حوله شيئاً فشيئاً، وتراكمت السحب في السماء، فتساءلت ميلي إنْ تحوّل كلبها إلى مطرٍ.

في اللحظة التي دخلت فيها إلى البيت وهي تجر رامبو الذي وضعته داخل حقيبتها المدرسية، خطر ببال والدتها أن تحدثها عن الطريقة التي تمضي بها هذه الحياة.

رفعت صوتها لتغطي على صوت المكنسة الكهربائية وهي تكنس غرفة الجلوس وقالت: *لقد ذهب إلى مكانٍ أفضل.*

– *مكانٍ أفضل؟*

ماذا؟ نعم، إلى النعيم، يا حبي، ألم تسمعي به؟ ألا يعلمونكم أيّ شيء في تلك المدرسة اللعينة؟ ارفعي ساقيك! إنه نعيم الكلاب حيث يحصلون على بسكويت الكلاب إلى الأبد، ويمكنهم قضاء حاجتهم حيثما يريدون. حسناً، أنزلي ساقيك الآن. قلت لك أنزلي ساقيك! نعم، إنهم يقضون حاجتهم ويتناولون بسكويت الكلاب، وهذا كل ما يفعلونه، فهم يأكلون ويركضون في الأنحاء ويمرحون ويستمتعون بأوقاتهم.

Twitter: @ketab_n

استغرقت ميلي لحظةً لتستوعب مغزى الكلام، ثم سألت: *لماذا إذاً يضيّعون وقتهم في العيش هنا؟*

- *ماذا؟ حسناً، يجب عليهم أن يستحقّوا هذا النعيم. ولا بدّ لهم من البقاء هنا فترةً من الزمن إلى أن يتم اختيارهم للانتقال إلى مكانٍ أفضل.*
- *إذاً، رامبو الآن انتقل إلى كوكب آخر؟*
- *حسناً، نعم، نوعاً ما. أعني... ألم تسمعي فعلاً عن النعيم؟*
- *هل يمكنني الوصول إلى كوكب رامبو الجديد؟*

أطفأت أم ميلي المكنسة الكهربائية وأمعنت النظر إلى ابنتها، ثم قالت: *فقط إن كنت تملكين مركبةً فضائية. هل لديك مركبةٌ فضائية؟*

أطرقت ميلي، *وأجابت: كلا.*

- *حسناً، إذاً لا يمكنك الوصول إلى كوكب رامبو الجديد.*

بعد أيام عدة، اكتشفت ميلي أن رامبو لا يعيش في كوكب جديد بكل تأكيد، بل إنه في الواقع قد دفن على عجلٍ في حديقتهم الخلفية تحت بعض أوراق الصحف. رفعت ميلي الصحيفة بحرص، ورأت رامبو وقد تحوّل جيفةً منكمشةً ومتآكلة، وبدأت تتسلّل إلى هناك كل ليلةٍ لتجلس إلى جانب جيفته بينما هو يتحلل شيئاً فشيئاً متحوّلاً إلى لا شيء.

أما ثاني كائن من كائناتها الميتة، فقد كان رجلاً مسنًّا لقي حتفه بحادث تصادم. فبعد أن صدمته السيارة، نظرت إليه وهو يطير في الجو، وظنت أنها رأته يبتسم. سقطت قبعته على قمة شاخصة مرورية بينما تراقص عكّازه حول مصباح الشارع. وبعد ذلك، تصدّع

Twitter: @ketab_n

جسده على السياج الحجري. شقت طريقها عبر سيقان الناس المتجمهرين حول الرجل وعلامات الاستفهام تعلو وجوههم، وركعت إلى جانب وجهه، ونظرت بعمقٍ إلى عينيه. فعاود الرجل النظر إليها بجمودٍ كأنه مجرّد رسمٍ بقلم الرصاص. مرّرت أصابعها على تجاعيد وجهه متسائلةً عن سبب وجودها.

بعد ذلك، رفعها أحدهم ليبعدها عنه، وطلب منها أن تغمض عينيْها لأنها مجرد *طفلة*. فسارت إلى البيت بمفردها كل الطريق وهي تفكر في أن الوقت ربما قد حان لتسأل والدها عن فردوس البشر.

هناك، يا قزمتي الصغيرة، فردوس، وهناك جحيم. فالجحيم هو المكان الذي يذهب إليه كل الأشرار مثل المجرمين وأفراد العصابات ومفتشي ركن السيارات. أما الفردوس، فهو المكان الذي يذهب إليه الطيبون مثلك ومثلي ومثل تلك الفتاة الشقراء الجميلة التي تظهر في برنامج الطبخ التلفزيوني ماستر شيف.

سألت ميلي والدها: *إلى أين تذهب إن كنت صالحًا وسيئًا في الوقت نفسه؟*

- *ماذا؟ لا أعرف، ربما إلى متجر إيكيا؟*
- *هلا تساعدينني على صنع مركبة فضائية.*
- *انتظري، يا قزمتي الصغيرة. هل يمكننا أن ننهي هذا الحديث أثناء الفاصل الإعلاني التالي.*

سرعان ما لاحظت ميلي أن كل شيء من حولها يموت. الحشرات والبرتقال وأشجار الزينة والبيوت وصناديق الرسائل والقطارات والشموع والمسنّون والشباب ومتوسطو الأعمار. ومع ذلك، فلم يدر في خُلْدِها أنها بعد أن سجلت سبعة وعشرين مخلوقاً في كتاب الأموات؛

Twitter: @ketab_n

عنكبوت وطير وجدّها وقطة الجيران غيرترود من بين كائنات أخرى كثيرة، أن والدها سينضم إلى هذه المخلوقات الميتة أيضاً، وأنها ستدون اسمه إلى جانب الرقم ثمان وعشرين بأحرفٍ ضخمةٍ تحتل مساحة صفحتين: *والدي*، وأنها ستظل لبعض الوقت لا تعرف ما تفعل باستثناء التحديق إلى الأحرف، إلى أن تصبح عاجزة عن تذكّر ما تعنيه، وأنها ستفعل هذا على ضوء المصباح الكشاف جالسةً في الممر بجانب غرفة نوم أبويها وهي تصغي إلى صوت أمها التي تتظاهر أنها نائمة.

أول يوم من أيام الانتظار

عندما كانوا يلعبون لعبة "نقطة لنقطة"، تعوّدت ميلي دائماً أن تؤدّي دور النقطة الأولى بينما تؤدّي أمها دور النقطة الثانية وأبوها الثالثة. فكان هناك خط يخرج من بطن النقطة الأولى ويلف نفسه حول النقطة الثانية ثم الثالثة ثم يعود من جديد ليشكّل مثلّثاً. وكانت ميلي تجري في أنحاء البيت وخصلات شعرها الحمراء المجعّدة تتقافز حول رأسها، بينما يتخذ المثلّث بينها وبين والدها طريقاً لولبياً حول الأثاث. فإنْ قالت لها أمها: *هلا تكفّين عن هذا، يا ميليسينت*. زمجر المثلّث متحوّلاً إلى ديناصورٍ عملاق. وإنْ قال لها أبوها: *تعالي واجلسي بجانبي، يا قزمتي*، التفّ المثلّث على شكل قلبٍ ضخمٍ نابض: باااا بووووم باااا بووووم، هكذا كانت قمس وهي تتحرك بارتباك على نغمته ثم تندس بين النقطة الثانية والثالثة على الأريكة. ويمسك النقطة الثالثة بيد النقطة الأولى ويغمز لها بعينه بينما تضيء الصور التي تومض من جهاز التلفزيون وجهه.

*

Twitter: @ketab_n

في يومها الأول من أيام الانتظار، تقف ميلي حيث تشير لها والدتها إلى جانب رفّ الملابس الداخلية النسائية مقابل مانيكان يرتدي قميص هاواي مزركشاً. تقول أمها: *سأعود في الحال*، فتصدّقها ميلي، ترتدي النقطة الثانية حذاءها الذهبي، ذلك الذي يجعل صوت وقع خطواتها كدوي الانفجارات. فتمشي نحو قسم العطور وتتخطّى الملابس الرجالية ثم تتوارى عن الأنظار. وينشدُّ الخط بين النقطة الأولى والثانية، فتراقبه ميلي وهو يصبح أرفع وأرفع إلى أن يتحول إلى مجرد خدشٍ صغيرٍ في الهواء.

من الآن فصاعداً، ستنطبع في ذاكرة ميلي صورة أمها التي تبتعد وتصبح أصغر فأصغر. وستعاود هذه الصورة الظهور في مخيّلتها في أوقاتٍ مختلفةٍ عبر مسار حياتها: عندما تقول شخصية في أحد الأفلام: *سأعود في الحال*، وعندما تنظر إلى يديها وهي في العقد الرابع من عمرها ولا تعود تميّز أنهما جزء منها، وعندما يكون لديها سؤال غبي ولا تستطيع أن تفكر بأي شخص في العالم لتطرحه عليه، وعندما تبكي، وعندما تضحك، وعندما تأمل حدوث شيء ما، وعندما تتأمّل الشمس وهي تختفي داخل الماء، سيتملّكها شيء من الفزع من دون أن تدرك السبب في ذلك. وستجعلها الأبواب الأوتوماتيكية لمراكز التسوّق دائمة القلق. وعندما يلمسها صبي بشكل ملائم للمرة الأولى في حياتها، ستتخيّله يتلاشى في الأفق بعيداً، بعيداً عن متناول يدها.

ولكنها لا تعرف أيًّا من هذه الأمور بعد.

فكل ما تعرفه الآن هو أن ساقيها تؤلمانها من الوقوف. فتخلع حقيبة ظهرها، وتزحف تحت رف الملابس الداخلية النسائية. قالت

Twitter: @ketab_n

لها أمها إن هناك نساءً لا يستطعن رؤية سيقانهن لأنهن يلتـــهمن دلاءً كاملةً من الدجاج. فربما صُمّمت هذه الملابس الداخلية لهن. لم تـــرَ ميلي قط دجاجاً يُقدّم في دلاء. فتقول بصوتٍ مرتفعٍ وهي تلامـــس الملابس بنعومة: *ولكنني آمل ذلك يوماً ما*.

يعجبها المكان هناك تحت الملابس الداخلية الضخمة، فهي معلّقة فوق رأسها قريباً منها بحيث أنها تتنفّس رائحتها. تفتح حقيبة الظهـــر خاصّتها وتخرج إحدى عبوات العصير التي وضعتها لها أمها. تمـــصّ العصير بالقشّة وتراقب من الشقوق بين الملابس الداخلية المعلّقة أقداماً ذاهبة لتتمشّى، بعضها ذاهب إلى مكان ما وبعضها الآخر يسير على غير هدىً، بعضها يرقص وبعضها يتحرك أو يجرّ نفسه جرًّا أو يصدر صوت صرير، أقدامٌ صغيرةٌ وأقدامٌ كبيرةٌ وأقدامٌ ما بين هذا وذلـــك، أحذية رياضية وكعوب عالية وصنادل، أحذية حمر وأحذيـــة ســـود وأحذية خضر، ولكن لا أحذية ذهبية ولا وقع خطـــوات كـــدوي الانفجارات.

تمر جزمةٌ مطاطيةٌ زرقاء فاقعةٌ متهاديةٌ من أمامهـــا. فتنظـــر إلى فردتي حذائها وتقول: *أعلم أنكما تشعران بالغيرة، ولكن يجب علينا أن نبقى هنا كما قالت أمي*. تمد عنقها لتتفرّج على الجزمة المطاطيـــة وهي تقفز على طول الممر متّجهاً نحو قسم الألعاب. فتقول: *حسناً*. وتخرج كتاب الأشياء الميتة من حقيبتها المدرسية وتمزّق صفحة منـــه وتكتب عليها: *إلى أمي، سأعود في الحال*. وتطويها نصفين وتضعها على الأرض تماماً حيث أشارت لها أمها أن تنتظرها.

تأخذ حذاءها المطاطيّ في نزهةٍ صاعدةً نازلـــةً علـــى الـــدّرج الكهربائي. في البداية تمشي، ثم تقفز، ثم تثب وتلوّح بيديها كالملكة.

Twitter: @ketab_n

وبعد ذلك، تجلس عند القمة متأمّلة الدرجات وهي تبتلع نفسها. وتسأل حذاءها المطاطيّ: *ماذا يحدث إن لم تسطّح الدرجات نفسها في الوقت المناسب؟* وتتخيل الدرجات تتدفّق على الدرج الكهربائي ثم تتّجه إلى الممرات. تحاول أن تنظر إلى عيني كل شخص يمر بجانبها. وتلعب لعبة الغميضة مع صبي لا يعرف أنه يلعب. وعندما تعلمه ميلي أنه تم العثور عليه، لا يرد بل يسألها لماذا يبدو شعرها بهذه الهيئة ويقوم بعمل حركات لولبية بسبابته.

ترد عليه قائلة: *إنها راقصات باليه تقفز عن رأسي في الليل وتقدّم لي عروضاً راقصة.*

فيعبس في وجهها ويحطّم لعبة باربي بتهوُّرٍ على أحد المحولات ويحدث صوت نفخ بفمه وهو يقول في الوقت نفسه: *ليست كذلك.*

تجلس ميلي على أرض غرفة تغيير الملابس المخصّصة للسيدات، وتقول لامرأةٍ وهي تدور حول نفسها أمام المرآة كأنها تحاول أن تحفر الأرض وتختفي فيها: *أعرف أين يمكنك العثور على بعض الملابس الداخلية.* فتقول المرأة: *عفواً، من أنتِ؟* فتهزّ ميلي كتفيها. ترى سيدتين تتحدثان معاً من خلف باب إحدى غرف الملابس، وتستطيع أن ترى أقدامهما من الفراغ بين الأرض والباب؛ أقدام حافية وجزمات مطاطية لامعة. يبدو على إحدى الجزمات اللامعة أنها تقول للأخرى: *لا تسيئي فهمي، ولكن هل تظنين فعلاً أن المرجاني لون مناسب لك؟* فتنطوي الأصابع في القدم الحافية تحتها ولسان حالها يقول: *ظننت أنه لون زهري.*

تنتظر ميلي مع الرجال الجالسين على كراسيّ خارج غرف تغيير الملابس بانتظار النساء اللواتي يختلسن الأنظار من خلف

Twitter: @ketab_n

الحقائب وأكياس التسوُّق كالحيوانات المرعوبة. تبدو الجدران القريبة مغطاةً بصورٍ ضخمةٍ لبناتٍ يضحكن ويعانق بعضهن بعضاً. فيسترق الرجال المنتظرون النظر إليها. يخطر ببال ميلي أن الملابس الداخلية الضخمة ربما كانت مصمّمة لتناسب قياس هؤلاء الفتيات الضخمات.

تجلس على أحد الكراسي إلى جانب رجلٍ أصلع يقضم أظافره، وتسأله: *هل رأيتَ من قبل دجاجاً يُعبّأ في دِلاء؟*

يضع الرجل يده على ركبته وينظر إليها بطرف عينه، ويقول: *إنني أنتظر زوجتي وحسب، يا صغيرتي.*

تقف تحت مجفّفات الأيدي في الحمام لأنها تحب الشعور الذي يتركه الهواء عندما يهب على شعرها، كأنها تمد رأسها من نافذة السيارة في الطريق السريع، أو كشعور سوبرمان وهو يلفّ حول الأرض. كيف يعرف مجفّف الأيدي متى يبدأ العمل حالما تمد يديك نحوه؟ إن هذا مدهش، ولكن النساء في المرحاض لا يلاحظن ذلك، بل يقمن بمجرد التحديق إلى أنفسهن في المرآة بفزع، محاولات أن يكتشفن عيوبهن قبل أن يكتشفها أحد.

وبينما تجلس الآن خلف أصيص نباتات الزينة على أطراف مقهى السوق التجارية، تراقب البخار وهو يتصاعد من فنجاني القهوة. وترى رجلاً يشبه شخصية سانتا تجلس قبالته سيدة ذات خدين شديدي الحمرة وهما منحنيان أحدهما نحو الآخر فوق فنجاني قهوتهما، لا يتفوهان بأي كلمة، ولكن البخار المتصاعد من القهوة في فنجانيهما يتعانق ويتراقص حول وجهيهما وفوق رأسيهما. يتناول الرجل قهوته من دون أن ينظر إلى زوجته، وبخار قهوته يرسم أجمل

Twitter: @ketab_n

الأشكال في الهواء. لم ترَ ميلي في حياتها أشكالاً كهذه. هل هنـــاك أشكال أخرى لتصنعها؟ أما الرجل الذي لديه أطفـــال مزعجـــون، فقهوته تشهق وتزفر محدثةً آهاتٍ طويلةً توحي بالإرهاق.

هناك رجل جالس في الزاوية يشبه وجهه لحاء الشجر، يرتـــدي بذلة أرجوانية ويستعمل حمالتيْن حمراويْن ويحمل فنجان قهوته بكلتا يديه كأنه بذلك يمنعه من التحليق مبتعداً عنه. تقف ذبابة على النبتة إلى جانبها. فتهمس لحذائها المطاطي قائلة: *ماذا لو كان بوسع كـــل شيء أن يطير؟* وتراقب الذبابة وهي تقفز من ورقةٍ إلى أخرى. عندها يمكن لعشائك أن يطير إلى داخل فمك ويمكن للســـماء أن تصـــبح مغطاةً بالأشجار، ويمكن للشوارع أن تتبادل الأماكن، ولكن بعـــض الناس قد يصابون بدوار البحر ولن تعود الطائرات مميّزة بعد الآن.

ينفخ الرجل ذو الوجه الشبيه بلحاء الأشجار على قهوته بقـــوة لدرجة أن ينسكب السائل من حافّة الفنجان، فينقسم البخار نصفين وينطلق بعضه إلى الأعلى وبعضه الآخر إلى الأمام. يتأمّـــل الرجـــل فنجانه بعمقٍ لبضع دقائق ثم ينفخ فيه مرةً أخرى.

ينهض الرجل على قدميه، ولكنها تلاحظ أنه مضطر أن يســـند كلتا يديه على الطاولة ويدفع نفسه للأعلى بكـــل قوتـــه ليســـتطيع النهوض. وبعد ذلك، يمشي خارجاً من المكان مروراً بها. فتحـــاول ميلي أن تجعل نظرها يلتقي بنظره، ولكنه لا يرفع نظره إليها. تتبعـــه الذبابة إلى الخارج وهي تئز حول جسده، فيمد يده ويصفعها علـــى فخذه، فتسقط الذبابة على الأرض.

تزحف ميلي على يديْها وركبتيْها نحو الذبابة وتضـــعها علـــى راحة يدها ثم ترفعها نحو وجهها وتغلق راحة يدها عليهـــا. تقـــف

Twitter: @ketab_n

متفرجةً على ظهر الرجل ذي الوجه الذي يشبه لحاء الشجر وهو يبتعد جارًّا قدميه خارجاً من المدخل الرئيس.

تُحضر ميلي حقيبتها المدرسية من تحت رف الملابس الداخلية النسائية. وتخرج مرطبانها الزجاجي المعد للحالات الطارئة وتضعه بين ساقيْها وتفتح الغطاء وتدخل الذبابة في المرطبان ثم تعيد إغلاق الغطاء وتخرج كتاب الكائنات الميتة وقلم التخطيط. وتكتب: رقم 29: *ذبابة في السوق التجارية*. تستطيع أن تقرأ كلمة *بابا* بالمقلوب من خلال الورق مكتوبةً بأحرفٍ كبيرة. وتربّت بقلم التخطيط حذاءها المطاطي ثم تمسك المرطبان وتقربه إلى وجهها. في الفراغ بين الملابس الداخلية، يبدو أن المانيكان ينظر إليها من فوق في الجهة الأخرى من الممشى. يرتدي التمثال قميصاً أزرق فاقعاً عليه أشجار نخيل صفر، وتبدو عيناه ضخمتيْن من خلال الزجاج كأنهما على بعد سنتيمترات من وجهها. تزيح بعض الملابس الداخلية جانباً بحيث يمكنها أن ترى ركبتيْه فقط.

تُمضي ميلي فترة العصر ممسكةً بالمرطبان وهي تجول ببصرها في الأنحاء بحثاً عن حذاء ذهبي. وعندما يتحوّل العصر ليلاً، يغلق المتجر أبوابه ويسود ظلام حالك في كل مكان، ويبدو أن العالم بأكمله يوصد أبوابه من حولها. تلصق وجهها بالنافذة وتضع يديْها حول عينيْها كالمنظار وتشاهد الناس وهم يمشون عائدين إلى سياراتهم مع أناس آخرين؛ أزواج وزوجات وصديقات وأصدقاء وأطفال وجدات وبنات وآباء وأمهات. ينطلق الناس جميعاً بسياراتهم ويرحلون إلى أن يصبح موقف السيارات خالياً تماماً لدرجة أن عينيْها تؤلمانها. فتعاود الزحف تحت رف الملابس الداخلية النسائية وتخرج

Twitter: @ketab_n

"سندويشة" من حقيبة ظهرها. وبينما هي تأكلها، تراقب المانيكان من خلال الفتحة بين الملابس الداخلية. فيراقبها بدوره. فتهمس له: *مرحبًا*، ولكن الصوت الوحيد الذي تسمعه هو الصوت المنبعث من لَمْبات خزانة العرض.

اليوم الثاني من أيام الانتظار

كانت ميلي تظن في الماضي أنه مهما يكن المكان الذي تستغرق فيه في النوم فإنها دائماً ستستيقظ في سريرها الخاص. كانت تنام على الطاولة أو على أرضية بيت الجيران أو في الطريق إلى أحد العروض، وعندما تستيقظ تجد نفسها تحت أغطية سريرها تنظر إلى سقف غرفة نومها، ولكنها ذات ليلة استيقظت ووجدت نفسها محمولةً من السيارة إلى البيت. نظرت إلى أبيها من خلال عينيْن نصف مغمِّضتيْن، وهمست له: *لقد كنتَ أنتَ من تفعل هذا طوال هذا الوقت*.

*

في اليوم الثاني من أيام الانتظار، تستيقظ ميلي على وقع حذاء بكعب عالٍ يتجه نحوها. تبدو قدماها بارزتين من رف الملابس حيث تمدّدتْ طوال الليل. تسحب ركبتيْها نحو صدرها وتعانقهما وتحبس أنفاسها وتراقب زوج الأحذية وهو يواصل مشيه إلى أن يتجاوزها. كليك كلاك... كليك كلاك... كليك كلاك. زوج من الأحذية أسود ولامع وأظافر حمر مصبوغة تخرج من مقدمته كأنها خناقس حمر تحاول الزحف إلى الداخل.

Twitter: @ketab_n

ترى ما الذي جعل أمها تتركها تحت رف الملابس الداخلية طوال الليل؟

تضع ميلي يدها على معدتها وتمعن النظر من خلال الفتحة بين الملابس الداخلية. إنها تعرف ما الذي قد يدفع أمها لتركها هناك، ولكنها لا تريد أن تفكر بالأمر، لذا فإنها تتجاهله وتنساه. لا يزال المانيكان ينظر إليها. تلوّح له تلويحةً حذرةً ثم تنطوي أصابعها واحداً تلو الآخر إلى أن تصبح قبضتها مشدودة، فهي ليست واثقة بعد من أنها تريد أن تصبح صديقته. تعاود ارتداء جزمتها المطاطية وتزحف تحت الملابس الداخلية وتنظر إلى الملاحظة التي تركتها على الرف الليلة الماضية.

هنا يا أمي.

تقسمها نصفين وتطويها ثم تدسها مرة أخرى داخل حقيبة ظهرها. يمشي الرجل ذو الوجه الذي يشبه لحاء الشجر نحوها، ويجر قدميه على طول الممر ويتجاوزها ثم يتّجه إلى المقهى. تتبعه ميلي وتراقبه من خلف أصيص النباتات. يجلس على الكرسي بطريقة توحي بأن الجلوس يؤلمه ويحدّق إلى قهوته، فتمشي ميلي نحوه وتضع يدها على يده.

تسأله: *هل رأيتَ دجاجاً يأتي معبأً داخل دِلاء؟*

ينظر الرجل إلى يدها ثم ينظر إليها ويجيب: *نعم.* ويسحب يده بعيداً عن يدها وينقر بأصابعه على الطاولة.

تقول ميلي: *حسناً؟* وتجلس على الكرسي مقابله، وتسأله: *كيف يبدو ذلك؟*

يجيب: *كما سمعت.*

تعض ميلي على شفتها السفلى وتسأله: *هل تعرف كثيراً من الكائنات الميتة؟*

Twitter: @ketab_n

يجيب: *كلها*. ويعاود النظر إلى قهوته.

- *كلها؟*

- *نعم*. ويسألها: *هل تعرفينها أنتِ؟* ويواصل النقر بأصابعه على الطاولة.

تقول: *نعم، أعرف تسعة وعشرين كائناً ميتاً.*

- *هذا عدد كبير.*

- *نعم.*

ينحني إلى الأمام ويسألها: *كم عمركِ؟*

تشبك ميلي ذراعيها وتسأله بدورها: *كم عمرك أنت؟*

- *أنا سألتكِ أولاً.*

- *هيا بنا نجبْ في الوقت نفسه.*

- *سبع وثمانون.*

- *سبع.*

يعاود الاستناد على كرسيه ويقول متسائلاً: *سبع سنوات؟*

تومئ ميلي برأسها وتقول: *ونصف السنة بل إنني في الواقع أكاد أبلغ الثامنة.*

- *أنتِ صغيرة السن.*

- *وأنتَ كبير السن.*

تظهر غمازتان على خديه. فيقول وهو ينقر بأصابعه على حمالتيه: *إن حذاءكِ المطاطي يلائم حمالتيّ.*

- *بل إن حمالتيْكَ هما اللتان تناسبان حذائي.* تنظر ميلي إلى يديه وتسأله: *لماذا تنقر بأصابعك عندما تتكلم؟*

يجيب وهو لا يزال ينقر: *إنني لا أنقر، بل أطبع.*

Twitter: @ketab_n

- *ماذا تطبع؟*
- *كلّ ما أقولُه.*
- *كلّ ما تقولُه؟*
- *كلّ ما أقولُه.*
- *وماذا عمّا أقولُه أنا؟*
- *لا أفعل ذلك.*

تقول مشيرةً إلى مافن موضوعةٍ أمامه: *هل ستأكل هذه؟*

يدفع طبقه نحوها.

تضع ميلي المافن في فمها ثم تسأله وفمها مليء، وهي تدفع فنجان القهوة نحوه: *لماذا لا تشرب قهوتك؟*

يجيب: *لا أريدها*. ويعاود دفع الفنجان نحوها.

تحيط ميلي الفنجان بيديها وتنحني فوقه وتشعر بالبخار المتصاعد على ذقنها، ثم تسأل: *لماذا طلبتها إذًا؟*

- *من اللطيف أن تحظي بشيء تطوّقينه بيديكِ.*

تبتسم ميلي وترفع قدميها على الكرسي وتسند ذقنها على ركبتيها. ترى على الطاولة مجموعة من المربعات البلاستيكية الصغيرة، كل واحد منها بحجم الأنملة، فتسأله قائلة: *ما هذه؟*

يهز كتفيه.

- *ألا تعرف؟*

يهز كتفيه مرة أخرى.

تستند ميلي على الطاولة، وتقول: *إنها مفاتيح كومبيوتر كتلك التي في لوحة المفاتيح في مدرستنا*، ثم تطوي ذراعيها، وتتابع: *ولكنها ليست لوحة مفاتيح.*

Twitter: @ketab_n

- نعم.
- إذاً فأنتَ تعرف.

يقول: هذه كلها شَرْطات مأخوذة من لوحات مفاتيح مختلفة.

ويستند على كرسيه ويسألها: هل تعرفين ما هي الشَرْطة؟

- ربما.
- إنها إحدى علامات الترقيم التي تضعينها بين كلمتين لتشكّلي منهما كلمة واحدة.
- مثل ماذا؟
- مثل... ويفكر لحظة.

تقول ميلي: حزين - سعيد؟

- ليس هكذا بالضبط.
- جائع - عطشان؟
- كلا. بل مثل يأخذ - خارجاً أو أزرق - العينين.
- ولكن ليس سعيد - حزين.
- كلا.
- أو جائع - عطشان.
- كلا.

تسأل ميلي: لماذا لديك كثير منها؟ تلاحظ أن هناك كثيراً من الشرطات مصفوفةً إحداها بجانب الأخرى في صفٍّ طويلٍ مستقيم.

يجيبها: إنني أجمعها.

- لماذا؟
- يجب عليّ أن أجمع شيئاً ما.

Twitter: @ketab_n

تفكّر ميلي بكتاب الأشياء الميتة الخاص بها. فتقول له: *إنني أجمع الكائنات الميتة*.

يومئ برأسه لها.

تواصل النظر إلى عينيْه وهي تمد سبابتها نحو الأمام وتحرك أحد المفاتيح خارج الصف، فيصبح معلّقاً فوق بقية المفاتيح في زاوية. لا يحرك الرجل ذو الوجه الذي يشبه لحاء الأشجار ساكناً، فتقول له: *إنها تأتي بين الأرقام أيضاً وليس بين الكلمات فقط*. وتنقر على مفتاح آخر وتمرِّره على طول الطاولة ثم تتوقّف عند الحافة. يأخذ الرجل نفساً ويشاهده وهو يترجّح ثم يسقط في حضنه.

يقول: *لا تفعلي هذا*. ويلتقطه ويعيده إلى مكانه في الصف.

- *من أين أتيت بها كلها؟*
- *استعرتها*.
- *ممّن؟* وتلاحظ ميلي وجود مفك مفاتيح بارزٍ من جيب سترته.

يضع يده على المفك ليحجبه عن أنظار ميلي. ويقول وهو يبتسم نصف ابتسامة: *لا أحد يشك برجلٍ مسن. فنحن خفيّون نوعاً ما*.

- *ما اسمكَ؟*
- *كارل طابع الآلة الكاتبة. وما اسمكِ أنتِ؟*
- *ميلي فقط*.
- *أين أمك، يا ميلي فقط؟*
- *إنها قادمة، وهي تنتعل حذاءً ذهبياً*. وعندما تتفوّه بكلمة حذاء ذهبي، تشعر ميلي بالنقطة الثانية تشدها. فتضع

Twitter: @ketab_n

يدها على معدتها وتتحرك في مقعدها ثم تضع مرطبان الذبابة على الطاولة وتقول: *لقد قتلت كائناً بالأمس.*

يمسك كارل بالمرطبان الزجاجي ويتفحّصه، ثم يقول: *أحقًّا فعلتِ؟* وينقر بأصابعه على الزجاج.

تومئ ميلي وتقول: *سأقيم لها جنازة.*

*

كانت أول جنازة أقامتها ميلي لعنكبوتٍ سحقها أبوها بحذائه. فقد راحت أمها تقفز من قدم إلى أخرى وتقول: *إنْ لم تسحق هذه العنكبوت، يا هاري، فسوف أسحقك.* نهض والدها عن كرسيِّه وخلع حذاءه وضرب به العنكبوت.

واحد.

اثنان.

ثلاثة.

أربعة.

فانزلقت العنكبوت عن الجدار وهبطت على الأرض. فالتقطها أبوها ورمى بها من الباب الأمامي ثم جلس واستأنف مشاهدة التلفزيون. غمز لميلي من الطرف المقابل للغرفة. فلم تستطع ميلي أن تجبر نفسها على أن تغمز له بالمقابل.

راقبت والدها يشاهد ثلاثة برامج كاملة قبل أن تقول أي شيء.

قالت عندما أخذت الأسماء تُعرض على الشاشة: *هل يمكننا أن نقيم جنازة للعنكبوت؟ كما فعلنا لجدتي.*

Twitter: @ketab_n

قال أبوها وهو يقلّب المحطات: *إن الجنائز للناس فقط وربما الكلاب.*

- *ماذا عن الأحصنة؟*

أجابها وهو يشاهد إعلاناً لنوع من الفيتامينات يقدمه أحد الرياضيين: *والأحصنة أيضاً.*

- *والقطط؟*

- *والقطط.*

- *والأفاعي؟*

- *كلا.*

- *لماذا؟*

لأن... ظهرت على الشاشة صورة لإحدى السيارات تمشي متعرِّجة على طول طريقٍ جبليٍّ جميلٍ وفيها عائلة يبتسم بعضها لبعضٍ، وكلهم ذوو أسنانٍ لامعة.

- *والأشجار؟*

- *كلا.*

- *لماذا؟*

- *لأن...*

- *والديدان؟ والكواكب؟ والثلاجات؟*

قال لها: *ميلي! البشر... وربما الحيوانات الكبيرة، وهذا كل ما في الأمر.*

- *لماذا؟*

- *عندئذ، ستظلين تقيمين جنازات طوال اليوم وكل يوم. ولا يمكننا أن نفعل ذلك.*

Twitter: @ketab_n

- لماذا؟

أجابها: *لأن هناك أشياء أخرى يجب أن نقوم بها*. ظهر رجل على الشاشة وراح يطلق على مسامعها كلاماً عن الهواتف النّقالة.

في تلك الليلة، ملأت حقيبة ظهرها بكل شيء تحتاج إليه وأخذت ضوءاً كشّافاً من تحت سريرها وتسلّلت من الباب الأمامي. عثرت على العنكبوت مرميّةً على العشب قرب مدخل السيارات وأمسكتها بكلتا يديها. فبدا شكلها الآن مختلفاً؛ أصغر حجماً وأفتح لوناً بعد أن جفّفتها الشمس. راح نسيم الليل يدور حول يديها وأخذت العنكبوت تدغدغ راحتيها.

رفعت نسمة قوية العنكبوت وطيرتها من يدها. فركضت ميلي خلفها وراقبتها وهي تحوم عالياً فوق رأسها. طارت عبر الهواء، وأمام النجوم، وفوق باحتها الأمامية، وإلى الشارع، وعبر الطريق، وإلى آخر الشارع، وإلى ساحة فارغة أضاء القمر جوانبها. بدا على الليل برمته أنه أصبح مغطّى بعناكب مضاءةٍ بضوء القمر، معلّقةٍ في السماء السوداء المظلمة.

وعندئذ، سرعان ما توقّفت النسمات وسقطت العنكبوت على الأرض كشهابٍ مضيء.

بزغت شجرة في وسط الساحة الفارغة، فكانت أكبر شجرةٍ شاهدتها في حياتها، أكبر بكثير حتى من والدها. وضعت العنكبوت في حقيبتها وتسلّقت الشجرة حتى قمّتها. فبدا القمر قريباً جداً حتى شعرت أنها قادرة على لمسه بيدها. امتطت غصن الشجرة وأسندت ظهرها إلى جذعها وأخرجت العنكبوت من حقيبة ظهرها ومرطباناً قديماً وكرةً من الخيوط وشمعةً وعيدان كبريت وقطعةً من الورق المقوّى.

Twitter: @ketab_n

ألقت ميلي نظرةً أخيرةً على العنكبوت قبل أن تضعه في المرطبان فوق بعض المناديل الورقية. أشعلت الشمعة ووضعتها معه ثم لفت خيطاً حول قمة المرطبان وعقدت طرفه ثم أدخلت طرفه الآخر من خلال ثقب في قطعة الورق المقوّى. ربطت الخيط حول غصن الشجرة، فأصبح المرطبان متدلياً من الغصن كالقنديل. وراح يتمايل قليلاً كلما تحركت الشجرة بفعل هبوب الريح. كتبت على اللافتة الكرتونية: عنكبوت ؟! - *2011* بأحسن خط استطاعت أن تخطّه.

مرّرت ميلي أصابعها على الخط بين علامة الاستفهام وتاريخ وفاة العنكبوت، إلى الأمام والخلف ثم إلى الخلف والأمام. فكّرت أن ذلك غريب لأن هذا الخط، الطويل المستقيم هو كل ما تبقّى من حياتها.

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

إليكم ما يعرفه كارل عن الجنائز:

لم يفاتح كارل إيفي بأمر جنازتها مطلقاً. ولماذا يفعل ذلك؟ فقد وجد صعوبةً كبيرةً في التفوّه بتلك الكلمات التي بدت ثقيلةً على لسانه. لطالما تمنّى ألاّ تموت وهو لا يزال على قيد الحياة، وهذا هو كل ما يعرفه.

تكفّل ابنه مهمة تنظيم الجنازة نيابة عنه بينما انشغل كارل بمحاولة تذكّر كيف ينهض من سريره، وينظّف أسنانه، ويسرِّح شعره، ويمضغ طعامه. كانت الجنازة بحد ذاتها طويلةً وبطيئةً ومتكررة. وقبل أن تنتهي المراسم، راح الناس يعانقونه مراراً وتكراراً؛ وهم أناس بالكاد يعرفهم. حرص على ألا تمس خدودهم خديّه. ولم يتملّكه شعور طيّب حيال وضع راحتي يديه على ظهر امرأةٍ ليست زوجته.

جلس كارل في المقعد الأمامي، وراح يتأمّل التابوت وهو بالكاد قادر على التنفّس. فقد انتابه شعور غريب لأنه لا يزال يتنفّس أنفاس الحياة وهي لم تعد تتنفّس. رأى جبلاً من الزهور يعلو غطاء التابوت، فتمنّى أن ينفتح الغطاء وأن تقفز إيفي صائحةً: مفاجأة! ثم تقفز من فوق جبل الزهور.

همس: *إن كان هذا مقلباً فعلتِه، أعدك أنني لن أغضب منك.*

يتذكر وقوفه خلال إحدى خطب التأبين، وهي خطبة ألقتها الصديقة الوحيدة المتبقية على قيد الحياة من صديقات إيفي في العمل. فقد توفيت كل الصديقات واحدة تلو أخرى، كأنهن في ساحة

Twitter: @ketab_n

معركة، يتساقطن في السوبرماركت، وفي الملاعب الخضراء، وفي دور الرعاية والمستشفيات، ولكن هذه المرأة ظلت على قيد الحياة واقفة أمام المنضدة كأنها هبة من الله. فكّر كارل في سرّه: *أتمنى لو أنها ميتة*.

مشى نحو التابوت، وهمس: *إيفي*. دار حوله ومرر أصابعه على حوافه، فراح الناس يتمتمون من حوله، ولكنه شعر أن أصواتهم بعيدة عنه كأنها على بعد أميال. وضع وجهه على الغطاء المصنوع من خشب الصنوبر، وأغمض عينيْه، واستنشق عبيره. وهمس مرة أخرى: *إيفي*. لامست شفتاه خشب الصنوبر. كان يجب عليه أن يتأكد بنفسه، فأمسك بالغطاء وفتحه بعنف.

وجدها ممدّدةً وهي ميتة في داخله، وذلك مؤكد. بدت متحجّرة الملامح بطريقه لم يرَها من قبل، ولكنه عجز أن يبعد يديه عن حافة التابوت حتى عندما شدّه الكاهن من مرفقه، وحتى عندما هبت الريح على وجهه من خلال الباب، وعندما انغلق غطاء التابوت بعنفٍ وقوةٍ شديدين لدرجة أنه سحق أصابعه. لم يشعر بأي ألم لأن الألم كان أصلاً يعتصر أنحاء جسده كافة.

أراد أن يطيع ذلك، ولكنهم لم يسمحوا له، بل أمسكوا بيديه ليوقفوا النزيف. صاح بأعلى صوته:

إنني هنا يا إيفي. وسأبقى هنا دائماً.

Twitter: @ketab_n

تقول ميلي وهي تمسك بيد كارل ويخرجان معاً من المقهى: بعض أناملك مفقودة.

فيقول وهو ينقر على يدها: نعم، صحيح.

يشكل فمه ذلك الخط الذي يقوم به الراشدون عندما لا يريدون بشكل قطعي أن يتحدثوا عن شيء ما في الوقت الحاضر وربما إلى الأبد. وهكذا، فإنها تحتفظ بأسئلتها لنفسها وتخزّنها في تلك الزاوية في ذهنها حيث تحفظ الأشياء إلى وقتٍ لاحق. تفرك جذوع أصابعه وهي تمسكها بيدها. تُرى هل كان يقضم أظافره كثيراً لدرجة أنه قضم أنامله أيضاً؟ هل قامت عائلة من الفئران بأكلها أثناء نومه؟ أم أن أحدهم قطعها لأنه لم يفعل ما طلبه منه؟ تذكّرت ميلي أن والدتها هدّدتها ذات مرةٍ أن تفعل بها ذلك. عندما راحت تنقر بأصابعها على طبق عشائها وهي تشاهد برنامج "الرقص مع النجوم"، قالت أمها دون أن تلتفت لتواجهها: سأنتزع تلك الأشياء من مكانها. لا تجرِّبيني. لم تجرِّبها ميلي، و لم تقصد أن تجرِّبها، وجلست واضعة أصابعها أسفل إستها لئلا تجرِّب أحداً من دون قصد.

تقود ميلي كارل إلى رف ملابس النساء الداخلية ثم تنزع يدها من يده وتزحف تحت الرف وتزيح الملابس جانباً لكي يراها.

يسألها: ما الذي تنوين فعله هنا، يا ميلي؟

تقول له: قلت لك. وتنزع غطاء المرطبان الزجاجي ثم تفتح زمّام حقيبتها المدرسية وتخرج علبة أقلام الرصاص الجنائزية الخاصة بها، وشمعةً، وبعض عيدان الكبريت، وتضعها على الأرض وتحدِّق إليها. وبعد لحظة، ترفعها إلى كارل، وتقول: هلا تفعل. من فضلك؟

Twitter: @ketab_n

يلقي نظراتٍ خاطفةً ويسأل: *هل سنشعل ناراً؟*

تجيبه: *نعم.*

يبدو على كارل أنه يفكر ملياً بالجواب، ثم يومئ برأسه. تراقب ميلي العود تهب فيه النار وتمسك معدتها وتصرّ أسنانها محاولةً ألاّ تتذكّر الليلة التي سبقت أول يوم من أيام الانتظار. تحاول أن تضع تلك الذكرى في ذلك الركن الذي تخزّن فيه الأشياء التي لا تريد أن تتذكّرها. تسلّم كارل المرطبان، وتقول: *هناك في الداخل من فضلك.*

ينزل كارل الشمعة بحرص داخل المرطبان ويعيده مرةً أخرى إلى ميلي. تربط المرطبان بالرف، وتتدلّى الذبابة خلف صفٍّ من الملابس الداخلية اللحميّة اللون.

تخاطب كارل: *يجب عليك أن تقول شيئاً ما.*

يسألها كارل مشيراً إلى نفسه: *أنا؟*

تجيبه ميلي وهي تشير إليه وهو يشير إلى نفسه: *نعم، أنتَ. أنتَ من فعلتها. أنتَ من تسببت بموتها. ألستَ آسفاً على ما اقترفته يداك؟*

تعود بذهنها إلى صورة أبيها وهو يضرب تلك العنكبوت بحذائه. تُرى هل شعر بالأسف لما فعله؟

يقول كارل وهو يضع يديه على خصره: *بالطبع... بالطبع، ولكن...* ثم يأخذ نفساً عميقاً ويقول: *إنها مجرد ذبابة.*

تومئ ميلي وتقول: *نعم، أنت محق. إنها مجرد ذبابة.*

ينظر كارل إلى ميلي.

تنظر ميلي بدورها إلى كارل.

Twitter: @ketab_n

يتنهّد كارل ويسألها: *ماذا ينبغي عليّ أن أقول؟*

فتسأله: ماذا تود أن يقول الناس في جنازتك؟

يحدق كارل إلى قدميه، ويقول: *أشك أن أحداً سيقول شيئاً.*

فتقول ميلي وهي تشبك ذراعيها: *حسناً. يجب عليك أن تقول شيئاً ما.*

- *لماذا تعرفين الكثير عن هذه الأشياء؟*
- *لماذا لا تعرف أنت؟*

حقيقة عن العالم تعرفها ميلي على نحوٍ مؤكد.

الجميع يعرفون كل شيء عن ولادة الإنسان، ولكن لا أحد يعرف شيئاً عن موته.

لطالما أثار هذا عجب ميلي. فهناك كتب في المدرسة مليئة بصور لأمهات بطونهن شفّافة. ولطالما ودّت أن ترفع قميص امرأةٍ حامل لتتأكّد من أنّ بطن المرأة يصبح شفافاً عندما تكون حاملاً. تظن أنّ من المنطقي أن يعطي هذا فرصةً للطفل ليتعوّد على العالم قبل أن يصبح جزءاً منه، كأنه يركب قارباً ذا قعر زجاجي، ولولا ذلك فيا لها من صدمة! كم سيكون العالم مرعباً إن لم يعرف المرء أنه قادم إليه.

شاهدت ميلي أيضاً كتباً فيها رسوم عن رجل وامرأة يتبادلان الحب، فيعطي الرجل المرأة سمكةً، فتدخل السمكة إلى بطنها وتضع البيوض، ثم تتحوّل تلك البيوض كائناً بشريًّا. إنها تعرف أن الأطفال لا يأتون بهذه الطريقة، ولكنها لم ترَ صوراً لذلك.

Twitter: @ketab_n

إن الراشدين يريدونها أن تعرف هذه الأشياء، وإلا لما أعطوها هذه الكتب، ولكن أحداً لم يعطِها من قبلُ كتباً عن الكائنات الميتة. فما هو هذا السر الكبير يا ترى؟

*

يقول كارل: *حسناً. الذبابة... أحبها كُثُر... لم ينسها أحد.* يتنحنح ثم ينشد قائلاً: *ليحم الله ملكتنا الكريمة.* يقول هذا بنعومة شديدة حتى أن ميلي بالكاد تسمعه.

تخاطبه ميلي: ارفع صوتك أكثر. فيكرر بصوتٍ أعلى: *تحيا ملكتنا النبيلة. ليحمِ الله الملكة.* تراقب ميلي الأقدام وهي تمرّ بهما من خلال الفتحة بين الملابس بينما هو ينشد، فبعضها يحث الخطى عندما يقترب منهما وبعضها يبطّئ من مشيته. وعندئذ، ترى زوجاً من الأحذية يتوقف أمامهما تماماً. فيرفع كارل صوته قائلاً: *لتبقِ منتصرة.* وتظهر غمازتاه من جديد وهو يقول: *سعيدة ومجيدة. ولتحكمنا طويلاً.* يرفع كارل يديه بإيماءة مسرحية وأصابعه تطبع في الهواء. *ليحمِ الله الملكة،* ثم ينحني. ولا يزال الحذاء العريض الأسود واقفاً في الممر وإحدى فردتيه تنقر على الأرض. فتضم ميلي ركبتيها إلى صدرها.

يقول صوت امرأة: *هل انتهيت، يا سيدي؟*

ينظر كارل في اتجاه الحذاء وتتسع عيناه، ويقول: *نعم، شكراً لكَ، يا سيدي. أقصد، يا سيدتي!*

تقبض ذراعان على كارل وتدفعانه على طول الممر. تقول المرأة: *لنذهبْ.* فيقول كارل: *أرجو المعذرة، يا سيدي. أقصد،*

Twitter: @ketab_n

يا سيدتي. إنني آسف حقاً. إنني لم أقصد بالفعل أن أقول ذلك. إنني لا أعني بأي طريقة أنكِ تشبهين الرجال.

تمد ميلي جسدها نحو العمود في منتصف الرف، وتسمع كارل يقول: *أنتِ بغاية الأنوثة، إن توخيتُ الصراحة*، وبعد ذلك: *أرجو المعذرة*. يقولها مرةً تلو أخرى حتى لا تعود قادرةً على سماعه بعد الآن. تقول سيدة قريبة: *ما كل هذه الجَلَبَة؟* فتومئ ميلي بشفتيها بدون صوت: *جَلَبَة*. تعيد وضع معدات الجنازة في حقيبتها. وتقرّب الحقيبة منها وتجعل جسدها صغيراً قدر المستطاع كما يفعل الأطفال الصغار عندما يكونون عالقين في أرحام أمهاتهم. تضغط وجهها على العمود المعدني، فتشعر به بارداً على خدِّها. ويتأرجح مرطبان الذبابة بنسيمٍ خيالي، ويترك ضوء الشمعة آثاراً تختفي وتعاود الظهور. تمرِّر أصابعها في الهواء. فلا يعطيها وجوده أي شعور، ولكنه يبقي الجميع على قيد الحياة.

كيف يمكن له ألاّ يشعرها بأي شيء؟

لا يزال المانيكان ينظر إليها من خلال الفراغ بين الملابس الداخلية، فتعاود النظر إليه. وتعجبها الطريقة التي ينظر بها إليها، فهي تمدّها بشعور أن الحذاء العريض الأخرق لن يأتي مرة أخرى ليأخذ ميلي بعيداً.

تبقى ميلي جالسةً بتلك الوضعية إلى أن يحل الليل مرة أخرى في السوق التجارية. تتعرّق قدماها في حذائها المطاطي، وتلتصق ركبتاها إحداهما بالأخرى، ولا يزال الضوء في المرطبان يشتعل، ولكن بشكل خافتٍ. وتجعل الظلالُ المتراقصةُ الملابسَ الداخليةَ تبدو كأنها تنضم بعضها إلى بعض عند الحوافّ متحولةً إلى زوجٍ واحدٍ هائلٍ من

Twitter: @ketab_n

الملابس الداخلية النسائية. يدور زوج الملابس الضخم حول رأسها ويقترب أكثر فأكثر. وتصبح ميلي واثقةً من أنه سيلف نفسه حولها ويخنقها. عندئذ، ينطفئ الضوء في المرطبان. فتتنفّس ميلي كثيراً من الهواء وتتبلّل وجنتاها بالدموع. تدفن نفسها في ركبتيها وتجبر نفسها على إغماض عينيها.

تسمع وقع قدمين تدنوان منها، فتفكّر: *حذاء ذهبي، حذاء ذهبي، حذاء ذهبي*. وتصبح أنفاسها مرتعشةً كأنفاس المسنين الذين يتعمّدون التنفس بصوتٍ مرتفعٍ ليعلموا من حولهم أنه لا يزال بوسعهم ذلك. ولكن تلك ليست أمها على الإطلاق لأن الخطوات تنزلق على طول الأرضية، وأمها لا تمشي بتلك الطريقة. تقترب الخطوات منها، وترى ضوءاً كشّافاً يتوهّج في كل مكان. الآن، يصبح الضوء مسلّطاً على مرطبان الذبابة. وتزداد الخطوات قرباً منها بينما لا يزال الضوء على المرطبان، ثم تتوقف الخطوات كلياً ويبدو الضوء الكشّاف كبقعة ضوءٍ على الذبابة، كمركبةٍ فضائيةٍ تحاول أن تجذب شيئاً بالشعاع الفضائي. يتوجّب على ميلي أن تحبس أنفاسها المرتعشة لكي لا يتمكن الضوء الكشّاف الفضائي من القبض عليها.

ولكنّ هناك شيئاً ما تراه بطرف عينها من خلال الضوء الكشّاف؛ شرارة لفكرةٍ ما تلمع من خلف الملابس الداخلية. ينظر المانيكان إليها وعيناه تبدوان أوسع لسببٍ ما، وهناك شيء ما في معدتها، شيء يشدّها، ويُشعرها أن النقطة ثلاثة قريبة منها، ولكن لا يمكن لذلك أن يكون صحيحاً. عندئذ، يسقط المانيكان على الأرض فجأة، فتصيح صاحبة القدمين المنزلقتين، ويسقط الضوء الكشاف من يدها على الأرض، ولا يزال المانيكان ينظر إليها، ولكن الضوء

Twitter: @ketab_n

الكشّاف يضيئه الآن كأنه يصعد إلى خشبة المسرح. تشعر ميلي بابتسامة تظهر على شفتيها وتستطيع أن تلمسها بأصابعها. تودّ أن تلمس وجه المانيكان أيضاً لأنه يبتسم لها في الضوء الكشّاف.

هناك حقيقة أخرى عن العالم تعرفها ميلي بالتأكيد.

من المهم أن تكون لك أم.

فالأم تحضر لطفلها سترته عندما يشعر بالبرد وتشغّل له غطاءه الحراري قبل أن يأوي إلى فراشه، كأنها تعرف دائماً ما يريده أكثر منه. وفي بعض الأحيان، تسمح له بالجلوس في حضنها واللعب بالخواتم في أصابعها بينما يُعرض برنامجها المفضّل على التلفزيون.

لطالما شعرت ميلي أن أمها كالريح التي تهب عبر البيت، فهي دائماً تغسل الملابس أو تكويها، أو تمسح المصابيح، أو تتحدث عبر الهاتف، أو تكنس مدخل البيت، أو تضع شراشف على الأثاث، وهذا يجعل شعرها يبدو متعرِّقاً ومشعَّثاً. أما صوتها، فيشبه صوت الكمان كأنها تحاول أن ترفع شيئاً ثقيلاً جداً. وغالباً ما وجدت ميلي نفسها تعترض طريق أمها مهما تحاول جاهدةً ألا تفعل ذلك، لذا تعلمت أن تجلس قرب الجدران وفي الزوايا، وتختبئ داخل الشُجَيْرات وفوق الأشجار لكي تبقى بعيدة.

أحياناً، وقبل خروجها من البيت، كانت أم ميلي تتوارى في الحمام قليلاً، فتصغي ميلي إليها عند الباب. ويبدو من أصوات الرنين والرش والتدفق الصادرة من الداخل أن ثمة آلات تعمل على صناعة شيء ما. كانت أمها تظهر مرة أخرى ببشرة ملونة وشعر كفتيات المجلات وتتبعها رائحة حلوة كأنها ظلّها.

Twitter: @ketab_n

ذات يوم، خرجت أمها إلى البيت المجاور لتتحدث إلى جارتها، فركعت ميلي على أرض الحمام، وفتحت الخزانة الموجودة تحت المغسلة. وجدت علب تجميل لا حصر لها يبدو أنها تحملت البقاء داخل ذلك المكان الضيق وقتاً طويلاً. صفّتها على السيراميك البارد من الأصغر إلى الأكبر، وتأملت جمهورها المكوّن من مساحيق التجميل ثم تنحنحت.

أخذت إصبع أحمر شفاه ولوّنت به شحمتَي أذنيها، ورشّت عطراً في الهواء مرةً تلو أخرى لترى الضباب المتشكّل في الجو، ثم وضعت بعض الماسكارا على خديها ومسحت شيئاً من أحمر الخدود على أظافرها، لكن أمها ظهرت فجأةً عند الباب. حاولت ميلي أن تجلس إلى جانب الجدار لتبتعد عن طريق أمها، ولكنها أمسكت بها من تحت إبطيها وألقتها على المقعد ومسحت وجهها ونظفته بقطعة قماش ثم سرّحت شعرها وسوّته، ووضعت أحمر شفاهٍ على شفتيها، وشيئاً ما على رموشها، وآخر على خدّيْها. كانت أمها قريبة جداً منها، وبدا صوتها موحياً بالسعادة وهي تفتل ميلي إلى الخلف لتنظر إلى نفسها في المرآة. أترين؟ نظرت ميلي إلى نفسها واكتشفت أن بوسعها أن تصبح شخصاً آخر إنْ أرادت ذلك؛ أي نسخةً جديدةً ومحسّنة.

*

الآن، وفي ليلتها الثانية من الانتظار، تقرر ميلي أن تجعل نفسها جديدةً ومحسّنة، فهي تريد لأمها أن تأتي إليها وتقول: *أرجو المعذرة، يا سيدتي، ولكنني أبحث عن طفلة صغيرة؟ فهل رأيتها؟* وعندئذ،

Twitter: @ketab_n

ستخلع ميلي قبّعتها وتمسح أحمر الشفاه عن شفتيها بيدها وتقول: *هذه أنا، يا أمي! ميلي ببرد!* وفي تلك اللحظة، ستضحك أمها وتحملها عن الأرض وتأخذها إلى السيارة، وستلوّح ميلي بيدها مودعةً السوق التجارية: *إلى اللقاء، أيها المقهى. إلى اللقاء، أيتها الملابس الضخمة. إلى اللقاء يا أصيص النباتات. إلى اللقاء يا كارل. إلى اللقاء أيها المانيكان،* وستقود الأم سيارتها لتعيدها إلى البيت، وستجلس ميلي على طاولة المطبخ بينما تقطعان الخُضَر معاً لإعداد العشاء.

وهكذا، فإنها تعثر على أجمل فستان يمكنها العثور عليه، وهو فستان أصفر اللون، ناعم الملمس، كأنه غيمة، وترتديه فوق ملابسها. وتذهب إلى رف المكياج حيث تجد علباً سوداً بلاستيكيةً معلقةً بخطافات معدنية كأنها طعم لصيد السمك. فتأخذ التي بمتناول يدها وتضع أحمر الشفاه، وظلال العيون، وزهر الخدود، بعناية، بالطريقة التي تعلّمتها من أمها. تقف على كدسٍ من الكتب لترى نفسها في المرآة، ولكنها تفعل ذلك دون أن تقع ولو لمرة واحدة. تقول للمانيكان: *أترى؟* وبعد ذلك، تعثر على قبعةٍ حمراء عريضة وتضع طلاء أظافر أخضر اللون. تنظر إلى حذائها المطاطي وتدرك أنه سيفضح هويتها على الأرجح، ولكنها لن تخلعه على الإطلاق. وبعد ذلك، تلصق زوجاً من العجلات في أسفل كل فردة من الحذاء وتتزلّج في أنحاء المحل.

تتزلّج مروراً برف حمّالات الصدر النسائية حيث يوجد عدد كبير معلّق في صف مستقيم كأنها جنود تنتظر الأوامر. فتسرح ميلي بمخيّلتها وترى أمها بعد الاستحمام وشعرها يقطر ماءً، ويبدو رخواً على رأسها، والبخار يتصاعد من جلدها، وهي تتوجه من الحمّام إلى

Twitter: @ketab_n

خزانة ملابسها. ترى الأم ميلي تتأمّلها من بعيد وهي ترتدي ملابسها، فتقول لها: *ستصبحين كبيرةً مثلي يوماً ما.*

ولكن ميلي لا تريد ذلك على الإطلاق. فقد رأت أجساد النساء في المجلات، وتذكّرت أيضاً تلك المرأة التي لم تكن أمها والتي اختبأت في حمام بيتهم ذات يوم. فقد قالت المرأة لها: أنت لم تريني، أيتها الطفلة. ولكن ميلي فكّرت في سرّها: *بل رأيتك.*

تتزلّج إلى قسم الألعاب وتسحب ألعاب الرقعة عن الرف، واحدةً تلو أخرى، وتصفّها أمام المانيكان. هناك لعبة تويستر، ومونوبولي، ولعبة التخمين، ومصيدة الفأر، والداما، وطاولة النرد، وسفينة المعركة، وسكرابل وغيرها. لا تعرف تماماً كيف تُلعب أي لعبة منها، لذا ترمي النرد مرةً عن المانيكان ومرةً عن نفسها وتحرّك القطع في الأنحاء، فتحاول السفن الحربية أن تغرق السفن الأخرى. وتقوم شخصيات لعبة التخمين بدور الجمهور في لعبة مصيدة الفأر بينما يأكل فرس النهر حجارة لعبة الداما.

ووضعت حمالة صدر على فمها وحاولت أن تعقدها خلف رأسها، وهي تشرح قائلةً: *من أجل الحفاظ على الصحة*، ويبدو صوتها الآن مكتوماً قليلاً بينما تفكر بالمسلسلات الطبية التي تشاهدها أمها. تقول، وهي تشير إلى مكتب على الجدار الخلفي للمتجر: *دخل إلى هناك. كم هو غبي! لقد استغرق في النوم وترك المفتاح في الباب.* ترفع المفتاح وتبتسم ابتسامةً عريضةً وهي تقول: *فأقفلته عليه.* وتربّت رأس المانيكان وتهمس في أذنه قائلة: *إنني مدينة لك.*

تدعو ميلي إلى العشاء طاقم لعبة التخمين، والمانيكان، وحصان الألعاب، ودمية كلب تشبه رامبو بالضبط. فتجلسها جميعاً حول

Twitter: @ketab_n

طاولة العشاء الكبيرة في قسم الأثاث. يبلغ حجم هذه الطاولة ضعف طاولة بيتهم على الأقل ولا تحوي أي حلقات لفناجين قهوةٍ أو شمعٍ أو اسم ميلي مكتوباً على أحد قوائمها. وتبدو المناديل والأطباق والزبادي كلها بيضاء وتشبه بعضها بعضاً.

تضع المانيكان على الكرسي عند مقدمة الطاولة وتجلس رامبو على أحد الكراسي الأخرى، أما طاقم لعبة التخمين والحصان فتحدق إليها من الجانب الآخر من الطاولة. تعجبها طريقة نظرها إليها وكأنها تتوقّع منها أن تفعل شيئاً ما. فتقول: *حسناً*. وتتزلّج مبتعدةً ثم تعود وبحوزتها بعض الرايات وترميها عبر الطاولة وتربطها حول الكراسي وتربط عقداً على أدوات المائدة.

وتعدّ مكاناً لأمها بجانب المانيكان.

فقط.

تحسباً.

تضع كرسياً لنفسها بين المانيكان ورامبو وترتّب فستانها وتعدل وضع قبّعتها. تشعر بعينَي المانيكان مركّزتين عليها. فتقول: *ماذا؟ لقد تأخرتُ قليلاً* وحسب. وتتنحنح ثم تقول، ويداها مضمومتان للدعاء وهي تنظر بعينين نصف مغمّضتين إلى المانيكان: *يا إلهي الرحيم! الليلة سوف نقدم حساء الفانتا للمقبلات، والأفاعي والديناصورات للطبق الرئيسي، وسلطةً جانبيةً من أوراق النعناع وطبق الموز للتحلية. آمل أن يكون هذا مناسباً*. تملأ كأسها بعصير العنب. وتقول: *ولكن أولاً، سأقدم نخباً*. تقف على قدميْها وتضرب كأسها بكؤوس جميع ضيوفها. وتفعل ذلك مرة أخرى لأن الموسيقى الصادرة من الكؤوس

Twitter: @ketab_n

تعجبها. تفعل ذلك أسرع وأسرع وهي تتزلج عبر الطاولة: كلينـــك كلينك كلينك. ثم تتزلّج حول الطاولة من الجهة الأخرى: كلينـــك كلينك كلينك...

تجلس فوق الطاولة بدلاً من كرسيها لأنها هي الرئيسة. يتنـــاول الجميع الطعام ويدور الحديث عن كلب الجيران الذي يقضي حاجته على الدرج وعن السيدة باكر التي تصلها دائماً أدوات مكياج فاخرة في البريد ولكنها لم تعد تساعدها الآن، وعن ألبرت الذي بات حزيناً جداً لأنه غيّر ناديه، ثم اكتشف أن فريقه الجديد يلعب كمجموعـــة من الفتيات. وطوال الوقت، يراقبها المانيكان دون أن يرمش بعينيْـــه وحتى دون أن يتفوّه بحرف واحد.

وهناك حقيقة أخرى عن العالم تعرفها ميلي بالتأكيد.

لا تعرف أين دفنت جثة أبيها.

عندما زارت والدها في المقبرة، قيل لها إنه موجود في صـــندوق صغير مركون على الجدار. فقالت: *إن والدي كبير فلا يسعه هـــذا الصندوق.*

أجابت والدة ميلي: *إنه صندوق سحري.*

- *أيّ نوع من السحر؟*
- *مجرّد سحر. اتفقنا؟*
- *هل يمكنني أن أرى ما بداخله؟*
- *سيبطل مفعول السحر إنْ فعلت ذلك.*
- *مثل سانتا؟*
- *نعم، بالضبط مثل سانتا.*

Twitter: @ketab_n

أعطت ميلي علبة من الزبيب لبيري ليك، أحد الفتية الكبار في المدرسة والذين يعرفون كل شيء، وسألته: ما الذي يحدث لجثث الناس بعد أن يموتوا؟

يقحم قبضةً من الزبيب في فمه ويمضغها ويقول: *هذا يتوقف...*

- *على ماذا؟*
- *على عدد علب الزبيب التي تملكينها.*

في اليوم التالي أفرغت ميلي حقيبتها المدرسية عند قدميه. فتدفّقت منها كومة من علب الزبيب. فتح علبة وأفرغ محتوياتها في فمه. وقال: *إنها تتيّبس.*

- *تتيّبس؟*
- *نعم. وتصبح باردة.*
- *باردة؟*
- *نعم.*
- *مثل البلاستيك؟*
- يهز كتفيه ويقول: *ربّما.*
- *هل تتقلّص؟*
- *تتقلّص؟*
- *نعم.*

ويرمي حبة زبيب في الهواء ويلتقطها بفمه ويقول: *كلا، إن جثث الموتى لا تتقلّص.*

*

Twitter: @ketab_n

بينما تغطي ميلي زبديةً مليئةً بمصاصات الموز بصلصة الشوكولا تخطر الفكرة ببالها. تضع يدها على يد المانيكان وتقول: *لا تسئ فهم هذا*. تشعر بيده قاسية وباردة تحت يدها فتقول: *ولكن*. وتنحني نحو وجهه وتلتقي عيْناها عينيْه وكأنه مجرد رسمٍ، ثم تسأله: *هل أنت كائن ميت؟*

اليوم الثالث من أيام الانتظار

تجلس ميلي في مكتب داخل السوق التجارية. ويبدو المكان مختلفاً في ضوء النهار. هناك مكتب عليه أقلام وأوراق ومشابك ورق مرتّبة ترتيباً أنيقاً جنباً إلى جنب. وهناك وعاء أو يمكن القول علبة للمعاملات الواردة، ومثلها للمعاملات المنتهية، لا تحوي أيَّ شيء خارجاً منها أو داخلاً إليها. تأخذ ميلي مشبكاً ورقياً وقلماً وتضع أحدهما في علبة الوارد والآخر في علبة الصادر. أما الفستان الأصفر الذي ارتدته في الليلة الماضية، فتطويه وتضعه في وسط المكتب. هناك شاشة تلفزيون كبيرة معلّقة على جدارٍ جانبي. تجلس وتفتل العجلات المثبتة في أسفل حذائها المطاطي.

تفتح دفتر الأشياء الميتة وتفرده على الطاولة وتملّس الصفحات. تحدِّق إلى الصورة التي رسمتها لصندوق والدها السحري. ترى الشَّرْطة تنبض نحوها كأنها قلب حي. باتت تعرف الآن ما هي الشَّرْطة وأنّ بوسعك أن تحمل كثيراً منها في جيبك. تقول الصورة: *هاري بيرد. 1968–2012. محبوب*. تلفظ الكلمة بصوتٍ مرتفع: *محبوب*.

*

Twitter: @ketab_n

من قِبَل مَنْ؟ طرحت ميلي هذا السؤال على والدها من قبلُ بينما هما تقفان، يداً بيد، تنظران إلى صندوق والدها السحري كأنه لوحة زيتية.

أجابت والدها قائلة: *أنتِ.*

- *وأنتِ؟*

تنحنحت والدها وقالت: *بالطبع.* راقبتها ميلي وهي تفتل خاتم زواجها حول إصبعها. فقد عادت لوضعه مرة أخرى هذا الأسبوع.

- *والجميع أيضاً؟*
- *نعم، يا ميلي.*
- *لماذا لا تقول اللافتة هذا إذاً؟*
- *ميلي!* وهزّت يد ميلي لتبعدها عن يدها، وركعت على الأرض ووضعت رأسها بين يديْها.

لم تتحرك ميلي بل قالت: *أمي؟*

فقالت أمها: لأنه ليس هناك شيء مجاني، ولا حتى هذا الهراء. لم تنظر أمها إليها وهي تقف وتمشي مبتعدةً نحو السيارة بل قالت: هيّا. ألقت ميلي نظرةً أخيرةً على صندوق والدها السحري قبل أن تتبع أمها.

عندما أتت السيدات من نادي التنس إلى بيتهم تلك الليلة، عانقت إحداهن ميلي وقالت: *لقد رحل جسده ولكن روحه لا تزال معنا.*

سألتها ميلي قائلة: *أهذا هو ما يوجد في الصندوق السحري؟*

فأجابت السيدة وهي تضع راحة يدها على صدر ميلي: *إنها في داخلك.*

Twitter: @ketab_n

نظرت ميلي إلى يد السيدة وقالت: *كيف دخلت إلى هنا؟*

- *لطالما كانت هنا.*
- *ماذا؟*
- *إن الفتيات المهذّبات لا يقلن "ماذا".*
- *ماذا؟*
- *إن الفتيات المهذّبات يقلن "أرجو المعذرة".*
- *أرجو المعذرة.*
- *فتاة طيبة.*

وقفت السيدة القادمة من نادي التنس لتعانق والـــدة ميلـــي. فقالت ميلي مرة أخرى: أرجو المعذرة. ولكن السيدة لم تسمعها.

في اليوم التالي، ذهبت ميلي إلى متجر بيع الحليب. وبينما كانت الفتاة التي تعمل هناك تضحك مع أحد الفتيـــان، مـــلأت حقيبتـــها المدرسية زبيباً وذهبت.

قالت لبيري ليك بعد أن أرته الزبيب: *ما هي الروح؟*

فأجابها قائلاً: *إنها مثل القلب، ولكنها موجودة في بطنك.*

كيف شكلها؟

فتأمل حقيبتها وقال: *تشبه زبيبةً كبيرةً جداً.*

أغلقت الحقيبة مرة أخرى وحملتها على ظهرها، وقالت: مـــاذا *يحدث لها عندما يموت المرء؟*

- *تسقط.*
- *تسقط؟*
- *نعم، مثل المشيمة.*
- *ما هي المشيمة؟*

Twitter: @ketab_n

- *إنها تسقط من النساء بعد أن يلدن طفلاً.*
- *ماذا يفعلون بها؟*
- *يضعونها في المجمدة ويأكلونها.*
- *روحك؟*
- *كلا، المشيمة، ولكنهم يحتفظون بروحك.*
- *أين؟*
- *في مجمدة أخرى.*
- *أين هي؟*

رنّ جرس المدرسة من بعيد. فركض الأطفال مروراً بهما وهم يصرخون ويضحكون. قال بيري وهو يشيح بوجهه: *في مكانٍ ما. لا أعرف. إنني لا أعرف كل شيء.*

سألته: *هل يمكن أن أحصل عليها دون أن أعرف؟*

مد بيري يده، فبدت يداً طويلةً ونحيلةً وبارزة العظام. قال: *أعطني الزبيب وحسب.*

*

ينفتح باب المكتب بعنف، فتشعر ميلي بتيار هواء يهب عليها من حركة الباب كالمكنسة الكهربائية. تجلس منتصبةً في كرسيِّها وتغلق كتابها بسرعةٍ وتخفيه خلف ظهرها. تقف سيدة عند الباب وهي في غمرة محادثةٍ مع شخص آخر لا تراه ميلي.

تسأل السيدة بهدوء: *ما رأيك بالعشاء في بيتي الليلة؟*

- *كلاّ، يا هيلين.* إنه صوت رجل. ويبدو من لهجته أنه نافد الصبر.

Twitter: @ketab_n

- *كلاّ؟ سأعد طعاماً مكسيكياً.*
- *إنني مشغول.*
- *غداً؟*
- *مشغول.*
- *ستعود إلي وحسب إذاً.*
- *هيلين. إنني مشغول بقية حياتي.*
- *حسناً إذاً، يا ستان.* تقول ببهجةٍ وصوتٍ أعلى الآن: *سأحضر لك ذلك الكريم المزيل للكدمات. يمكننا أن نزيل ذلك الشيء في الحال.*

ترى ميلي مؤخرة رأس الرجل وهو يبتعد ثم يقول: *لن تلمسي وجهي، يا هيلين.*

فتجيبه وهي تنظر إلى ظهره: *حسناً إذاً، ستتصل بي. أليس كذلك، يا ستان؟* وتستدير لتواجه ميلي. تبدو هيلين صغيرة الحجم بالنسبة إلى امرأةٍ راشدةٍ ولكنها عريضة كأنها نمت باتجاه العرض بدلاً من الطول. تبدو أزرار قميصها كأنها أشخاص يتدلّون من جرف صخري. تنظر ميلي إلى حذاء السيدة. إنه صغير وعريض وأسود.

تقول السيدة وكأنها لا تصدق كم تبدو الكلمة مثيرة: حسناً! وتلقي بنفسها على الكرسي في الجانب الآخر من المكتب. يبدو خداها زهريين. تسأل: *ألم تقعي في ورطة؟* وتمسك بجهاز تحكُّم وتشير به إلى الجدار، فيشتغل التلفزيون.

تظهر صورة ميلي على الشاشة. من الصعب أن تتبيّن ذلك بوضوح لأن الصورة بالأبيض والأسود، ولكنها بالتأكيد ميلي. تظهر صورتها وهي واقفة خارج هذا المكتب، ثم تتوجه إلى النافذة وتلقي

Twitter: @ketab_n

نظرةً من خلالها وتمد لسانها. تأخذ المفاتيح من مقبض الباب وتمشي مبتعدة.

تضغط هيلين زر الإيقاف المؤقّت في جهاز التحكُّم، فتنظر ميلي الحقيقية إلى ميلي الظاهرة على الشاشة. من الغريب أن تنظر إلى نفسها وهي تفعل شيئاً فعلته من قبل ولا يمكنها أن تتراجع عنه.

تنظر ميلي الحقيقية بتحدٍّ إلى هيلين. ترفع هيلين حاجبيْها، فترفع ميلي الحقيقية حاجبيْها أيضاً.

ما فعلته ميلي في الليلة الماضية

كانت ميلي تعرف طريق البيت ولكنها فكّرت أنّ أمها حريصة على أن تعرف ابنتها كيف تفعل ما يُطلب إليها وكيف تتصرّف بتهذيب. بعد حديثٍ مع المانيكان على العشاء، قررت ميلي أن تسهِّل على أمها مهمّة العثور عليها، فاستخدمت طلاءً من قسم الخردوات وكتبت عبارة *"أنا هنا يا أمي"* في أعلى مكان استطاعت الوصول إليه على الباب المتحرك، ولكنها كتبتها بشكلٍ معكوسٍ بالطبع، لكي تتمكّن أمها من قراءتها من الخارج. ورتبت قطع إحدى الألعاب بحيث شكّلت سهماً يشير إلى اليمين ووضعته قرب المدخل. ووضعت كل المانيكانات المصفوفة في المدخل بشكلٍ تشير فيه أذرعها إلى الاتجاه الذي تريد ميلي من أمها أن تتبعه. علّقت على بعضها لافتةً تقول: *"مرحبًا يا أمي!"* وعلى بعضها الآخر لافتةً أخرى تقول: *"واصلي التقدم"*، بينما يقول المانيكان: *"توقّفي هنا لتناول وجبةٍ خفيفة!"*، ووضعت ميلي إحدى سجائرها الملفوفة في اليد المرفوعة إلى أعلى. رتّبت مجموعة لعبة التخمين على شكل سهمٍ

Twitter: @ketab_n

والبيوت من لعبة المونوبولي بشكلٍ يدل على الانعطاف نحو اليسار، بينما رتّبت قطع لعبةٍ أخرى بهيئةٍ تشير إلى الأمام. أما المانيكانات التسعة القريبة من رف الملابس الداخلية، فقد جعلت كل واحد منها يمسك حرفاً يشكّل عبارة: *"هنا يا أمي!"*، ووضعت الحرف الأخير على المانيكان الذي يرتدي قميص هاواي. علّقت ميلي حمالات الصدر بعضها مع بعض، وشبكتها بيد المانيكان عبر الممر، ثم ربطتها على قمة رفّ الملابس الداخلية كأنها خط نهاية. زيّنت المكان بأضواء العيد عثرت عليها ثم جلست تحت الملابس الداخلية الضخمة، وتركت حذاءها الأحمر ظاهراً قليلاً وأخذت تنتظر.

عندما ظهر الحذاء اكتشفت أنه ليس حذاءً ذهبياً على الإطلاق.

*

تقول هيلين: *هل أنت مع ذلك الرجل؟ الذي يغني؟* وتفتح درج المكتب وتبدأ بترتيب أشيائه في صفٍّ على المكتب، ثم تقول: *يبدو لطيفاً*. تخرج علبة عصير فارغة، ثم تتابع قائلةً: *ولكنه يبدو إلى حدٍّ ما*.... وتضع مرطبان الذبابة الزجاجي ثم تملأ يديها بالمصّاصات وترشّها من فوق رأسها على المكتب كأنها تري ميلي كيف يسقط المطر، ثم تقول: يبدو إلى حدٍّ ما *ضعيفاً؟ العقل؟ بالطبع لا. إنني آسفة*. وتضع سيجارةً ملفوفةً على المكتب، ثم تقول: *ولكن هل هو حقاً؟ بطيء الفهم؟ قليلاً؟* ثم تستند على المكتب وتهمس قائلة: *معاق؟* ولكنها تشبك يديها على فمها، وتستدرك قائلة: *بالطبع لا. إنني آسفة. لا أصدق أنني قلت هذا الكلام. لم أرغب في طرده من المحل، ولكن هذا ما حدث. إنّ ستان قد وضع معايير عالية جداً*

Twitter: @ketab_n

لإدارة هذا المكان. تمرِّر هيلين أصابعها فوق السيجارة الملفوفة، وتقترب من مدخل الباب وتقول بصوتٍ مرتفع: *إنه بالغ الدقة.* تسند ظهرها على كرسيِّها، ثم تقول بصوتها العادي: *هل يملك ذلك الرجل، الذي يغني... هل يملك مكاناً محصَّناً أو شيئاً من هذا القبيل؟* تختفي تحت المكتب ثم تخرج وبحوزتها كومة من ألعاب الرقعة وتضعها على المكتب في كومة كبيرة مترنِّحة. تضع مرفق يدها على الكومة وتقول: *سياط؟ وسلاسل؟ إنه لا يقيِّد أحداً بالسلاسل، أليس كذلك؟*

تجيب ميلي: *نحن صديقان منذ البارحة فقط.*

تتابع كلامها قائلة: *إنه مجرد رجلٍ عجوز. يمكن للمرء أن يكون رجلاً مسنًّا ووحيداً ويتسكّع برفقة فتيات صغيرات ويظل رجلاً طبيعيًا تماماً، أليس كذلك؟* تغوص تحت المكتب مرة أخرى وتقف حاملةً حقيبة ظهر ميلي بيد، ودلو طلاء مفتوح باليد الأخرى. يفيض الطلاء من جوانب الدلو ويتقطّر على الأرض. تقول هيلين: *ولكنه المجتمع، كما تعرفين.* تضع الحقيبة والطلاء على الطاولة وتزيح كومة الألعاب عنها وتجلس مكانها، ثم تشير باصبع يدها باتجاه ميلي وتقول: *أكلُّ هذا؟ من أجله هو؟ أقصد المكياج؟*

تمسح ميلي شفتيها بيدها. وترى بقعةً من أحمر الشفاه الفاقع تلطِّخ يدها كأنه طلاء حرب، وتقول: *إنني جائعة.*

يا حبيبتي، إنني آسفة. كان لديّ بعض البسكويت، ولكن ستان... وتقول بصوتٍ مرتفعٍ باتجاه مدخل الباب مرة أخرى: *أكلها كلها. إنه يأكل بسكويتي متى يحلو له.* ثم تنتظر وأذنها مرهفة لأي حركة تأتي من جهة الباب.

Twitter: @ketab_n

يظهر ستان عند مدخل الباب، فتقفز هيلين من مكانها. تأخذ ميلي نفساً، فهو حارس الأمن الذي قابلته الليلة الماضية. تلاحظ أن له عيناً سوداء. تراه ميلي يتحدث عبر الهاتف الجوال، ولكنه يحدِّق إليها من دون أن يرمش بعينيْه، ويضغط بأصابعه التورم على خده. يقول عبر الهاتف: *حسناً، لقد أنهيت لتوّي برنامج كوسبي على قرص الدي في دي وأردت شيئاً آخر، أليس كذلك؟ لم أدرك أنني سأتعرّض لهجوم. لقد ساعدتني هيلين على الخروج صباح اليوم.* تشعر ميلي بكامل جسدها ينقبض. يقول ستان: *أصغي إلي، يا أمي، هلا تنتظرين على الخط ثانية واحدة؟* ويضع يده على السماعة ويقول: *هيلين، من الأفضل أن تعطيها شيئاً لتأكله قبل أن يأتوا.*

تقفز هيلين عن المكتب وتقول: بالطبع. وتفتح درجاً آخر وتقول، ووجهها متوهِّج ومحمر: *بعض أقراص النعناع؟ ستفاجئك كم هي مشبعة.*

تسأل ميلي: *قبل أن يأتي من؟*

تجيب هيلين: *إنني أتبع حميةً غذائيةً تسمح لي أن أشم كل الطعام الذي أشتهيه. إنها مذهلة!* تنظر شزراً إلى ستان وتقول: *طبعاً لا أقصد أنني بحاجة لذلك.* تفتح كيس السكاكر وتضع حبتين في فمها وحبتين أخريين على المكتب من أجل ميلي. فتمضغهما ميلي بشهية. تضيف هيلين قائلة: *أقصد أن أتبع حمية. فأنا لست من النساء اللواتي يهتممن بتلك الأمور، ولكن الأمر أشبه بمعاملة نفسي بالطريقة التي أستحق. فهذا يبعث القوة فيّ.*

يشيح ستان بوجهه ويقول: *هيلين، أطعميها شيئاً مناسباً، هلاّ فعلت؟ سيصلون إلى هنا عمّا قريب. وسيتوجّب عليهم السفر، لذا*

Twitter: @ketab_n

يجب أن تطعميها. يلقي نظرةً أخيرةً على ميلي ويلتفت ويذهب. *ماذا؟* تسمعه ميلي يقول ذلك عبر الهاتف وهو يبتعد: *كلاّ، إنها مجرد طفلةٍ صغيرة. لن أقاضيها. أمي! لن أفعل ذلك. حسنًا، لقد تركوها هنا، أليس كذلك؟ لا بد أنهم لا يملكون كثيراً.*

- *إنه لطيف، أليس كذلك؟ ستان؟* تنظر من الباب وتبصق السكاكر في منديل ورقي.

تسأل ميلي وهي تشعر بغثيان في معدتها: *من سيأتي؟ ستأتي أمي، أليس كذلك. إنها ضائعة فقط.*

تقول هيلين وهي ترمي بالمنديل في سلّة المهملات بجانب قدميها وتمسح يديها ببنطالها: *آه، يا حبيبتي. إنني واثقة من أنها ستأتي.*

- *لقد مات أبي، ولكن أمي ستأتي إلى هنا.*
- *يا حبيبتي.* وتمشي هيلين نحو الجهة الأخرى حيث تجلس ميلي وتركع على الأرض أمامها. تمسك بإحدى يدي ميلي بكلتا يديها، وتسألها: *كيف مات؟ آه، كلاّ، لا تجيبي عن هذا السؤال.* تتحدث هيلين كأنها متفاجئة من كلماتها التي خرجت من فمها، كأن شخصاً آخر هو من قالها، ثم تقول: *لا تجيبي إن لم تريدي ذلك، ولكن إن أردت قولي لي كيف؟ كيف مات؟ هل كان مدمناً القمار؟ هل تورّط بعملٍ ما؟*
- *تورّط؟*

تهمس هيلين قائلة: *مخدّرات؟*

- *لقد أعطوه مخدِّراً في المستشفى.*
- *هل كان... مستشفى خاصاً بالأمراض النفسية والعقلية؟*

Twitter: @ketab_n

- *ماذا يعني هذا؟*
- *انسي أنني قلت شيئًا.*
- *كان يعاني من السرطان.*
- *آه، يا عزيزتي. لقد عانيت من السرطان ذات مرة. حسنًا، ظننت ذلك. وكان وقتًا عصيبًا، عصيبًا جدًا. وبعد ذلك اتضح أنه مجرد بثرةٍ كبيرة.*
- *ستأتي أمي إلى هنا.*
- *هنا على عنقي مباشرة. وقت عصيب! ماذا؟ بالطبع، يا عزيزتي. بالطبع ستأتي.*

يرنّ هاتف في جيب هيلين، فتقفز على قدميها وترد عليه قائلة: *نعم. نعم. إنها هنا. بالطبع نعم.* وتغلق الخط، ثم تقول: *آه، يا عزيزتي. إنهم قادمون من أجلك.*

- *من؟*
- *خدمات رعاية الأطفال. إنهم مدهشون جدًا في التعامل مع الأطفال المتخلّى عنهم.*
- *متخلّى عنهم؟*
- *سيعطونك أمًا وأبًا جديدين لبعض الوقت إلى أن يعثروا على أمك.* من خلال الباب، تراقب هيلين ستان وهو يضحك مع موظفةٍ شابة.
- *ولكن أمي طلبت إليّ أن أنتظر هنا.*
- *أعرف ذلك، يا عزيزتي.* تتنهد وتمشي نحو الباب وتضع يدها على إطاره وهي تراقب ستان، ثم تقول: *ولكن بعض الناس لا يقولون دائمًا أشياء يعنونها.*

Twitter: @ketab_n

تتشبّث ميلي بكتاب الأشياء الميتة بإحكام خلف ظهرها.

تلتفت هيلين إلى الوراء لتواجه ميلي، فيرتعش جسدها من تحت قميصها. وتتشبّث أزرارها من الحافة بيأس. تقول: *آه، لا تقلقي يا عزيزتي. سوف يحبونك. الآن، يا عزيزتي، انتظري هنا. اتفقنا؟ أتعديني بذلك؟ نعم؟* وتسكت بينما تحدقان إحداهما إلى الأخرى، ثم تقول: *سوف أحضر لك بعض العصير والبسكويت. موافقة؟* ودون أن تنتظر إجابة منها، تخرج من الباب.

تراقب ميلي هيلين وهي تبتعد عن ناظريها، وتشعر برغبةٍ في التقيّؤ. يمر طفل بجانب باب المكتب المفتوح مع أمه ويصيح قائلاً: *ولكنني أردت الزرقاء، يا أمي!* فتودّ ميلي أن تصرخ في وجهه قائلةً: *ولكنني أريد أمي!*

تنزع العجلات عن أسفل حذائها المطاطي وتنزل عن الكرسي. تمسك بحقيبتها وتضع السيارات الألعاب في داخلها ثم تلقي نظرةً خاطفةً من الباب، فلا تجد أثراً لهيلين أو ستان. تأخذ نفساً عميقاً وتجري بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ باتجاه المقهى، فتنزلق حقيبتها من أعلى ظهرها إلى أسفله. تركض إلى آخر الممر بما فيه من مكانس وملابس ومساحاتٍ بألوانٍ زاهية، وبجانب مختبر التصوير والناس الذين يتصفّحون صوراً على شاشاتٍ ساطعةٍ، ومروراً بأقراص ليزرية وهواتف ومعدات كهربائية. عندما تلمح ستان، تختبئ خلف صورةٍ كرتونيةٍ لأحد المغنين المشهورين. يبحث ستان بين أقراص الدي في دي وهو يتمتم: *أعرفه، أعرفه، لا أريده، أعرفه*. ثم يرن هاتفه، فيقول: *نعم؟ نعم، نعم. سأكون هناك في الحال*. ويمر بجانبها دون أن يراها.

Twitter: @ketab_n

في المقهى، تعثر على كارل في مكانه المعهود. فتختبئ ميلي خلف أصيص النبتة المعهود. وتتلصّص على هيلين الواقفة عند المنضدة.

تتسارع دقات قلبها.

تقول هيلين للفتاة الواقفة خلف المنضدة: *قطعة صغيرة فقط من الكيك. كيكة الجزر من فضلك. نعم، قطعتان فقط من فضلك. نعم، تلك من فضلك. عظيم. شكراً لك. أريد هذه القطع الثلاث فقط. سيكون هذا جيداً.*

تهمس ميلي: *كارل.*

ينهض كارل على قدميه ويلتفت نحو أصيص النبات ويقول: *حسناً، نعم؟*

تمد ميلي رأسها من خلف أوراق نبتة السرخس وتقول: *أنا ميلي.*

- *ميلي؟ أين كنتِ؟*

من خلف أصيص النبتة، تسرد ميلي الأحداث منذ آخر مرة قابلته فيها. تقول: *في البداية أنقذ المانيكان حياتي. وبعد ذلك، سرقتُ مفتاحاً وحبستُ حارس الأمن. وبعد ذلك، تناولنا العشاء. وكان رامبو هناك والحصان اللعبة وقطع لعبة التخمين والمانيكان. سأعرّفكم بعضكم إلى بعض لاحقاً. وبعد ذلك، سألتُ المانيكان إنْ كان كائناً ميتاً، ثم حاولتُ أنْ أساعد أمي في العثور عليّ. عرضت عليّ هيلين بعض العصير والبسكويت، ولكنني لم أحصل على أيٍّ منهما. والآن، سيأتي والدي ووالدتي الجديدين، ولكنني هربت. وبعد ذلك، عثرت عليك. هل ستأكل هذه؟*

Twitter: @ketab_n

يسلّمها كارل كعكته، ويسألها: *أهذا كل شيء؟*

فتجيبه وفمها مليء بالطعام: *هذا كل شيء.*

- *ممّن هربتِ؟*

- *منها*. وتشير بيدها، وهي تخفض رأسها لتختبئ من هيلين التي تقف على بعد مسافة أقل من عشرين متراً وتتحدّث إلى أحد الزبائن.

تقول هيلين: *إنها ليست لي. فأنا أتبع حمية غذائية. إنها حمية الساحل الشمالي. العارضة كيت موس تتبعها. يمكنك الإمساك بكل الطعام الذي تشتهينه.* ينظر كارل إلى الجهة الأخرى بينما تمر هيلين بجانبه عائدة إلى المكتب.

ينهض كارل ويقول: *أقلت إنه هروب؟ حسناً.*

تقول ميلي: *حسناً؟*

يقول بصوت مرتفع: *يجب أن نخرجك من هنا في الحال.*

ترفع الموظفة نظرها إليه من خلف آلة تحضير القهوة.

تهمس ميلي قائلة: *صَهْ.*

فيجلس كارل ويقول: *نعم، آسف بشأن هذا.* ويلوِّح للفتاة.

- *ولكن ينبغي علينا أن نذهب.*

فيقول وهو ينهض مرة أخرى: *نعم.*

يتوجهان في طريقهما نحو الملابس الداخلية الضخمة ويقيان في الممشى بين الممرات الرئيسية. ينظر المانيكان الذي يرتدي قميص هاواي إليها، فلا تستطيع ميلي أن تشيح ببصرها عنه. تقول لكارل: *أمسِكْ به.*

- *ماذا؟*

Twitter: @ketab_n

- *إن الرجال المحترمين يقولون: أرجو المعذرة.*
- *أرجو المعذرة؟*
- *سنأخذه معنا.*
- *نأخذه؟*
- *نعم.*
- *لماذا؟*
- *لقد أنقذ حياتي.*

ينظر كارل إلى ميلي ثم إلى المانيكان ثم يعاود النظر إلى ميلي، ويقول بصوتٍ مرتفعٍ مرةً أخرى: *أنا سأفعل هذا. فكل صديق لكِ هو صديق لي.*

تقول ميلي: *صَهْ.*

- *آه، نعم، صحيح.* يمسك كارل المانيكان ويحمله حتى يصبح خدُّه ملاصقاً لخدِّه.

تقول ميلي: *هل أنت جاهز؟*

فيجيب كارل: *جاهز.*

يتسلّلان في طريقهما مروراً بالمعدات الكهربائية، وأدوات الطبخ، وكتب التلوين، والمناشف. وتحاول امرأة أن ترشّ عطراً على كارل وهو يمر بها، فيقهقه. يلوح المدخل على بعد أمتارٍ قليلةٍ وهو يلمع بضوءٍ مبهرٍ للبصر. فيركضان ويثيران جلبةً عالية، ولكن لا يبدو على أحد أنه يلاحظ شيئاً. وأخيراً، سينجحان في الهرب.

تقول ميلي: *نحن خفيان.*

فيقول كارل: *نعم.*

يتبادلان النظرات ويبتسمان. سينجحان حقاً.

Twitter: @ketab_n

عندئذ ترى ميلي أشخاص لعبة التخمين على الأرض، ويفوت الأوان على قول أيِّ شيء. تعلق قدم كارل على وجوههم ويسقط داخل صندوق مليء بأضواء العيد في وسط الممشى. وتسقط ميلي في الوقت نفسه ويصطدم رأسها بحافة الصندوق. يوقع كارل المانيكان عليها، فتنكسر إحدى ساقيه وتنزلق على طول الأرضية.

في تلك اللحظة، تسمع الكلمات الثلاث التي لا تريد سماعها: ها هي هناك. وترى هيلين وستان ورجلاً وامرأةً يرتديان ملابس فخمة وغير مريحة يتقدّمون نحوها. أمها الجديدة وأبوها الجديد!

تقول ميلي: *هيّا، يا كارل*. وتقف وهي تفرك رأسها وتشد ذراعه، ولكنه تشابك بالكامل مع أضواء العيد، ويجعل تخبّطه الوضع يزداد سوءاً.

تقول هيلين وهي تجري نحوهما خلف حارس الأمن: *أمسكْ به، يا ستان. أظن أنه هو. أعني أنني لا أريد التسرُّع بالتوصُّل إلى استنتاجات، ولكن... الجميع.... بناء على ما رأيته. فهو على الأرجح وعلى الأغلب... على ما أعتقد.*

لا تزال ذراعا كارل وساقاه تتخبطان في أنحاء المكان كافة عندما يصل ستان إليهما. يساعد كارل على الخروج من الصندوق ويمسك بذراعه، ويقول: *حسناً، أيها الوغد العجوز القذر. لقد انتهى العرض.*

تقول هيلين: *آه، يا ستان*. وتجري نحوهم وهي مبهورة الأنفاس، وتقول: *لقد نجحت*. وتضع يدها على ذراعه وعيناها مفتوحتان على وسعهما: *كم أنت قوي!*

Twitter: @ketab_n

لا ينظر كارل إلى ميلي، ولكنه يقول لها بطرف فمه: *اذهبي، يا ميلي، اذهبي. سأعثر عليك*. وتنظر إليها شخصيات لعبة التخمين كأنها تتوقّع منها أن تتصرّف بسرعة، لذا تمسك ميلي بساق المانيكان وتتصرّف. تركض متعرِّجةً وسط غابة الناس المحيطين بها ومن حولهم وتحتهم ومن خلالهم. وتغني وهي تركض بأقصى سرعتها، وتخرج من الباب وتعبر موقف السيارات. وبينما هي تركض، تنظر خلفها وترى العبارة لا تزال مكتوبةً هناك بأحرفٍ كبيرة تنزلق بينما ينفتح الباب وينغلق: *إنني هنا يا أمي*.

*

تصعد ميلي المدخل المؤدّي إلى بيتها وتضع ساق المانيكان على الدرج وتحاول أن تفتح الباب، فتجده مقفلاً. تبحث عن المفتاح الاحتياطي تحت الحصيرة وتفتح الباب، ثم تتفقّد الشارع بحثاً عن سيارة الشرطة التي كانت تبحث عنها، ثم تدخل، فتجد البيت بارداً ومظلماً. تشعر الآن بالتعب من الركض كل الطريق من السوق التجارية وتنادي من مدخل البيت: *أمي؟*

تدخل ميلي المطبخ وتنادي: *أمي؟* فتتردّد أصداء الكلمة على الجدران. ترى الصحون مكدّسة في كومةٍ كبيرةٍ في المغسلة، وتشم رائحةً كريهةً تفوح من القمامة. تمشي إلى غرفة الجلوس وتنادي: أمي؟ تبدو الأريكة ضخمةً وفارغةً والتلفزيون كحفرةٍ سوداء كبيرةٍ في وسط غرفة الجلوس. لماذا لم تلاحظ من قبل كم هو كبير وأسود؟ ترى ماذا سيحدث إن كبست زراً فشفط التلفزيونُ البيتَ كلّه كأنه دوامة؟

Twitter: @ketab_n

ترى على طاولة القهوة حاملة الفناجين التي تعوّد أبوها أن يستخدمها، فتقرّبها من الضوء المتسرِّب من النافذة، بينما تتراقص ذرات الغبار حولها في ضوء الشمس. تفركها بأصابعها. إنها سوداء اللون وعليها خارطة صفراء لأستراليا على أحد جانبيها وصورة لامرأة بملابس السباحة على الجانب الآخر. تقربها ميلي من وجهها وتحكّ بها خدّها.

تدخل غرفة نوم أمها وأبيها فتجد الجانب الذي تنام فيه أمها مجعّداً. تتمدّد تحت الأغطية بعض الوقت وتشدّها فوق رأسها. تشعر بالمكان بارداً ومظلماً هناك أيضاً، فتمد يدها إلى جانب أبيها وترفع الغطاء عنه. تقف ثم تضغط راحة يدها على باب الخزانة كأنها تريد أن تترك طبعة عليها. تغمض عينيْها وتفتح الباب. وعندما تفتحهما، لا تجد فيها سوى علاّقات معاطف سلكيةٍ كأنها أكتاف هياكل عظميةٍ بشرية.

تجلس على السرير وتمرّر أصابعها في الهواء فلا تشعر بأي شيء. تود أن تقول: *إنني آسفة، يا أمي. إنني آسفة جداً، يا أمي. إنني آسفة للقيام بالأشياء التي قمت بها.*

هناك حقيقة عن العالم تعرفها ميلي بالتأكيد

أحياناً تكون كلمة *آسف* هي الشيء الوحيد الباقي لنقوله.

ما الذي ينبغي أن تقوله عندما يموت شخص ما؟ هذا ما همسته لأبيها بينما راحت أمها تشاهد برنامج مسابقاتها المفضّل. لقد توفّيت شقيقة فتاةٍ في المدرسة وطلبت المعلمة من ميلي أن تعدّ لها بطاقة.

Twitter: @ketab_n

رفعها أبوها إلى حضنه وهمس لها: *حبيبتي ميلي، لن يموت أحد.*

قطبت حاجبيها جبينها وقالت له: *الجميع سيموتون.*

فقال لها: *حسناً*، وتوقف ثم وضع يديه تحت إبطيها وفتلها لتصبح بمواجهته وقال: *ولكن لا أحد تعرفينه.*

- *جميع من أعرفهم.*
- *ولكن ليس في وقت قريب.*
- *كيف تعرف هذا؟*
- *أعرف وحسب.*

عندما ظهر الإعلان التلفزيوني على الشاشة، قالت أمها: *ما الذي تتحدثان عنه، بحق السماء؟*

قالت ميلي وهي تنظر إلى مؤخرة رأس أمها: *أمي، ما الذي تقولينه لأصدقائكِ عندما يموت شخص يحبونه؟*

التفتت أمها ورمقت أباها بنظرة. أمسكت ميلي من يديْها الاثنتيْن واقتربت من وجهها وقالت: *ليس عليك أن تعرفي أيًا من هذه الأشياء، يا ميلي. فأنت مجرد طفلة، أي فتاة صغيرة. وينبغي عليك... لا أعرف... أن تلعبي بالدمى والألعاب وغيرها هنالك...*

فهزت ميلي كتفيْها.

جلست أمها في كرسيِّها مرةً أخرى ونظرت إليها وقالت: *من الذي تُوفِّي؟*

- *إنها شقيقة بيك زميلتي في المدرسة.*

عاد برنامج المسابقات للظهور على الشاشة مرةً أخرى. فقالت أمها وهي تلتفت نحو التلفزيون: *أرسلي إليهم بطاقةً بعد أن تكتبي عليها شيئًا لطيفًا.*

Twitter: @ketab_n

- *مثل ماذا؟*
- *مثل... هل تمزح معي؟ خذ المال!*

وضع والد ميلي يده على رأسه ابنته، فشعرت بها ضخمة بالنسبة لرأسها. قال: *قولي إنك آسفة لمصابهم.*

- *ولكنها ليست غلطتي.*
- *بالطبع ليست كذلك.* ووضع ذراعيه حولها وضغط رأسها على صدره وقال: *قولي كلاماً لطيفاً فقط، وهذا كل شيء.*

عندما تُوفي والد ميلي في وقتٍ لاحق، أصبحت أمها تجلس أمام التلفزيون طوال اليوم وكل يوم. وضعت ميلي يدها على ذراع أمها وقالت: *إنني آسفة لمصابك، يا أمي.* فعانقتها أمها بقوة لدرجة أن ميلي شعرت أنها بالكاد قادرة على التنفس. وقالت: *وأنا أيضاً آسفة لمصابك، يا ميلي.*

*

تنظر الآن من النافذة من غرفة نوم أمها وأبيها وتتفحّص الشارع بحثاً عن سيارة الشرطة. فتلتقي عيناها عيني السيِّدة المسنَّة التي تقطن في الطرف المقابل من الشارع. فهي أيضاً تنظر من نافذة بيتها. وهي أيضاً، كما تدرك ميلي، فقدت شخصاً ما. لا تعرف ميلي كيف أدركت ذلك، ولكن هذا ما حدث. تسند جبينها إلى الزجاج وتقول لها ببطء محركةً شفتيْها فقط: *إنني آسفة لمصابك..* فتحدِّق السيدة المسنة إليها، ثم تغلق الستائر.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعلّقة على الجدار أمامها وتومئ برأسها باستحسان. وبعد ذلك، تمشي إلى الحمام على صوت تكتكات الساعة، وتحرص على ألاّ تتعثر بخفّ زوجها الذي لم يتحرك من هناك منذ آخر مرة انتعله فيه.

من الساعة 6:05 إلى الساعة 6:45: تجلس في مقعد تسمّيه مقعد عدم التصديق، وتقيس مرونة خدّيْها، والمسافة من صدرها إلى خصرها، ونمو الشعر الغريب على وجهها، وعدد التجاعيد وترهّل الذراعين، وتدوِّن كل هذه المعلومات في دفتر عنوانه: التقدم بالسن. وتسرد الحادثة بأكملها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة. وتصيح قائلة: *إنني أقيس ترهُّل الذراعين.*

6:46: تسمح لنفسها بتنهيدةٍ طويلةٍ عميقة.

6:47: تستحم. وتصيح لنفسها قائلة: *إنني أغسل نفسي الآن.* ولا تصيح بأي شيء محدّد في الحمام.

7:06: ترتدي أحد أطقمها البنية الأربعة. فتصيح: *الجوارب!* وتشدّها حتى سرّتها، ثم تكمل قائلة: *التنورة! البلوزة! الحذاء!*

7:13: تعد الفطور المكون من بيضتين مقليتين وشريحة لحم وقطعة من الخبز الأسمر المحمّص.

7:21: تجلس في كرسي الإزعاج وتقطع فطورها على شكل مربعات صغيرة وتأكل كل مربع على حدة، وتصيح بين كل لقمة وأخرى قائلة: *إنني أتناول اللحم الآن!*

7:43: تجلس على كرسي الفطنة. فتراقب الشارع من خلال الفتحة في نبات اللبلاب وجسدها منحنٍ إلى الأمام ويداها تمسكان بركبتيها. وقد تصيح على أحد المارة وهي تقفز عن كرسيها وتشير بإصبعها كأنها تلعب لعبة المراهنة قائلة: *مليء بالنمش! آسيوي!*

Twitter: @ketab_n

أصلع! ارفع بنطالك! حذاء غبـــي! كثير من دبابيس الشعر! شـــفاه رقيقة! أنف مدبّب! وجه غير متناظر! ركب مدبّبة! تتردّد الكلمات بين جدران غرفتها، وصوتها يزداد ارتفاعاً أكثر فأكثر ثم يصل ذروته في إهانة أخيرة شاملة لا يبدو عليها أنها تحدث التأثير الذي تريده لها: *البشرية محكوم عليها!*

12:15: تنهار على كرسيِّها ككومةٍ مجهدة.

12:16: تسمح لنفسها بأن تمسح عرقها وتستريح.

12:18: يحين موعد الغداء، وهو عبارة عن شطيرة معدّة بقطعة من الخبز الأسمر، ولكنها لا تقطعها إلى مربعات كما تفعل بفطورها بل على شكل شرائط طويلة رفيعة. فتصيح قائلة بينما تتدلّى قطعـــة من الشطيرة من فمها: إن التنوع مهم! إن أردت أن تحافظ على قواك العقلية!

12:47: وقت شاي فترة العصر. تحضر آغاثا إبريقاً مـــن الشـــاي وبعض البسكويت وتجلس عند المدخل على كرسي الامتعاض. تنظر إلى الجدار البني وتصيح أشياء مثل: *جزّازات عشـــب صـــاخبة! جـــيران مزعجون!* وفي بعض الأحيان، لا تستطيع التفكير بأي شـــيء تقولـــه. فتقول وحسب: *جدران بنية!* يجعل الامتعاض وجهها يبدو أكثر تحديداً من المعتاد. ولأسباب لا تستطيع أن تعبّر عنها بالكلمـــات، يتملّكهـــا الرضى من هذا الشعور. فتؤكد للجدار قائلة: *إنني أعشق هذا الشعور!*

1:32: تنظف المنزل وهي تصيح قائلة: *إنني أنظـــف علاقـــات المعاطف!* أو: *إنني ألمع المصابيح الكهربائية!*

3:27: تجلس في كرسي الاختلاف في غرفة الجلوس وتكتـــب رسائل شكوى وتحتفظ بها في صندوق كتب عليه: *للتوزيع بعد كل*

Twitter: @ketab_n

هذا. وتضع خطاً تحت كلمة *هذا*، ولكنها لا تحدِّد ما تقصده بهذه الكلمة.

4:29: يحدث أمر من اثنين. فإما أن تجلس في كرسي الاختفاء وتغمض عينيها وتصغي إلى صوت التشويش الصادر من التلفزيون وإما أنها في حالات خاصة جداً تجلس في كرسي خيبة الأمل وتحدّق إلى خفِّ زوجها الراحل.

5:03: يحين موعد العشاء، وهو عادة عبارة عن طبق من اللحم المشوي والبطاطا والبروكولي، مغطّى بالصلصة.

6:16: تجلس في كرسي عدم الاهتمام وتحتسي فنجاناً من مرق اللحم وتشاهد التلفزيون الساكن.

8:00: تخلع كل ملابسها وهي تصيح باسم كل قطعة على حدة: *الحذاء! والبلوزة! والجوارب!* وتعلّقها في مكانها.

8:06: تجلس في كرسي عدم التصديق وتحدق إلى نفسها في المرآة.

8:12: ترتدي قميص نومها وتطفئ الضوء.

في ظلمة الليل فقط تنزع آغاثا نظارتها الشمسية البنية. وهي تفعل ذلك فقط في سريرها وبعد أن تشدّ الغطاء على وجهها وتغمض عينيْها بإحكام. وحتى عندئذ يظل العالم يشعرها أنه قريب جداً منها ويحوم فوق رأسها على بعد سنتيمترات قليلة. وفي اللحظات الناعمة التي تفصل بين اليقظة والنوم وتلك الفجوة الصغيرة في الوعي حيث تكون مستيقظاً بما يكفي لتدرك، ونائماً بما يكفي لئلا تدرك شيئاً، حوالى الساعة 9:23 تسمح آغاثا لنفسها بأن تشعر بالوحدة.

Twitter: @ketab_n

ولكن اليوم في الساعة 10:36 يتغير كل شيء

ففي الساعة السادسة تماماً، تستيقظ وتتحسّس بيدها بحثاً عن نظارتها البنية.

ومن الساعة 6:05 حتى الساعة 6:45 تجلس في كرسي عدم التصديق وتصيح: *إنني أعد التجاعيد الآن! لا أظن أنني رأيت هذه على ركبتي من قبل!* وتكتب: *تجعيدة جديدة*، تحت بند: *تعداد التجاعيد*.

6:47: تصيح وهي واقفة في الحمام: *سأفتح الماء الآن!*

7:06: *الجوارب! التنورة! البلوزة! الحذاء!*

7:22: *إنني أتناول البيض الآن!*

7:56: تجلس في كرسي البصيرة وتقول: *تركن سيارتك في مكانٍ بعيدٍ عن فتحة المجاري!*

8:30: *الأزهار لا تنمو!*

9:16: *الممشى متّسخ!*

10:12: *إن خوذات الحماية ليست من أكسسوارات الموضة!*

10:36: تمر بها سيارة شرطة تسير ببطء. فتصيح قائلة: *هذا مختلف!*

10:42: السيارة نفسها تسير إلى آخر الشارع من الاتجاه الآخر. فتقول: *وذلك أيضاً!*

10:47: تركض فتاة صغيرة، شعرها أحمر مجعّد، من آخر الشارع وتفتح بوابة آغاثا الأمامية وتركض إلى حديقة بيتها وتختبئ خلف سياجها. فتصيح آغاثا قائلة: *ماذا؟*

10:48: تمر السيارة بها مرة أخرى. فتغوص الفتاة داخل الأعشاب وظهرها نحو السياج وتنظر إلى آغاثا. فتصيح آغاثا: *ماذا؟*

Twitter: @ketab_n

10:49: تسترق الفتاة الصغيرة النظر من فوق السياج وتتأمل الشارع من أوله لآخره ثم تعاود النظر إلى آغاثا وتخرج من حديقتها وتعبر الشارع إلى البيت المقابل. تجرب أن تفتح الباب، ثم تعثر على مفتاح تحت الحصيرة، وتستدير لتنظر إلى الشارع مرة أخرى، وتتوارى عن الأنظار داخل البيت.

10:50: تصيح آغاثا: *ماذا؟*

ظلت آغاثا تراقب هذا البيت منذ ثلاثة أشهر. شاهدت سيارة إسعاف تصل بأضواء مطفأة، ولاحظت الشرشف الأبيض فوق النقالة وعليها جسد مبهم المعالم. رأت سكان الشارع يحيطون بهم حاملين صنوف الطعام ولسان حالهم يقول: الحمد لله أن المصيبة لديكم وليست لدي، ورأت سيارات بائع الزهور مركونة على طول الشارع في صف طويل. شاهدت الأم بجسدها المنكمش الذي يكاد أن يتحوّل إلى جلد وعظم، فصاحت في وجهها ذات مرة وهي تنقر على النافذة: *ينبغي أن تأكلي بعضاً من الطعام الذي يحضرونه لك!* وشاهدت الطفلة أيضاً، وكانت مجرد طفلة.

ثم صاحت عليها: *سأتركك وشأنك. هذا أفضل شيء لك. ثقي بي!* واستندت إلى كرسيها وطوت ذراعيها.

وهكذا، فعندما ترى آغاثا الطفلة الصغيرة تتوارى داخل البيت المقابل لها، تعرف أن والد الطفلة ميت وأن والدتها ليست في البيت. وقد نظرت الأم إلى عينَيْ آغاثا قبل يومين من خلال الفتحة في نبات اللبلاب وزجاج النافذة ثم وضعت حقيبة سفر في سيارتها وقالت عيناها شيئاً لآغاثا؛ شيئاً يشبه الاعتذار كأنه صراخ أو توسّل، أو كأن لسان حالها يقول:

Twitter: @ketab_n

- *كيف تتقدّمين في السن دون أن يهيمن الحزن على كل شيء في حياتك؟*

فتملّكت جسد آغاثا رعشة خفية.

لم تستطع آغاثا أن تدرك ما يجري ولكنها استطاعت أن تفهم أن شيئاً ما يحدث، فصاحت: *شيء ما يحدث هنا! ثمة شيء في غير مكانه الصحيح!* ثم وقفت وقرّبت وجهها من الزجاج فشاهدت الأم والطفلة الصغيرة تنطلقان بسيارتهما إلى آخر الشارع. لقد استطاعت آغاثا أن تشعر بما يجري.

هناك شيء ما كان يحدث.

11:37: تحاول آغاثا أن تنسى كلّ ما يتعلّق بعودة الفتاة الصغيرة. تحاول أن تنسى وجه الأم وحقيقة عدم وجود أي سيارة عند مدخل البيت. تحاول أن تركّز على كل البيوت التي تستطيع رؤيتها باستثناء البيت المقابل لها. فتصيح: *المرج غير مستوٍ! أستطيع رؤية أعشاب ضارّة هناك! كلبكم بشع! أولاد كثيرون! وهم بشعون أيضاً!*

ولكن عندما ينفتح باب البيت المقابل، تظهر الفتاة. فتراقبها آغاثا تعبر الطريق وتفتح بوابة بيتها وتمشي في مدخل بيتها، فتصيح آغاثا: *ماذا؟* تدق الطفلة الصغيرة على الباب الأمامي لبيت آغاثا، وترى آغاثا الفتاة تمسك بقطعة من الورق. فتصيح المرأة المسنة من خلال النافذة: *كلا، شكراً! لديّ ما يكفي!* فتختفي الفتاة ثم تعود وبحوزتها قفص بلاستيكي، فتدخله بصعوبة وتضعه تحت نافذة آغاثا وتقف عليه بحيث تصبح وجهاً لوجه مع آغاثا من خلال زجاج النافذة.

Twitter: @ketab_n

تقدم لها الفتاة الصغيرة قطعة ورق، وتسأل: *ما هذا؟*

فتنظر آغاثا إليها بإمعان وتقول: *إنْ أخبرتك، فهل ترحلين؟*

تومئ الفتاة برأسها موافقة.

- *إنه خط رحلة.*
- *ما هو؟*
- *هذه قطعة من الورق تحدّد المكان الذي يسافر إليه شخص ما. أهذا اسم أمك؟*

تومئ الطفلة برأسها مرة أخرى.

لقد سافرت إلى ميلبورن قبل يومين. تسكت آغاثا قليلاً، ثم تقول: *وستسافر إلى أمريكا بعد ستة أيام.* تحدّقان إحداهما إلى الأخرى من خلال الزجاج. فتقول آغاثا: *الآن ارحلي.*

اليوم التالي

7:43: تقف الفتاة الصغيرة عند النافذة في البيت المقابل وهي تراقب آغاثا. تحدّقان إحداهما إلى الأخرى. فتقول عينا الفتاة شيئاً مثل:

- *كيف تتقدّمين في السن؟*

8:07: تعلّق آغاثا كيس وسادة على النافذة كي لا ترى شيئاً من خلال الفتحة في نبات اللبلاب.

9:13: تسمع دقّاتٍ على النافذة فتقفز. تسمع صوت الفتاة الصغيرة: إنني جائعة. فترفع آغاثا صوت التلفزيون إلى الحد الأقصى شششششش....

12:15: تزيل آغاثا كيس الوسادة، فترى أن الطفلة لا تزال تراقبها من خلال النافذة المقابلة ولكنها الآن تجلس على كرسي.

Twitter: @ketab_n

3:27: تحاول آغاثا أن تكتب رسائل شكوى، ولكن كل ما يسعها التفكير بكتابته هو: *عزيزتي والدة الطفلة الصغيرة: من تظنين نفسك؟*

4:16: لا تزال الطفلة تنظر من خلال نافذتها، فتعجز آغاثا عن التركيز. وكل ما تستطيع التفكير فيه هو وجه الأم ومدخل السيارات الفارغ. وقبل أن تدرك ما تفعل، تجد نفسها تشق طريقها عبر أكوام الرسائل، وتفتح الباب حاملةً في يدها بعض البسكويت وكوباً من الشاي. تشعر بالهواء منعشاً جداً على وجهها وعلى جسدها بأكمله. لم تشعر بشعور الهواء المنعش على جسدها بأكمله بهذا الشكل منذ.... منذ وقت لا تتذكّره. تستطيع أن تشعر به يهب على ساقيها ويتخلّل جوربيها. وتشعر بوخزٍ في جلدها وينقطع نفسها، وتقول في سرِّها: *هذا مختلف!*

تلاحظ أن الأعشاب حول بابها الأمامي مرتفعة جداً. فتحييها عندما تخرج كأنها مجموعة من الأشخاص الذين يعانون من سوء التغذية، وتصيح بها قائلةً: *لن تحصلي على أي شيء مني!* وتلوِّح بمرفقيها يميناً ويساراً وهي تشق طريقها إلى الأمام بغضب. تقف عند بوابتها الأمامية وتواجه الشارع وتصيح: *هناك كثير من الصدوع في الممشى. إنني أعبر الطريق الآن! السياج فاخر جداً! احترسي، أيتها السيارة، لن أقف لك! ليس ذلك صعباً على الإطلاق! إنني أمشي فقط على أي حال! فقد فعلت هذا ملايين المرات! ما دام لديّ ساقان يمكنهما المشي، فينبغي أن أستخدمهما!*

تصعد آغاثا المدخل المؤدي إلى بيت الفتاة الصغيرة وتدق على الباب، فتفتح لها الطفلة.

Twitter: @ketab_n

تقول الطفلة: *مرحبًا*.

تعطي آغاثا الطفلة طبق البسكويت وفنجان الشاي. فتحدق الفتاة الصغيرة إلى هذا العرض السخي. تقول آغاثا: *حسنًا*! فتأخذ الفتاة الطبق ولكنها تتجاهل الشاي. فتسألها آغاثا: *هل اتصلت بأمك؟*

تضع الطفلة الطبق على طاولة قريبة وتبدأ بالتهام إحدى قطع البسكويت. فهي لا تريد أن تنظر إلى عيني آغاثا. تجيب قائلة: *إن هاتفها مقفل*.

- *بأقربائك إذًا*. وتنظر آغاثا إلى فنجان الشاي وترتشف منه وتقول: *بأحدٍ منهم؟*

تقول الطفلة: *إن خالتي تعيش في الشرق؛ ميلبورن*. تشعر آغاثا أن هناك عملاقاً يلوح لها في الأفق. ترى هل كانت ضئيلة هكذا طوال حياتها؟ *ولكن أمي تقول إننا لسنا بحاجة إلى أحد*.

- *أحقًّا فعلت؟ هل جرّبتِ الاتصال بخالتك؟*
- *لا أعرف رقمها*.
- *أليس لديك أي دفتر لأرقام الهواتف؟*
- *إنه موجود لدى أمي في هاتفها*.
- *ابحثي عنه في الدليل!*
- *ما هو الدليل؟*
- *ما اسمها؟*
- جودي.
- جودي ماذا؟
- جودي خالتي.

Twitter: @ketab_n

- *الخالة جودي! من ميلبورن!* تلتفت آغاثا وتمشي عائدة إلى مدخل البيت. *ما الذي يفترض بـــي أن أفعله حيال هـــذا!* ترفع إحدى ذراعيها في الهواء، مما يجعل الشاي ينسكب من حافة الفنجان.

تجري الفتاة الصغيرة خلفها وتقول: *لقد توفي أبـــي.*

- *نعم، حسناً.* وتلتفت آغاثا إلى الفتاة وتقـــول: *وكـــذلك أبـــي!* وترتشف الشاي بقوة.
- *متى توفي؟*
- *قبل ستين عاماً!*
- *لقد توفي والدي قبل ثلاثة أشهر!*
- *هذه ليست منافسة! ولكن إن كانت كذلك، فقد عشـــت بدون أبـــي لمدة أطول! إذاً!*
- *ماذا حدث في جنازته؟*
- *أيُّ سؤال هذا؟*
- *لم تسمح لي أمي بالذهاب إلى جنازة أبـــي.*
- *حسناً، هذا على الأرجح أفضل شيء بالنسبة لك!*
- *لماذا تصيحين؟*
- *لماذا تهمسين؟*
- *لست كذلك.*
- *ولا أنا.* تلتفت آغاثا لتواجه الشارع، ولكنها تتوقف ثم تحدق إلى البيت من بعيد. وتحتسي حسوة أخرى من الشاي وتعاود الالتفات نحو الطفلة وتسألها: *هل أعيش هناك؟*

تومئ الطفلة برأسها.

Twitter: @ketab_n

- *ولكنه...* ولا تستطيع آغاثا أن تكمل جملتها. فهو ذلك البيت في الشارع الذي يخافه الأطفال وينظر إليه الراشدون بعين الاحتقار أو الشفقة. تعاود الالتفات إلى الطفلة الصغيرة وتقول: *هل أنت واثقة من أنني أعيش هناك؟*

تومئ الطفلة برأسها مرةً أخرى، وتقول: *هلّا تساعديني في العثور على أمي؟*

تستفيق آغاثا من تأملاتها، وتقول: *بالطبع لا! لديّ أشياء أقوم بها! إنني مشغولة جداً! اذهبي إلى الشرطة!*

- *لا يمكنني ذلك. فهم يريدون أن يمنحوني أمًّا وأبًا جديدين.*

فتصيح آغاثا وهي تخطو بخطوات واسعة نحو بيتها: *عودي إلى الداخل. وواصلي محاولة الاتصال بأمك!*

6:16: تجلس في كرسي عدم الالتزام، وتشرب فنجاناً من مرق اللحم، وتشاهد التلفزيون الساكن.

6:24: بدأ التلفزيون الساكن يشبه وجه الطفلة الصغيرة.

6:25: تصب ما تبقى من مرق اللحم في المغسلة.

6:26: تخلع كل ثيابها: *الحذاء والبلوزة والجوارب*، وتعلّقها في الخزانة.

6:31: تجلس في كرسي عدم التصديق وتحدّق إلى نفسها في المرآة.

6:33: أصبح وجهها يشبه وجه الطفلة الصغيرة. تسقط الساعة المتنقلة عن مقعد الحمام، فتتحطّم على سيراميك الأرضية.

6:45: تحدّق إلى الساعة المحطمة.

6:46: ترتدي قميص نومها وتطفئ الضوء.

Twitter: @ketab_n

وفي اليوم التالي

5:36: تدق آغاثا على باب بيت الطفلة الصغيرة وفي يدها طبق مليء باللحم المشوي والبطاطا والبروكولي والصلصة.

تقول الفتاة: *شكراً لكِ*. وتبدأ الأكل بأصابعها من الطبق مباشرةً وهي واقفة.

- *ماذا تفعلين؟*

تقول الفتاة ووجهها ملطّخ بالصلصة: *ماذا تقصدين؟*

- *ينبغي أن تكوني في الخارج! تلعبين! فأنت مجرد طفلة! لا تقومي بمجرد الجلوس عند النافذة!*

- *أنتِ تفعلين هذا.*

- *ولكنني سيدة مسنّة! ويمكنني أن أفعل هذا! ويمكنني أن أفعل ما يحلو لي! هذا ما يحدث عندما تتقدّمين في السن! دوِّني هذه المعلومة! فهي مهمة.*

- *إنني مختبئة.*

- *ممن؟*

- *من هيلين وستان، ومن أمي وأبي الجديدين، ومن الشرطة.*

تحدق إليها آغاثا وتسألها: *ماذا فعلت؟*

فتجيب الفتاة الصغيرة: *لا أعرف*، وتجهش بالبكاء.

8:12: ترتدي آغاثا قميص نومها وتطفئ الضوء. وبينما هي تصعد إلى السرير، تتعثّر بشيء طري، فتشعل الضوء.

8:13: تركل خفَّ زوجها إلى الجانب الآخر من الغرفة.

Twitter: @ketab_n

8:14: تشعل آغاثا ضوء غرفة النوم وتنظر إلى نفسها في المرآة ويتملّكها، مرة أخرى، الشعور بشيء غريبٍ يتصاعد في حنجرتها. وتصيح قائلة: *إنهم يقنعونني بذلك.*

في اليوم الذي بعده

6:00: تشعر آغاثا بأنها نالت كفايتها.

7:43: تحزم حقيبتها الكبيرة على كل شيء تحتاجه: كتاب التقدم بالسن، وساعتَي يد، وساعة ببطارية صغيرة من الخزانة، وملابس داخلية احتياطية، وبلوزتين وبعض البسكويت ومرطبانٍ من مرق اللحم ودفتر ملاحظاتها لكتابة رسائل الشكوى.

8:12: تدق آغاثا على باب بيت الطفلة الصغيرة، وتمسك بحقيبتها بإحكامٍ، وتحكم تثبيت أزرار سترتها.

تقول آغاثا عندما تفتح الفتاة الصغيرة الباب: *هل جرّبتِ الاتصال بأمكِ مرة أخرى؟*

فتطرق الصغيرة أرضاً وتقول: *لا يزال هاتفها مقفلاً.*

- *عندما نصادف أول هاتفٍ من تلك الهواتف التي تعمل بالنقود سوف تتصلين بها!*

تلاحظ الفتاة حقيبة آغاثا وتسأل: إلى أين أنت ذاهبة؟

- *وسوف تتصلين بها طوال الطريق! لن نسمح لها أن تنجو بفعلتها بهذه السهولة!*
- *هل ستصطحبينني إلى مكانٍ ما؟*
- *إن كنتِ تظنين أنّ إحدى تلك الطائرات النفاثة ستقلّني، فمن الأفضل أن تعيدي التفكير.*

Twitter: @ketab_n

- *أرجو المعذرة.*
- *ولا يمكنني أن أصطحبك إلى الشرطة! فأنا أعرف ما يفعلونه بنساءٍ مثلي! يعشن في بيوت كتلك!* وتشير نحو بيتها، وتقول: *سوف يحبسونني في مكان ما ويضعونني مع مجموعة من الناس الذين يسيل لعابهم طوال الوقت!*

تبدو الفتاة غير واثقةٍ ممّا تفعل، فلا تحرِّك ساكناً.

- *لا تقفي في مكانكِ كأنكِ تمثال من حجر! احزمي حقيبتكِ!*

تختفي الفتاة لحظةً ثم تعود ومعها حقيبة ظهر.

- *أهذا كل شيء؟*

تلتقط شيئاً بلاستيكياً طويلاً ممدّداً على الأرض بجانب الباب وتومئ برأسها.

فتقول آغاثا: *ما هذا، بحق السماء؟*

تضمها الفتاة إلى صدرها وتقول: *إنها ساق تمثال.*

- *يا إلهي! حسناً، هيا بنا إذاً! سنذهب إلى ميلبورن!*

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

لم يكن كارل يملك جهاز كمبيوتر، ولا آلةً كاتبةً، ولا حتى لوحة مفاتيح، بل تعوّد أن يطبع بأصابعه على أغطية سلات المهملات، وفي الهواء، وعلى رؤوس الأطفال الصغار، وعلى ساقيه. وكان يطبع أسئلته بأنامله قبل أن يطرحها على الناس ليتأكّد من أنه يريد ذلك. في داخل بيته، وقبل أن ينتقل إلى بيت ابنه، تعوّد كارل أن يرسم لوحات مفاتيح على طاولات القهوة والجدران وستائر الحمام. فلطالما أحب الطريقةَ التي تجعل فيها الطباعة يديه تتحرّكان، والطريقةَ التي تتراقص بها الأصابع بعضها مع بعض. وظل يراقب أصابع أمه ثم أصابع إيفي في نهاية المطاف وهي تتقافز على المفاتيح كقطرات المطر المتساقطة على الأسفلت الساخن. فكان يجد الهيئة، التي تثني بها المرأة أصابعها وهي تطبع، أنيقةً ومثيرةً كقوس قدمها أو مؤخّر عنقها.

*

عندما ودّعه ابنه في بيت الرعاية، قال هل: *سأراك لاحقاً، يا أبي*. وقبّله على خده. فشعر كارل بوجه ابنه يخدش وجهه. ولم يستطع أن يدرك كيف أصبح على ابنه فجأة أن يحلق لحيته. لقد مضت الحياة كلمح البصر. والآن، بات هنا جالساً على سرير، في غرفة مليئةٍ بالرجال المسنين الذين لا يتحكّمون في حاجاتهم الطبيعية. وقف عند النافذة وراقب ابنه يعبر موقف السيارات، فلطالما مشى ذلك الشاب بعزمٍ وإصرار. قال كارل في سرّه: متى قرر أن يمشي بتلك الطريقة؟ لطالما بدت خطوات إيفي خفيفة وغير

Twitter: @ketab_n

متوقعة كالملح المتساقط من المملحة. أما ابنه، فقد بدا على يقين من أن كل خطوة تقربه من شيء ليس واثقاً منه، من الكعب حتى إصبع القدم.

*

كانت الفكرةُ فكرةَ كنّته آيمي. *إنني أدخل إلى بيتي الخاص وأحضِّر نفسي لرؤية رجل ميت جالس على الكرسي.* هذا هو ما سمعها ذات مرة تقوله من خلال الجدران الرقيقة التي تفصل غرفتهما عن غرفته. كانت امرأة صغيرة الحجم، يسبقها عطرها دائماً.

أجاب ابنه قائلاً: *إنه أبي.*

– *وأنا زوجتك! وسكتت ثم قالت: أنت تعرف ما قاله الطبيب عن ضغط دمي.*

ساد صمت طويل. فاستلقى كارل على سريره ويداه ممدودتان بشكل مستقيم على جنبيه كأنه يستعد للانطلاق كقذيفة مدفع.

قال ابنه أخيراً: *حسناً.* يضغط كارل أصابعه بعضها على بعض، فيقول الابن: *سأتحدث إليه.*

أدار كارل رأسه جانباً وشعر بملمس الوسادة على خده. أمعن النظر في الظلام، وهمس قائلاً: *إيفي!* ومد يده كأنها عرض سلام. وتلمس جسدها في الهواء براحة يده المفتوحة. حاول أن يشعر بأنفها على أنفه، وبأنفاسها على وجهه، وبيدها على ظهره، وهمس مرةً أخرى: *إيفي!* فتلك هي الكلمة الوحيدة التي خطرت بباله. وضع يده على الوسادة بجانب رأسه وأغمض عينيْه.

Twitter: @ketab_n

حين استيقظ كل من سكوت وآيمي للـذهاب إلى العمـل في صباح اليوم التالي، وجدا أن كارل استيقظ قبلـهما، وأن حقيبتـه جاهزة عند قدميه. اعتمر قبعته وتناول القفازين اللـذين تعـوّد في الماضي أن يستخدمهما في قيادة السيارة.

توقف سكوت عند باب المطبخ وقال: *أبـي!*

تنحنح كارل وقال: *أظن أنني مستعد للمضي قدمًا*، وراح ينقر بأصابعه على الطاولة.

سحب سكوت كرسيًّا بجانبه وجلس عليه، وشـبك كـارل أصابعه بعضها ببعض، فوضع سكوت يده بعناية على يـد كـارل. وبينما راح كارل يمرر إصبعه المكسو بقفازه على يد ابنه، ظل يفكر: *أنا من ربّيت هذه اليد.*

*

جلس كارل على حافة سريره، فقد بات الآن يقيم في غرفة مع أربعة رجال آخرين. بدا لون جلدهم الشاحب يناسب لون الجدران. كانوا مستلقين جميعاً في أسرتهم في حالة مللٍ، وأفواههم مفتوحـة، وعيونهم ترمش كأن عليهم أن يذكّروا أنفسهم بفعل ذلك.

قال كارل بصوت مرتفع: *إذًا، ها نحن هنا!*

توقفت ممرضة عند مدخل الباب ونظرت إليـه قائلـة: هـل *ستخرج ملابسك من الحقيبة، يا عزيزي؟*

فأجاب قائلاً: *بالطبع، ولكنني أستريح قليلاً.*

ابتسمت الممرضة، فوجد ابتسامتها جميلة. قالت وهي تتّكـئ على إطار الباب: خُذْ وقتك، ولكننا سنقدم العشاء في غضون ساعة.

Twitter: @ketab_n

غمزت له بعينها واستدارت، وشعرها المربوط على هيئة ذيل حصان يترجّح من خلفها، وذهبت.

لم يكن الظلام قد حلّ بعد عندما مشى كارل إلى آخر الممر حيث غرفة الطعام، ليتناول عشاءه. وجد الساعة على الجدار تشير إلى الرابعة والنصف مساء. دفع أحدهم نحوه طبقاً من طعامٍ غير محدّد، ففكّر كارل في سرّه قائلاً: *هكذا هو الأمر*. جلس إلى طاولةٍ طويلةٍ كتلك التي يراها في الأفلام التي تحكي قصصاً عن السجون، وكان لا يزال يرتدي قفّازيه وقبّعته.

سحبت الممرضة ذات ذيل الحصان كرسيًّا بجانبه وأمسكت يده ونظرت إلى عينيه وقالت: *هل أنت بخير، يا عزيزي؟*

لم يستطع أن يتذكّر متى كانت آخر مرةٍ نظر فيها أحد إلى عينيْه بهذا التمعّن. أغمض عينيْه وسمح لنفسه بالاستغراق في هذه اللحظة. وفكّر في أنه إنِ استطاع أن يريح رأسه على صدرها، فهذا سيجعل المكان مقبولاً.

وبدلاً من ذلك، نظر إليها بعينيْه المسنّتين، وقال وهو ينقر على راحة يدها: نعم، شكراً لكِ.

شعر بجسده مثيراً للشفقة مقارنةً بجسدها، فهو مسنّ ومنكمش، ولكنها نظرت إليه بعطفٍ جعله ينسى ذلك، ثم نهضت ومشت مبتعدةً بينما جلس في مكانه وهو يتأمل طبقه المكوّن من شيء يشبه البازلاء المهروسة. فكّر كم يتوق لأن تجلس بجانبه وتضحك معه وتلاطفه أمام الجميع. وبينما هو يستسلم لوجبة البازلاء ويتناولها بالملعقة ويضعها في فمه ويشعر بها تمر من حنجرته، قال في سرّه: *إنني لا أفعل ما أريده مطلقاً*.

Twitter: @ketab_n

هذه هي الأشياء التي يعرفها كارل عن الطباعة على الآلة الكاتبة

عندما كان كارل طفلاً صغيراً كان رأسه مليئاً بأفكار كبيرة، تعوّد في بعض الأحيان أن يدّعي المرض لكي يتسنّى له مرافقة أمه إلى العمل. كانت أمه تعمل في غرفةٍ كبيرةٍ مليئةٍ بالنساء اللواتي يطبعن على الآلات الكاتبة. فتعوّد كارل أن يجلس تحتها، ورأسه يلامس أسفل كرسيها، وساقاها المثاليتان مضمومتان إحداهما إلى الأخرى بتماسكٍ لدرجة أنك تحتاج إلى عتلةٍ لتفريقهما. ومع ذلك، فهناك شيء لطيف حيال استدارة ربلتي ساقيها. لم يعد يتذكّر من أمه إلا أجزاء صغيرة الآن، كساقيها وأصابعها وانعكاس صورتها في المرآة.

بدت له النساء قادماتٍ من عالمٍ آخر كأنهن شيء يمكن حفظه في صندوقٍ زجاجيٍّ أو على أحد الجدران. أغمض عينيْه تحت كرسيٍّ أمهٍ وأرهف السمع، فكان صوت الطباعة عالياً وقاسياً لا رحمة فيه. راح يتأمل كل أولئك النساء الجميلات بأجسادهن الساكنة بشكل مثالي، وأصابعهن التي تحارب الآلات الكاتبة.

بدأت الأمور تتطور بالنسبة لكارل عندما تعلّم مصطلح الطباعة باللمس، فأدرك أنه لم يكن على أولئك النسوة أن ينظرن إلى أصابعهن ليجعلنها تتحرك بأسلوب دراماتيكي. جعله هذا يشعر بشعورٍ لا يفهمه، ولم يعرف أن لذلك علاقه به هو إلى أن قابل إيفي.

بعد أن أمضى يومه الأول في مدرسة تعليم الطباعة، وذلك بعد سنوات عدّة، جلس كارل بجوار طاولة المطبخ وأقحم أطراف أصابعه في وعاء من الأرز الساخن، فاحمرّت وآلمته. أسعده أن يرى أثر الألم

Twitter: @ketab_n

على أطراف أصابعه وأن يشعر به يصعد إلى ذراعيه كأنه شيء يحاول الدخول إليه، وأمده ذلك بشعورٍ رائع.

للمرة الأولى في حياته، شعر أنه في موقع قوة، بالطريقة الحاسمة التي بدأ فيها يستخدم أصابعه والمفاتيح تتطاير على الصفحة كأنه يكيل لها اللكمات. وأحب القدرة الكامنة في تلك الصفحات البيض التي تبدأ فارغةً ثم تتحوّل إلى شيء مهمٍّ وإلى صفحاتٍ مليئةٍ بالكلام. وشعر بأنه هو أيضاً يمكنه أن يصبح شيئاً مهماً.

خلال اليوم، كان يملأ الصفحات بجملٍ عديمة المعنى عن القطط والكلاب، وعن شخصيات وهمية مثل فلان وعلاّن، ويطبعها كأنها أهم الأشياء التي يمكن للمرء أن يقولها على الإطلاق. وبحلول الليل، أصبح يحلم بتمارين الطباعة. وفي الصباح، تعوّد أن يعيد التمارين في الحمام، ويغمض عينيه، ويترك الماء ينساب على وجهه، بينما تضيء الحروف في عقله ومخيّلته.

أعجبته فكرة مشاهدة أصابعه وهي تتنقّل عبر المفاتيح. وتملّكه إحساس أنه ربما يكون هو نفسه مخلوقاً جميلاً لأنه بات يصنع شيئاً مهماً. لم تكن طباعته على الآلة الكاتبة شبيهة بالموسيقى التي يعزفها العازفون في الصالات، أو الأعمال الفنية التي يعلّقها الفنانون على الجدران، ولكنها شكّلت في نظر كارل أهميةً وقيمةً بقدر كلا الأمرين، وربما أكثر.

إيفي

قابل كارل إيفي في مدرسة الطباعة. وفي نهاية المطاف، أصبح يعشق الطريقة التي تضع بها يدها على صدرها وهي تتحدث، كأنها

Twitter: @ketab_n

تحاول أن تمنع قلبها من السقوط. ومع ذلك، فعندما التقيا أول مرة لم يخطر بباله سوى أن اسمها جميل لينطق به أثناء مغازلتها. في ذلك الوقت، كان يعرفها باسم إيف (حواء). أما اسم إيفي، فقد أتى لاحقاً بعد أن أصبح يعرف ركبتيْها ومرفقيها وسرّها أكثر مما يعرف تلك الأجزاء نفسها من جسده هو. وشعر منذ البداية أن اسمها غير مكتمل بدون حرف الياء في نهايته، كأنه معلق في الهواء بدون سبب.

بعد شهرين، جرت بينهما خلالهما ثلاث محادثات، لم يعد ممكناً أن تغيب عن ذهنه عيناها ولمساتها وطريقة مشيتها. فإن حضرت إلى الغرفة، أصبح عاجزاً عن التفكير في أيّ شيء آخر سوى حضورها. فقد كانت حرارتها وطاقتها حاضرتين بشكلٍ يعجز عن تجاهله. و لم يكن عقله فقط هو ما شغله بالأشياء المتعدّدة، التي من الممكن أن تحدث حالما تعطيه الإذن بالتعرف إليها، بل جسده أيضاً. فقد شعر بحاجة للوجود بقربها كأن بشرته على وشك أن تندلع فيها النيران إن لم تمسّها.

ذات ليلة، خرجت من باب الصف وهي ترقص، وعيناها تركّزان عليه. فجلس كارل أمام آلته الكاتبة وهو يفكر: أصابع إيف... يدا إيف... ابتسامة إيف... شعر إيف. وعندما انتهى من عمله، نزع بصعوبةٍ شديدةٍ بعض الأحرف من آلته الكاتبة، ومشى بهدوء إلى مكتب إيف ونزع حرفين آخرين، وثبّت الأحرف على أطراف أصابعه؛ كلمة "هل" على اليد اليمنى، وكلمة "تتزوجينني" على اليد اليسرى. وظهر عند عتبة بابها في الضوء الخافت، ورفع يديه إلى جانبي وجهه وهو يحرّك أصابعه. فوضعت يديْها على ذراعه وطبعت تقول: *نعم، شكراً لك.*

Twitter: @ketab_n

كان يوم زفافهما بسيطاً؛ لا فخماً ولا شديد الهدوء. لم يحدث أي خطأ فعلاً ما لم نأخذ بعين الاعتبار استغراق عازف الكمان في النوم في مكانه أثناء عزف أغنية العروس. ولكن، حتى هذه الحادثة لم تزعج كارل. إذ عندما سقط رأس العازف على المفاتيح وصدر ذلك الصوت الرهيب من النغمات النشاز وتردّد صداها في أنحاء الكنيسة كأنها لحظة تشويق في أحد الأفلام، شعر كارل أن حياته تستحق هذا التشويق كأنها فيلم من أفلام الإثارة.

وقف كارل أمام دار العبادة وهو يحس بالعرق يتجمع في خطوط راحتي يديه، ويشعر بعيون طابعات الآلات الكاتبة الجالسات على بعد صفّين من الكراسي كأنهن طيور على حبل مستقيم. رأى سيقانهن كلها متصالبة بشكل متطابق، وكل شيء حيالهن يبدو منسجماً مع الزاوية التي تميل إليها رؤوسهن. تساءل في سرّه: *هل كانت هؤلاء النسوة هكذا منذ زمن طويل؟* فقد وجد أن هناك شيئاً غير مريح حيالهن.

وقفت إيفي مقابله وهي تنظر إليه بحرارة بوجهها العادي غير المميّز. لقد أحب ذلك الوجه العادي غير المميّز؛ النمش المتناثر والأنف غير المثير للاهتمام والشفتين الرقيقتين والعينين العاديتين. عندما سُئِل عن مظهر إيفي، أُصيب كارل بالحيرة وهو يحاول وصفه. فقد أدرك أن ثمة صفات توحي بالنقص في كلمة "عادي"، لذا فقد كذب وقال إنها جميلة. كان يعرف أن النساء غريبات ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتهن. إذ أنهن يعثرن على كل مدلول ممكن لكل كلمة يتفوّه بها المرء كأنهن موشور يحلل الضوء ويصنع منه كثيراً من الأشكال على الجدار. فتعلم منذ نعومة أظافره ألا يتفوّه إلا بالقليل وأن يتظاهر بأنه

Twitter: @ketab_n

بطيء الفهم. فقد اكتشف كارل أنك عندما لا تتكلّم كثيراً، فإن النساء يفترضن أنك عميق وغامض. ولا يدركن، لأي سبب كان، أنك في الواقع... غبي.

كان فستانها أبيض باهتاً، خالياً من أي زركشات، كمواعين الورق التي يضعها في الآلة الكاتبة يوماً بعد يوم. أما خاتم الزفاف الذي أهداها إياه، فقد كان مصمّماً خصّيصاً لها من خاتم فضي عادي، عليه مفتاح آلة كاتبة مثبت عليه يحمل علامة & بدلاً من الحجر الماسي. وفي وقت لاحق من تلك الليلة، نزعت فستانها في ضوء القمر واستلقت على السرير كأنه سريرها. فطبع على القماش: *إنني مسرور جداً لأنني التقيتك، يا إيفي*. ولكنه لم يطبع كأنه يحارب القماش أو يكيل اللكمات له بل طبع عليه برقة كأنه يطبع على كوب من الماء ولا يريده أن ينسكب.

وعندما طبع على عظمة ترقوتها: *إنني هنا، يا إيفي*، بلطف شديد لدرجة أنه بالكاد لمسها، قربت شفتيها من أذنه وهمست له: *وأنا أيضاً*.

الحب

في حياتهما معاً، لم يذهب كارل وإيفي إلى أي مكان على الإطلاق. فقد كان كل واحد منهما بلداً أجنبياً في نظر الآخر.

عبّرت إيفي عن رأيها بذلك قائلة: *إن الناس التعساء فقط هم من يغادرون أوطانهم*.

فقال وهو يطبع على ذراعها: *وليس علينا أن نغادرها*.

قالت وهي تسند جبينها على ذقنه: *نعم، ليس علينا أن نغادر*.

Twitter: @ketab_n

عاشا حياةً بسيطةً كلها أشجار وزهور ومحـيط وجـيران. لم يتسلّقا الجبال أو يتحدّيا منحدرات الأنهار أو يظهرا على التلفزيـون. لم يتناولا لحوم حيوانات غريبة في بلدان آسيوية نائيـة، و لم يجوِّعـا نفسيهما أو يحرقا جسديهما من أجل مصلحة عليا، و لم يلقيا خطبـاً مثيرة أو يغنيا في مسرحية موسيقية أو يقاتلا في حلبة مصارعة. لـن يذكر أحد اسميهما في كتب تعليم الأطفال المدرسية ولن يطبع أحـد وجهيهما على العملات النقدية. لن يشيد لهما أحد تمثـالاً تخليـداً لذكراهما. وعندما يموتان، سيختفي اسماهما كمـا تلاشـت آخـر أنفاسهما وسيصبحان مجرد مثار فضول لزوار المقبرة ولا أكثر مـن ذلك.

ولكنهما أحبا أحدهما الآخر فزرعا النباتات وشربا الشـاي في فترة العصر ولوحا للجيران. شاهدا برامجهما المفضلة معاً كل أمسية. تبادلا هدايا عيد الميلاد مع الجزار وبائع الفاكهة والخبـاز. أعطـى كارل الشاب الذكي الذي يعمل في محل بيع الصحف آلـة كاتبـة قديمة، وحاكت إيفي قفازات صوفية للفتاة التي تعمـل في المناوبـة الصباحية في متجر البقالة. وحلّ كارل ضيفاً في الصـف السـادس الابتدائي في المدرسة المحلية ليتحدث عن تاريخ بلدهم. أما إيفي، فقد حلّت ضيفة في الصف السابع لتشرح كيفية إعداد كعكة الفواكـه. تعوّد كارل أن يتسلّى في كوخ الحديقة بينما اعتادت إيفي أن تتسلّى في المطبخ. كانا يخرجان في نزهات طويلة في الصباح والمسـاء عـبر السهول المحلية والبلدة وعلى طول الشاطئ. لم تكن حياتهما تتعـدى مساحة عشرين كيلومتراً تحيط ببيتهما.

Twitter: @ketab_n

تذكّر أنهم لم يسمحوا له بالتحدث إليها وهي مستلقية هناك تحت رحمة الآلات والشراشف المنشاة، وشعر بكلماته التي تطفو في الهواء بدون كلماتها مخيفةً ومرعبة. ظلت نائمةً طوال الوقت، ولكنها راحت بين الحين والآخر تفتح عينيْها فتدوران في محجريْهما كعينَي طفلٍ حديث الولادة.

نهض ورفع الشرشف المشدود عليها بإحكام كأنها كائن مخيف يريدون حبسه وتقييده على السرير. وضع يديه على ذراعها التي لم يبقَ منها، في الحقيقة، سوى جلدٍ على عظمٍ لا أكثر. طبع عليها بلمساتٍ ناعمةٍ أنعم من الأنفاس: *إنني هنا، يا إيفي*. وبعد ذلك مشى إلى الجانب الآخر من السرير ووضع راحتَي يديه على ذراعها الأخرى. شعر أن بشرتها لم تعد على حالها، فقد ملأتها كدمات أرجوانية اللون بأشكالٍ محدّدةٍ كأنها خرائط دول غير معروفة. قال في سرّه: *أنتِ دولتي الأجنبية*، ولكنه بدلاً من ذلك طبع عليها: *إنني هنا، يا إيفي*. رفع ثوب المستشفى إلى أعلى ركبتيها بقليل فوجد فخذيْها تكادان أن تتلاشيا من فرط ضعفهما، ووضع راحة يده المفتوحة على إحداهما فشعر بالخواء. بدأ يجهش بالبكاء دون أن يقدر على كبح دموعه بعد أن سيطر عليه الوهن. هيمن خواء كثير على قلبه، ففكّر بأن يحوّل ذلك الخواء إلى شيء ما. طبع بأصابعه هذه المرة بقوة وتصميم، وراقب أصابعه وهي تتحرّك على بشرتها. أراد من كل قلبه أن تشعر بجمال حركة أصابعه وهو يطبع: *إنني هنا يا إيفي*، مراراً وتكراراً على فخذها وركبتها وتحت ذقنها، كخطٍّ نملٍ يمشي على طول ساقها. انحنى على السرير وطبع على ساقها

Twitter: @ketab_n

الأخرى: *إنني هنا يا إيفي*، ثم انتقل إلى أسفل السرير وأمسك بقدميها الباردتين بأصابعه كما يمسك الأطفال الصغار أقلام التلوين. أمسك بهما بقوة كما لم يمسك أي شيء آخر، ولكنها لم تحرِّك ساكناً.

إنني هنا، يا إيفي.

إنني هنا، يا إيفي.

إنني هنا، يا إيفي.

الحزن

في الأيام التي تلت وفاة إيفي، صار كارل يهمس في المرآة: *زوجتي متوفّية*، مهيئاً نفسه لأي شخص يريد أن يطرح عليه أي سؤال. أخذ يتخيّل المرأة التي تعمل في مكتب البريد والجارة التي تقطن البيت المجاور، وأخاه. وأعجبه الشعور بقلقهم والقوة التي منحه إياها. فقد جعل ذلك كل شيء جديراً بالاهتمام كأنه اكتسب نوعاً من القوة السرية من وفاة زوجته.

صار ينام داخل غرفة ملابسها، وينظر إلى الملابس كأنه يتأمل النجوم وهي معلّقة فوق رأسه كالأشباح، ويستشعر غيابها الواضح في رقّة هذه الثياب. وجعله هذا يشعر أنه يستلقي تحت مقصلةٍ مصنوعةٍ من قصاصات الملابس الطويلة، وأنها من المؤكد، ستقتله ذات يوم.

ظل يحلم بها، بالطبع، ويستيقظ وهو يفكر: *هذه هي المرة الوحيدة التي سأراها فيها الآن*، ثم يقف في الظلام ويقترب من ملابسها وذراعاه ممدودتان كأنه يطير. كانت ملابسها باردة جداً.

Twitter: @ketab_n

كان يتذكّرها كل صباح منذ ماتت، وأيقظته صدمة التذكّر من نومه. فلم يعد يريد أن ينام بعد الآن لئلا ينسى، فالتذكّر أقسى من النسيان، وهو شعور مضنٍ للجسد والروح.

جلس على كرسيِّ الحمّام وراح يحدّق إلى أشيائها؛ تلك الأشياء التي تعوّدت أن تدهنها على بشرتها أو ترشها في الهواء أو تضعها على شعرها. أحضر مقلاةً كبيرةً من المطبخ وأفرغ كل الزجاجات فيها؛ عطوراتها ومرطبات بشرتها وكريماتها وعلب حبوبها وخلطها بعضها مع بعض بيديه. فكانت الرائحة رهيبة، ولكنه وجد الشعور بها بين أصابعه مثيراً.

غمس يديه حتى المرفقين وخلط كل الكريمات والروائح، ونظر إلى الزجاجات المتناثرة في كل مكان على أرضية الحمّام كالقبلات. فرك يديه إحداهما على الأخرى محدثاً صوتاً غريباً، مراراً وتكراراً، وترك المزيج البني يتناثر من بين يديه على المرآة وعلى وجهه وعلى الجدران، وأخذ المقلاة ووضعها على سريرهما.

قال في سرِّه: *سريري*.

أخذت يداه تحوِّمان فوق الوسادة كأنه يستطيع أن يخرجها من السرير بقدرة يديه المغناطيسية بينما راحت المادة اللّزجة تتقاطر منهما على الوسادة. خلع ملابسه ورماها على الأرض ورفع نفسه على السرير ووقف مترنحاً قليلاً على الفراش حريصاً على ألا يصدم رأسه بالمصباح الكهربائي المعلّق من السقف. رفع المقلاة إلى بطنه وتنشق عبيرها وعيناه مغمضتان وفمه مغلق. وبعد ذلك، رفع المقلاة إلى الأعلى وصب كامل محتوياتها على رأسه وفغر فمه كأنه قفز في مياه النهر في وسط فصل الشتاء، فانساب الخليط على وجهه وعنقه

Twitter: @ketab_n

وارتعش جسده. ألقى بالمقلاة على الجدار، فأحدثت صوت اصطدام أفرحه كثيراً.

عثر عليه ابنه بعد ساعات في الحديقة الخلفية مستلقياً على ظهره فوق الإسمنت وهو يستدفئ في الشمس ولا يغطيه سوى بضع قطرات من المزيج البني يبست كقشرة صلبة على بشرته.

*

بعد أن تناول العشاء في ليلته الأولى في دار الرعاية، جلس في غرفة التلفزيون مع بعض النزلاء الآخرين وتفرّج على فيلمٍ بعنوان *يا لها من فوضى!* وهو فيلم تم تصويره في إحدى المدارس الثانوية الأمريكية. لم يشاهد إشارة تعجب في عنوان فيلم من قبل، ولم يجد في ذلك أي معنى منطقي، ولكن من المؤكد أنه وجد الفيلم مثيراً للاهتمام. فقد كانت الشخصية الرئيسة فيه شخصية شاب يدعى برانسون سبايك. ومع ذلك، فلم يكن شخصية شابٍّ وسيمٍ من النوع التقليدي. إذ إنك حالما تنظر إليه وقتاً كافياً، فإنك تجد عذوبةً في الطريقة المحبّبة التي يتصرف بها. لم يستطع هذا الشاب أن يفهم كيف يتصرف أقرانه، أو موقعه في العالم، ولكنه بذل جهده، وهذا ما يبدو أنه هدف الفيلم. كانت الحياة في الفيلم عبارةً عن حفلاتٍ تُقام حول حوض السباحة وامتحانات نصف السنة. تمنّى برانسون سبايك أن ينخرط في مجتمعه وأن يعثر على فتاة مناسبة وأن يكون لطيفاً بما فيه الكفاية، ولكن النتائج التي نجمت عن ذلك أتت مضحكة، وأحياناً باعثةً على الندم.

في الفاصل الإعلاني نظر كارل حوله، فشمّ في الغرفة روائح منتجات التنظيف والقيء. رأى امرأةً جالسةً في الركن وهي تعمل

Twitter: @ketab_n

بالحياكة، وهو يبدو منظراً معقولاً ومريحاً بما فيه الكفاية لو أنها كانت إحدى تلك النساء الممتلئات ذوات الخدود الزهرية وكانت مجموعة من الأحفاد حول قدميها ولمعان في عينيْها وبعض الكعك في الفرن. ولكنها بدت لكارل كأنها امرأة تحوك حبلها السري الذي يربطها بالحياة، وتواصل الحياكة كي لا تموت. نظرت إلى التلفزيون بعينين خاليتين من التعبير وهي منحنية فوق كومةٍ متشابكةٍ من الخيوط كحيوانٍ ينحني على أحد الأنهار ليشرب. قال كارل في سرِّه: *لن يريد أحد هذا، أيًا يكن.*

أصدر الرجل الجالس بجانبه على الأريكة صوت بقبقةٍ في حلقه، ثم التفت إلى كارل وحدق إليه. فوجد أنه قام بمحاولةٍ لحلاقة وجهه، ولكنها لم تكن ناجحة. فقد بدا وجهه عبارة عن جذامةٍ نظيفةٍ ضيّقةٍ تتناثر فيها بعض الشُعَيْرات كالشوك.

قال الرجل: *بقبقة.*

فقال كارل: *بالفعل.*

كان هناك رجلان آخران جالسان إلى طاولةٍ أخرى يحاولان لعب الورق. فاستغرق أحدهما في النوم وسقط رأسه إلى الوراء على كرسيِّه. فلم يلاحظ الآخر ذلك أو يأبه، بل راح يحرك الأوراق بيديه وهو يتمتم لنفسه بفتور.

عاود كارل الالتفات إلى التلفزيون: إعلان لمباراة كرة قدم، برنامج لتلفزيون الواقع، كريم للوجه، جبنة بالكريما، مطعم وجبات سريعة؛ كلها تتّحد في رسالةٍ واحدة: *أنتَ لا قيمة لكَ.*

كل هذا جعل كارل يشعر بأنه صغير وثقيل وعديم اللون.

Twitter: @ketab_n

نظر إلى المرأة الحائكة وفكّر: *ترى من كنتِ؟* ونظر إلى الرجل الذي يصدر البقبقة ثم إلى لاعبي الورق، وفكّر: *ألم تكونوا أشخاصاً مهمّين من قبل؟* وشعر بدوامةٍ من الزمن الماضي تسحبه إلى المجهول.

تجنّب النظر إلى عيون الناس، ولم يقدّم نفسه إليهم، ولم يرغب بأن يكوّن صداقات. فقد شعر أنه بعيد عنهم كما شعر حيال الشبان الأمريكيين الذين يظهرون في التلفزيون.

ومع ذلك، وبينما راح كارل يشاهد مآثر برانسون سبايك وأقرانه تتوالى واحدةً تلو أخرى بشكل مثير، شعر بقرب شديد يجذبه نحو ذلك الفتى. وبينما ظل برانسون سبايك يتوق لزميلته الجميلة في المدرسة الثانوية؛ أجمل فتاة في المدرسة، شعر كارل بجسده يتوتّر. ولم يعد قادراً على الاسترخاء. فقد أراد من كل قلبه أن يحظى برانسون سبايك بالحب الذي تتوق نفسه إليه.

استطاع أن يرى ذلك الأمل في عيني برانسون سبايك؛ الأمل في الوصول إلى تلك المرأة الوحيدة. لقد أدرك كارل أن كل ما يتطلبه الأمر هو شخص واحد؛ واحد فقط يمكنك التشبُّث به كطوق النجاة في البحر فيساعدك أن تطفو ويمنعك من الغرق. قد تظل تتخبّط في البحر، ولكن ذلك لا يهم طالما أن بوسعك أن تمسك به وتستلقي على ظهرك وتطفو وتنظر إلى السماء وتتعجب من الأشياء التي كان من الممكن أن تفتقدها؛ النهار، الليل، الغيوم، النجوم، الشعور بالمحيط يتخبّط من تحتك. قال في نفسه: *هيا، يا برانسون سبايك.*

لم تكن تلك الفتاة الجميلة نفسها هي المرأة التي يتمناها. فقد اتضح أنها صديقته المفضّلة جوان بيترز التي ظلت صديقته طوال تلك

Twitter: @ketab_n

المدة؛ تلك الفتاة اللطيفة الخدومة العذبة. ها نحن أخيراً! لقد عثر كارل على إيفي وعثر برانسون سبايك على جوان.

ولكن ماذا سيحدث لبرانسون سبايك إن تركته؟ من أجل عرض عمل أو من أجل شخص آخر أو بسبب الموت؟ وماذا حدث لكارل؟ أثناء عرض الأسماء على الشاشة، نظر إلى انعكاس صورته على اللون الأسود فيها.

تساءل: *ما الذي سيحدث لكارل؟*

في وقتٍ لاحق، جلس كارل في سريره في الظلام بعد أن أُطفئت الأضواء قبل ساعات، ولكنه لم يستطع أن يجبر نفسه على الاستلقاء في السرير. فقد شعر أنه إن فعل فلن يستيقظ، أو أنه سيتحوّل إلى واحدٍ شبيهٍ بأولئك النزلاء الآخرين. شعر أن هناك تناغماً مثيراً للكآبة في صوت الشفاه والأنوف المصفرة والأنفاس الخشنة التي تحيط به. قال في سرِّه: *لم أعد مهماً بعد الآن.*

وبعد ذلك، سأل نفسه مرة أخرى بوضوح مؤلم: *ولكن هل كنت مهماً من قبل؟*

لقد أصبح مجرد خواء، ولكن دون ذلك الترقُّب لظهور شيء ما في ذلك الخواء، كصفحة بيضاء أو قماش أبيض. لم يعد هناك أمل أو خوف وعجب لما يمكن أن ينشأ عن هذا الفراغ. بات مجرد لا شيء وحسب. أما في عالم علامات الترقيم، فقد يكون أشبه بشَرْطة تطفو بين الكلمات دون أن تكون مطلوبة بالضرورة، أو على أي قدر من الأهمية.

أراد كارل أن يشعر بنفسه مرة أخرى. أراد أن يدخل حافلةً مزدحمةً وينظر إلى امرأةٍ ذات شعر بنيٍّ أو أشقر أو أزرق أو أي لون

Twitter: @ketab_n

آخر، ويشعر بتلك الرفرفة في قلبه وذلك الألم الجميل. أراد أن يضحك بصوتٍ مرتفعٍ وأن يركع على ركبتيه من فرط الضحك، وأن يرمي حبّات عنبٍ على شخصٍ ما، وأن يجلس في بركة من الطين ويصيح بأعلى صوته. أراد أن يجلس على غطاء سيارة وهي تسير، وأن يرتدي سروالاً قصيراً وأن يأكل وفمه مفتوح. أراد أن يكتب رسائل حب للنساء؛ الآلاف منهن. أراد أن يتفوّه بالشتائم بصوتٍ مرتفعٍ في مكانٍ عام. أراد أن يحظى بامرأةٍ صعبة المنال تفطر قلبه. وأراد لشخص أجنبيٍّ أن يلمس ذراعه، رجلاً كان أو امرأة، لا يهم. أراد الحصول على عضلاتٍ كبيرةٍ في ذراعيه. وأراد أن يمنح شخصاً ما شيئاً كبيراً، ليس مهماً بل ضخماً وحسب. أراد أن يقفز ويحاول أن يلمس شيئاً بعيداً عن متناوله. أراد أن يقطف زهرة ويشمّها. أراد أن يضرب شيئاً ما بكل ما أوتي من قوة. سأل نفسه: *متى كففتُ عن القيام بالأشياء وبدأت أتذكّرها فقط؟*

دفع كارل الطابع على الآلة الكاتبة الأغطية، وتسلّل خارجاً من حافة السرير وركل خفّه فردةً تلو أخرى كما يفعل طفل عندما يعود من يوم مدرسي إلى البيت دون أن يأبه للمكان الذي ستقع فيه. طارت إحدى الفردتين في الهواء وتشقلبت كلاعب جمباز، بينما طارت الأخرى عبر الغرفة وهبطت أسفل سريرٍ لأحد زملائه. انتظر حدوث أيَّ ردِّ فعل، ولكن لم يحرِّك أحد ساكناً. نهض عن السرير وخلع بنطال بيجامته وداس عليه وتركه مكوّماً على الأرض، ثم مزّق قميص البيجامة، فتطايرت الأزرار إلى زوايا الغرفة المختلفة. وقف هناك بضع ثوانٍ مستمتعاً بشعوره للتحرّر مما كان فيه، ثم ارتدى ملابسه على ضوء مصباح الشارع المتسرِّب من خلال النافذة.

Twitter: @ketab_n

انتعل حذاءه وبشرته تدغدغه من فرط التصميم. نزع قلم تلوين عن اللوحة الموجودة في أسفل سريره وكتب بيد مرتعشة: *كارل الطابع على الآلة الكاتبة*، بأحرف كبيرة على الحائط فوق سريره. ألقى بالقلم في الهواء فسقط محدثاً صوتاً على الأرض. وبعد أن فكر للحظة، أخذ القلم ووضعه في جيبه ولوّح للرجال الأربعة المستغرقين في النوم. ألقى نظرة على مدخل الباب ومشى إلى آخر الرواق على رؤوس أصابعه. فتح الباب الأمامي وخرج إلى الشارع، وبينما هو يمشي على طول الشارع ثم يخرج من البوابة، قال في نفسه: *هذا أشجع عملٍ قمت به في حياتي*.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

2

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كارل طابع الآلة الكاتبة

يجلس كارل إلى إحدى الطاولات في مخفر الشرطة بانتظار أن يتحدث إليه الضابط. لا يبدو المخفر مختلفاً عن مدرسة الطباعة إلى حد كبير، فهناك صفوف من الطاولات عليها أجهزة كمبيوتر وأكداس من الورق وهواتف صامتة. ليس هناك مجرمون يُساقون أمامه مكبلي اليدين، ولا طلقات نارية تُسمع، ولا حوارات درامية بين رجال الشرطة. فهو يشبه أي مكتب حكومي آخر. وقد شعر كارل بخيبة الأمل لرؤية ذلك.

ينقر بأصابعه على الطاولة. لقد قال لها: *اهربي، يا ميلي!* وأحدث فوضى لكي يتسنى لها الهرب. إنه الآن فخور بنفسه لتفكيره السريع، ولكن إلى أين ستذهب؟ ماذا ستفعل؟ إنها مجرد طفلة، وها قد أرسلها إلى البرّية بمفردها.

ينظر من النافذة، فيرى امرأة تجر عربة أطفال، فيهمس قائلاً: *سأعثر عليك*. تلتفت المرأة نحو النافذة، فيقول بسرعة: *ليس أنتِ*. ويشعر بوجهه يتوهج من الحرارة. ويهز رأسه لنفسه عندما يدرك أنها لا يمكن أن تكون قد سمعته. تتوارى المرأة عن أنظاره، فينظر إلى المانيكان الذي أطلق عليه اسم ماني وهو مسنود على الطاولة بجانبه. يقول كارل: *سنعثر على ميلي، أليس كذلك، يا ماني؟* ويسرّ كارل لوجود ماني لأن هذا يجعلهم لا يفوقونه عدداً. فهناك شخص يقف إلى جانبه.

يعدِّل كارل قميص ماني. ويرتّب ساقَي بنطاله حيث يفترض أن تكون ساقه المفقودة. ينظر إلى يديه. إن إصبع سبابته الأيسر وكلا بنصريه ينتهيان بعد مفصل البرجمة. فعندما يطبع بهذه الأصابع الآن،

Twitter: @ketab_n

تتحرك في الهواء كأنها تبحث عن شيء لن تعثر عليه أبداً. لقد علّم نفسه أن يطبع بأرومة الإصبع بأن يخفض معصميه ليصبح على تماس مع المفاتيح. يفرك إبهاميه عليهما.

ينحني الضابط الذي أتى به إلى هنا فوق مكتب الاستقبال ويتحدث بصوت منخفض مع موظفة الاستقبال. اسم الضابط هو غاري، ويبدو ذا جسدٍ ضخمٍ وملامح عادية وحركات تشبه حركات كلب حراسة إن تمكن من الوقوف على قائمتيه الخلفيّتين. أما موظفة الاستقبال فهي شابة جميلة ذات شعر طويل أشقر وأظافر زهرية وعينين زرقاوين يحيط بهما إطاران أسودان سميكان كأنها رسمتهما بقلم التخطيط الأسود الذي يحيط به معلمو المدارس خطأً مكرّراً. يلوي غاري عضلة ذراعه لها متظاهراً بأنه لا يفعل ذلك عن قصد، ولكن كارل يدرك أنها حركة مقصودة. تحول الفتاة ببصرها على عضلة ذراعه ثم عنقه إلى أن تصل إلى عينيه. فيلاحظ غاري ذلك ويبتسم ابتسامة عريضة بِظَفَرٍ كأنه فاز في سباق أو برهان أو بحياة كاملة.

يشيح كارل بوجهه عنهما ويخرج كيساً من جيبه ويفرغ محتوياته على الطاولة. لقد عثر عليه في درج الطاولة التي بجانب سرير إيفي حين وجد في نفسه الشجاعة الكافية للتفتيش في أغراضها. كُتب على الكيس: كارل. أما في داخله فيوجد سبعة مفاتيح آلة كاتبة.

لقد حاولت أن توصل له رسالةً ما من خلال هذه الأحرف، وهذا ما أدركه. وها هو الآن يقضي معظم أيامه محاولاً أن يكتشف ما تعنيه هذه الأحرف. يغيّر ترتيب المفاتيح في كل الاتجاهات التي يمكنه التفكير فيها.

Twitter: @ketab_n

وبعد محاولات عدة يتوصّل لعبارة: *أنا نسيت*.

ويتوقّف عند هذا الحد.

ماذا نسيت يا ترى؟ هل نسيت أن تطفئ الموقد؟ نسيت أن تخبره أنها وقعت في غرام لاعب كرة قدم وسيم ذات مرة؟ نسيت أن عليها ديوناً كبيرة؟ نسيت أن تخبره أنها لا تحبه؟ وأنها لم تحبّه قط؟

يسأل غاري وهو يعتدل في جلسته خلف طاولته: *ما هذا إذاً؟*

فيعتدل كارل بدوره ويضع المفاتيح في جيبه، ويقول: *إذاً، لا شيء.*

يعبث غاري ببعض الأوراق على مكتبه ويجمعها في أكوام، ويقول: *اسمك كارل، أليس كذلك؟*

يقول كارل: *نعم*، واضعاً يديه في جيبيه وأصابعه تنقر على فخذيه.

- *لماذا تظن أنك هنا، يا كارل؟*
- *لقد اعتُقِلت؟*
- *ولماذا اعتُقِلت، يا كارل؟*
- *لست واثقاً من السبب، يا غاري.*
- *لا أصدّق هذا على الإطلاق، يا كارل. أظن أنك واثق جداً من السبب الذي جعلك تصبح رهن الاعتقال.* يستند غاري إلى كرسيّه ويقول: *أنت أحمق إن لم تكن واثقاً من السبب، وأنا لا أظن أنك أحمق.*

يسكت كارل قليلاً ثم يقول: *لن أكون واثقاً تماماً حيال هذا، يا غاري. فأنا في أغلب الأحيان أبله تماماً.*

Twitter: @ketab_n

يقترب غاري إلى الأمام ويستند على مرفقيه إلى الطاولة، ويقـــول: *استمع إلي، يا كارل. هناك ادعاءات خطيرة تماماً موجَّهة ضدك.*

- *ادعاءات؟*

يمد غاري جسده قليلاً وينظر من فوق مكتبه، ويقول: *ما الذي تفعله هناك؟*

لا يزال كارل يضع يديه في جيبه وينقر كلما تكلم، فتتحـــرّك أصابعه إلى الأعلى والأسفل تحت القماش. يعرف كيف يبدو هـــذا، فيخرج يديه من جيبيه ويضعهما على فخذيه. وبعد ذلـــك، يفكـــر بالأمر أكثر، ولكنه لا يعرف أين يضعهما، فيرفع ذراعيه على جانبيه كأنه طفل يحاول أن يقلِّد شكل الصاروخ.

يومئ غاري نحو ماني ويقول: *ما سبب وجوده؟ هل هو جـــزء من الموضوع؟*

- *الموضوع؟*

- نعم الموضوع. ويكتب غاري شيئاً على ورقـــة موضـــوعة فوق قمة كومة من الأوراق. ويقول بفظاظة: *ســـيتوجّب علينا أن ننظّف اللعبة، وكذلك أنت.*

فيصحِّح له كارل قائلاً: *المانيكان.*

تقترب موظفة الاستقبال من المكتب وبحوزتها كأسان من الماء. فتشرق عينا غاري، ويقول: *توقيت مثالي، يا عزيزتي.* ويأخذ كأســـاً من يدها ويرتشف منها ويقول: *هلاّ تحضرين عدّة التنظيف؟*

تضع الفتاة الكأس الثانية بلا اكتراث أمام كارل. وتقول: *نعم، حسناً، بالطبع.* وتبتسم لغاري ابتسامة مشرقة ثم تلتفت وهي تلقـــي بشعرها على ظهرها. فيراقبها غاري وهي تمشي خمس ثوان كاملة.

Twitter: @ketab_n

عندئذ يرى كارل الجدار خلف غاري مليئاً بملصقات لوجوهٍ تحدِّق إليه. يبدو بعضهم بأفضل حالٍ وبعضهم بأسوأ حال. وقد كُتب على بعضها أنها مطلوبة وعلى بعضها الآخر أنها مختفية.

أحد هذه الوجوه بلا شك هو وجهه.

ولكنه مختفٍ وليس مطلوباً.

وهو يتفهّم هذا ويوافق عليه.

يرفع غاري ورقة ليراها كارل. يحاول كارل أن يركّز بصره ويشعر بضربات قلبه كالطبل، ويمسح راحتي يديه على بنطاله.

يقول غاري: *ما الذي تعرفه عن دار وارويكهيل؟*

يميز كارل الشعار على الورقة ويقول: *آه، نعم.*

- *نعم، ماذا؟*
- *إنها دار لرعاية المسنين.*
- *هل أقمت فيها من قبل، يا كارل؟*
- *كلاّ.*
- *كلاّ؟*
- *أعني، نعم.*
- *تقصد، نعم؟*
- *حسناً، نعم ولا.*

يضع غاري الورقة على المكتب بينهما، ويقرب مرفقيه أحدهما من الآخر ويشبك يديه. *ما الذي تتحدث عنه، بحق السماء يا كارل؟*

ينفجر كارل ضاحكاً بصوتٍ مرتفع. ولا تبدو الضحكة كضحكته على الإطلاق. يتنحنح ويقول: *لقد زرت المكان. فعندما*

Twitter: @ketab_n

تصل إلى سني، كل من تعرفهم يقيمون هناك! إنها الضحكة المرتفعة نفسها التي لا تشبه ضحكته.

يومئ غاري برأسه ويقول: صحيح. ثم يقف ويقول: *حسناً، انتظرْ هنا، هلاّ تفعل؟*

يومئ كارل برأسه وهو يبتسم، بينما يختفي غاري في غرفة أخرى، ويغلق الباب خلفه. يفتل كارل كرسيه ويراقبه من خلال النافذة، فيمسك غاري سماعة الهاتف ويطلب رقماً. يلاحظ أن كارل يراقبه. يلوّح له كارل ويغمز بعينه، فيغلق غاري الستائر.

يقول كارل بصوتٍ منخفض: *آه، كلاّ، يا ماني.*

تواصل موظفة الاستقبال النقر على لوحة مفاتيح الكمبيوتر أمامها.

يناديها كارل من الجهة المقابلة من الغرفة: *مرحباً.*

ترفع بصرها وتقول بفظاظة: مرحباً. ليست لطيفة. وهناك تكشيرة ظاهرة على شفتيها.

ما الذي كان برانسون سبايك ليقوله. فيسألها قائلاً: *أهو مكان لطيف للعمل فيه؟*

تتجاهله.

كيف الراتب؟ أهو جيد؟

تضع سماعاتٍ في أذنيها وتواصل الطباعة على الكمبيوتر.

يقول كارل: *سننتقل إلى الخطة البديلة، يا ماني.* يلقي بنظرةٍ خاطفةٍ نحو موظفة الاستقبال ليحرص على أنها لا تنظر باتجاهه، ثم يمسك بكأس الماء ويصبها على بنطاله.

يقول وهو ينهض ويمشي باتجاهها: *مم...*

تقفز عن كرسيها وتقول: *هف! توقف عندك! ما الذي فعلته؟*

Twitter: @ketab_n

يتوقف كارل ويقول: *يبدو أنني تعرّضت لحادث*. يرفع ذراعيه ليلفت انتباهها إلى المكان المبلّل على بنطاله.

تقول: *مقرف! إن المسنين مقرفون*.

يهز كارل كتفيه ويقول: *هل تمانعين إن...؟* ويشير بإبهامه إلى علامة المرحاض.

- *اذهب وحسب*.

يقول وهو يضع ماني تحت إحدى ذراعيه: *سأستبدل بنطاله ببنطالي*.

تقول وهي تأخذ نفساً عميقاً وتجلس على كرسيِّها: *لا يهمني. ابتعد عني وحسب*.

يقول كارل: *سأعود في الحال*. تشير علامة المرحاض إلى آخر الممر وإلى اليمين، أما المدخل فهو إلى اليسار. يلقي كارل نظراتٍ خاطفةً نحو الموظفة، فيرى أنها أعادت وضع السماعات واستندت إلى كرسيها. يبتسم لماني الذي ينظر إلى كارل بامتنان، فيهمس كارل قائلاً: *نحن قادمان، يا ميلي*. ويتوجّه نحو المدخل.

آغاثا بانثا

7:43: تأخذ الفتاة الصغيرة وتوصلها إلى محطة الحافلات.

7:53: يمر بهما في الشارع فتى مراهق يضع مقوِّماً للأسنان ويعاني من وجود بعض الحبوب على وجهه ويعتمر قبعته بشكلٍ مائل. تقول عندما تلامس كتفُه كتفَها: *إنه على الأرجح يفكر بمغازلة الفتيات*، فيرد عليها قائلاً: *ماذا؟* يمسك بهاتف محمول يضعه على أذنه كأنه وسيلة للحفاظ على الحياة. تقول له: *ما الذي تتحدث*

Twitter: @ketab_n

عنه في ذلك الشيء؟ ما الذي يقوله الأطفال للأطفال الآخرين: لم أبلّل سريري الليلة الماضية، أليس كذلك؟ فيهز الصبي رأسه، ويقول: *أنتِ مجنونة أيتها السيدة*، ويستدير ويواصل سيره. تقول لظهره الذي يبتعد عنها: *في أيامي، لم يكن هناك وجود للمراهقين! تظل طفلاً حتى عمر السنتين فقط ثم تصبح كبيراً!* وتلتفت إلى الفتاة الصغيرة وتؤكد لها: *إنه هو المجنون*.

8:06: تصلان إلى محطة الحافلات. فتسأل الفتاة الصغيرة: *لماذا يفكر الفتيان بالفتيات؟* تقول آغاثا: *هذا ما يفعله الفتيان ليشغلوا أنفسهم!* فتقول الفتاة: *وماذا عن الفتيات؟* تقول آغاثا: *ماذا عن الفتيات؟ هذا ما يفعلنه أيضاً! هذه هي الحياة! ينبغي أن تدوّني هذا*.

8:07: تعثران على هاتفٍ عمومي في المحطة. فتتصل الفتاة بأمها، ثم تقول: *لا يزال الهاتف مغلقاً*.

8:09: تذهبان لشراء تذاكر الحافلة. فتقول آغاثا للسيدة الجالسة خلف المنضدة: *تذكرتان إلى كالغورلي*. تقول السيدة: *ثمنها أربعة وستون دولاراً*. فتقول آغاثا: *ماذا؟* تكرِّر السيدة كلامها. فتقول آغاثا: *كم ثمنها؟* تكرّر السيدة مرةً أخرى: *أربعة وستون دولاراً*. فتقول آغاثا للفتاة الصغيرة: *سوف تعيدين لي مالي*. تقول الفتاة: *ليس لدي أي مال*. فتقول آغاثا: *سوف تحصلين على عمل*. تجيب الفتاة: *إنني في السابعة من عمري*. فتقول آغاثا: *بالضبط!* وتضيف الفتاة قائلة: *وتوفي والدي*. فتقول آغاثا: *لقد قلت لي، وكذلك توفي والدي أنا*.

8:13: تجول ببصرها في أنحاء مخزن المحطة، وتقول للفتاة الصغيرة: *لماذا يوجد هناك مشروبات كثيرة؟* هناك أربع ثلاّجات

Twitter: @ketab_n

قائمة أمام الجدار وكلها مليئة بمشروبات معدّة للبيع. تتابع قائلة: *في أيامي، كان هناك حليب ونوعان من الصودا؛ صفراء وسوداء. مَنْ يدري ماذا كانت تحتوي؟ كانت النكهة السوداء جيدة بما فيه الكفاية. لماذا يوجد الآن خمسة عشر نوعاً من الماء؟* تحدّق إلى الثلاجة وتسأل: *ما الذي تعنيه المياه بالفيتامين، بحق السماء؟* تهز الفتاة كتفيها. فتقول آغاثا: *في أيامي، تكونين محظوظة إن تمكّنت من الحصول على كأس ماء غير ملوث بمياه المجاري.*

8:24: يجلس طفلٌ أشقر اللون على الجانب المقابل لآغاثا ويحدّق إليها. فتقول له: *ما الذي تحدّق إليه؟* لا يحرك الصبي ساكناً. فتقول: *إن البشر لا يحبون أن يحدّق أحد إليهم، وكذلك القطط. لقد اكتشفت هذا في وقت مبكر. ينبغي عليك أن تدوّني هذه المعلومة. إن القطط والبشر لا يحبون أن يحدّق أحد إليهم. احصلي على قلم!*

8:36: هناك إعلان على الجدار وهو عبارة عن صورة لسيدة تحمل لافتة كُتب عليها: *الكبار يمكنهم الانتظار.* تقف آغاثا مقابلها كأنها تواجه شخصاً في فيلم من أفلام الغرب الأمريكي بينما لا يزال الصبي الأشقر يحدّق إليها. تصرخ في وجهه قائلة: *إن التقدم في السن ليس خياراً!* يجهش الصبي بالبكاء، فترمق أمه آغاثا بنظرة غضب. تقول آغاثا: *لا فائدة من إخفاء الحقيقة عنه*، ثم تجلس في مكانها. تقول الفتاة الصغيرة: *أليست هذه حافلتنا؟* تستطيع آغاثا أن ترى من خلال النافذة رتلاً من الناس يدخلون إحدى الحافلات، وقد كُتب عليها: كالغورلي، فتقول وهي تتنهّد بعمق: *آه.*

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

أحياناً تنتعل ميلي حذاءها المطاطي ويتمشّيان معاً في أنحاء المتنزّه قرب البيت، وحول المتاجر، وعند الشاطئ، وأثناء المشي تقوم بتأليف قصائد. تسمع كلمتين من شابين مفتولي العضلات يجريان جنباً إلى جنب (لقد قال)، وثلاث كلمات من أم تتحدث إلى طفلها في عربة الأطفال (هل تريد لعبتك؟)، وكلمة أو اثنتين من زوجين مسنين (بالتحديد)، وبعد ذلك فترة صمت من فتاة لا تكاد ترتدي شيئاً على الإطلاق (...) فنظارتها الشمسية هي أكبر شيء يغطي جسمها والموسيقى تصدح في أذنيها وهي تركز على التمارين الرياضية لإعادة توزيع الدهون في جسمها، بينما يشكل التعبير الذي يرتسم على وجهها وذلك التركيز، جزءاً من القصيدة أيضاً.

لقد قال
هل تريد لعبتك؟
بالتحديد
...

بينما هي تمشي الآن في الحافلة على طول الممشى بين المقاعد وتمرّر أصابعها عليها، وتزلق قدميها على طول الأرضية، فإنها تؤلف قصيدة.

تحب
عشرين فقط

Twitter: @ketab_n

تزوّجا في دار العبادة
يا للهول!

تعجبها الطريقة التي تصطدم بها الكلمات بعضها ببعضٍ أحياناً، ثم تنسجم بعضها مع بعض في أوقات أخرى وبكل سهولة، وهذا يفاجئها. وتعجبها فكرة أنها قصيدة سرية حتى بالنسبة لها، فهي لن تتذكّرها، ولن تبقى في حيِّز الوجود إلا في هذه اللحظة.

تسرع الحافلة على طول الطريق حتى تكاد أن تطير وتندفع الأشجار والبيوت من جانبها. يبدو الطريق أمامها طويلاً ومستقيماً، كما توحي نهايته أن الحافلة ستطير من حافة جرفٍ إلى السماء وإلى الفضاء والكون الواسع، أو إلى لا شيء، أو إلى شيء ما، أو إلى كليهما معاً.

يلمع ضوء الشمس على العشب محدثاً ألواناً على طول السماء كألسنة النيران. وفجأة، يداهمها ألم في معدتها لأنها تتذكّر الليلة التي تسبق أول يومٍ من أيام انتظارها، لذا تجلس إلى جانب آغاثا وتحاول أن ترسل رسائل لأمها برأسها. إن كان بوسعها أن تجعل عقلها يعود إلى الماضي، فلماذا لا يسعها أن تجعله يذهب إلى أماكن أخرى أيضاً؟ تقول في نفسها: *آسفة يا أمي. آسفة يا أمي. آسفة يا أمي.*

تنهمك الأم الجالسة في المقعد المقابل بإرضاع طفلها بينما يحدث الأب جلبةً حولهما، فتنقبض معدة ميلي.

تنظر إلى آغاثا وتسألها: *هل لديك عائلة يا آغاثا بانثا؟*

– *حسناً، هذا بالتأكيد ليس من شأنك.*

Twitter: @ketab_n

فتسأل ميلي قائلة: من المسؤول عن العائلات؟

تجيب آغاثا: ماذا؟ الحكومة، على ما أظن.

- هل يمكنك أن تؤسسي عائلة إن فقدتِ عائلتك؟

- تحسُّباً فقط.

وتضيف آغاثا: لا يمكنك أن تؤسسي عائلة بهذه السهولة! لا تزالين في الرابعة من عمرك.

- في السابعة.

- يجب أن تنجبي طفلاً أولاً! ولا يمكن لمن هي في الرابعة...

- السابعة.

- لا فرق! لا يمكن لها أن تنجب طفلاً.

- لِمَ لا؟

تفغر آغاثا فمها وتقول: يجب أن تأتيك... تأتيك... زائرتك النسائية الشهرية...!

- وهل هذه من الحكومة؟

- يا إلهي! طبعاً لا.

- من أين تأتي إذاً؟

- لا تأتي من أي مكان.

- لماذا تسمى زائرة إذاً؟

- هذا هو ما يقولونه فقط.

- منْ؟

تتنهّد آغاثا بصوت مرتفع وتقول: حسناً، إنني أستسلم. شخص ما يأتي من الحكومة إلى بيتك ويجعلك امرأة!

Twitter: @ketab_n

تتأمل ميلي الأم المرضعة وتقترب من آغاثا وتهمس قائلة: *هل سيجعلونني أرضع الأطفال؟ لأنني لا أريد أن أفعل هذا.*

هذا ما تقولينه الآن! تقولين إنك لا تريدينهم، ولكنك ستودين الحصول عليهم عندما تكبرين!

يقترب الأب الجالس في الجهة المقابلة من زوجته، ويقول وهو يشير إلى السيدة ويضع إصبعه على شفتيه: *هلا تخفضين صوتك من فضلك؟*

فتصيح آغاثا قائلة: *كلاّ!*

تقول سائقة الحافلة من المقدمة: *هلاّ تخفضون أصواتكم هناك؟*

فتستند آغاثا إلى كرسيها وتشبك ذراعيْها. وتنقر ميلي بأصابعها على يد الكرسي.

تهمس ميلي لآغاثا: *ماذا كنتِ تريدين أن تصبحي عندما تكبرين؟*

فتهمس لها آغاثا بصوت مرتفع: *هذا لا يهم!*

- *أيمكن أن أعرف؟*
- *حسناً! أردت أن أكون أطول قامة! أردت أن أعيش بسعادة! أردت أن أعمل ممرضة! أردت أن أحظى بطقم كؤوس شراب جميلة جداً! ليس من النوع الذي تملكه الملكة، بل طقم جميل وحسب! هذا كل شيء! وهذا ليس كثيراً لأن أتمناه! ولكن لم يحدث أي شيء من هذا! فالحياة هي التي تقرر ما تحصلين عليه وليس أنتِ!*
- *هل أردتِ أن تتزوّجي؟*
- *إن الزواج ليس شيئاً تتمنينه بل هو شيء تفعلينه!*

Twitter: @ketab_n

تتململ ميلي في كرسيها. فتواصل سائقة الحافلة النظر إليهما في المرآة.

تهمس ميلي سائلة: *هل كنتِ وزوجك تحبان أحدكما الآخر كثيراً؟*

- *لماذا تسألين؟*

فتسأل من جديد: *هلاّ تصبحين نقطتي الرابعة؟*

- *ماذا؟*

فيقول الأب: *صَهْ!*

تقول آغاثا: *حسناً، حسناً*. ثم تضيف وهي تشير إلى ميلي: *إنها هي المجنونة. للعلم بالشيء فقط.*

حقيقة أخرى تعرفها ميلي بالتأكيد

حتى لو كانت بعض الكلمات موجودة، فهذا لا يعني أن بوسعنا استخدامها. ولكن ليس هناك كتاب يعلمنا ذلك، بل يجب علينا أن نعرف هذا بطبيعة الحال. كان يبدو على الجميع أنهم يعرفون هذه الحقيقة باستثنائها هي. فيمكنك أن تتفوّه ببعض الكلمات ولا يمكنك أن تتفوّه بكلماتٍ أخرى. وهذه هي الطريقة التي تسير بها الحياة.

هناك أمثلة على الأشياء التي لا يمكن قولها لأي شخص في أي وقت:

- *هل أنت سمين؟*
- *هل لديك أعضاء خاصة؟*
- *أي نوع من الجنازات تريد أن يُقام لك عندما تموت؟*

Twitter: @ketab_n

ذات ليلة، بينما كانت أمها راكعةً على يديْها وركبتيْها وهي تنظف أرضية الحمام، قالت ميلي: *أي نوع من الجنائز تريدين، يا أمي؟ عندما تموتين.* فنهضت أمها فجأة كأن هناك من ضربها على مؤخّر عنقها.

تراجعت ميلي خطوة إلى الوراء، وقالت: *لقد انفجر بالون في المدرسة اليوم، فبكى جورج وضحكت كلير، ولكن الجميع تفاجأوا. أريد أن أحظى بمفاجأة من هذا الشكل في جنازتي حيث تتسارع دقات قلوب الجميع، كي يتذكّروا أن قلوبهم لا تزال تنبض بالحياة. لذا أريد أن يكون معك بالون وأن يكون مع أبي بالون. وأريد كما أن تفجراهما في وقتين مختلفين.*

قالت ميلي حين لم تجب أمها: *موافقة؟*

فأجابتها: *اذهبي إلى غرفتك.*

فعلت ميلي ما قيل لها وجلست على السجادة إلى جانب سريرها. أخذت تصنع أشكالاً على السجادة بأصابعها وتتفرّج على العالم رأساً على عقب، وهي مستلقية على ظهرها ورأسها يتدلّى من حافة سريرها. أصبحت الأرض هي السماء والسماء هي الأرض، والأشجار تنمو من الأعلى إلى الأسفل. وبدا كل شيء أكثر تحرّراً بقليلٍ في هذا العالم المقلوب.

عندما دخل والدها غرفتها، وجد ميلي تنظر إلى النماذج التي رسمتها على السجادة بأصابعها؛ طرقات صغيرة لناس صغار. فسألته: *لماذا، يا أبي؟*

رفعها والدها ووضعها على خصره كما تعوّد أن يفعل وهي صغيرة، وقال: *إنها مجرد قاعدة. لا يمكنك أن تتحدّثي عن هذه الأمور.*

Twitter: @ketab_n

- *ولكن من قال هذا؟*

هزّ كتفيه وقال: *ربما هو الشخص نفسه الذي وضع القواعد التي تقول بأنه لا يُسمح لكِ أن تشيري للناس في الطريق وتضحكي عليهم، أو أن تدخلي مكتب البريد دون حذاء. هناك شخص ما يسنّ هذه القواعد التي يجب علينا جميعاً أن نلتزم بها. هل فهمتِ؟*

- *لا يعجبني هذا الشخص.*

بعد بضعة أسابيع، جلست ميلي على الكرسي البلاستيكي الأخضر في حديقة جيرانها. تذكّرت أنه أخضر اللون لأنها استحضرت أفكاراً خضراء فقط وهي جالسة عليه: كالعشب، والأشجار، والضفادع، وسلّة المهملات، والكنبة، والأشياء التي تعلق بين أسنان والدها في بعض الأحيان، والحجر في خاتم تلك السيدة، وعلبة الشراب، وعلبة أقلام الرصاص.

كان والداها وكل الجيران هناك. يضع الرجال، ومن بينهم والدها، أوشحةً، ويمسكون علب الشراب بأيديهم. وكان والدها يمسك بيده حاملة علب عصير، عليها خريطة أستراليا على جهة، وصورة امرأة بملابس سباحة على الجهة الأخرى. راح الجميع يتحدثون بصخب ويملأون عباراتهم بكلمات لا يُسمح للناس عادة بالتفوّه بها، ولكن اليوم، ولسبب ما، أصبح مسموحاً التفوّه بكلمات الشتائم. تتجول أمها والنساء الأخريات وبحوزتهن أطباق الطعام، ويخرجن ويدخلن كأنهن في حالة رقص بطيء، ويتفوّهن بعبارات مثل: *أترين كيف يتحدث إليّ؟* أو *هل تريدين بعض الصلصة، يا عزيزتي؟* أو *أبعدي يديْكِ عنها!* واصل والدها التحدث بصخب بينما ظلت أمها تبتسم طوال الوقت، وكلتا الحالتين ليست طبيعية.

Twitter: @ketab_n

وبينما راح الأطفال في الخارج يصيحون بعبارات مثل: *أنت تغش!* *أنت لست صديقي المقرّب بعد الآن!* جلست ميلي على كرسيّها الأخضر وهي تردّد في سرّها: *كرفس، خيار، أفوكادو...*

مرةً أخرى، شعرت ميلي أن هناك قواعد في حديقة بيت الجيران؛ قواعد لم تكن تعرف شيئاً عنها، ولكن الآخرين جميعاً يعرفونها؛ قواعد حول الطريقة التي يتصرف بها الرجال والنساء والأطفال بوجودهم معاً؛ قواعد تمنح الرجال المكان بجوار التلفزيون، وتمنح النساء المسافات الفاصلة بينهم، بينما تمنح الأطفال مكاناً في الخارج.

كان الرجال الكبار يرتدون ملابس يشبه بعضها بعضاً، وهم واقفون جنباً إلى جنب أمام الشاشة ويصيحون: *دعونا نبتهجْ جميعاً نحن الأستراليين.* وراحت كاميرا التلفزيون تدور حول نفسها وتجول في أماكن كبيرة لدرجة أنها تكاد أن تبدو غير حقيقية. قال والدها مغطياً على صوت الجميع: *سأموت سعيداً إنْ كنتُ هناك الآن.* وضحك والدها والرجال الآخرون، ولكن ميلي استطاعت أن تسمع صوته وحده وهو يتفوّه بتلك الكلمات المحرّمة.

همست لحذائها المطاطي قائلة: *أيمكن للمرء أن يموت سعيداً؟*

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

تعوّدت إيفي أن تعمل في بعض مناوبات بعد الظهر في السوق التجارية قبل أن تصبح طريحة الفراش. وذات ليلة، أثناء تناولهما العشاء، سألته: *هل خطر ببالك أن تحبس نفسك في السوق التجارية؟*

فأجاب كارل: *بالطبع.*

قالت: *ينبغي علينا أن نفعلها يوماً ما. يمكننا أن نختبئ في غرفة تغيير الملابس المخصّصة للرجال بينما يقفلون المحلات، لن يتفقّدها أحد*، وابتسمت له بخبث وقالت: *الرجال لا يقيسون الملابس في هذه البلدة.*

يتبادلان الأدوار في قول الأشياء التي سيقومان بها حالما ينفذان تلك المهمة.

قالت: *نقفز على الأسرّة.*

قال: *نأكل كل الشوكولا.*

- *نجرب كل أنواع أحمر الشفاه.*
- *لستِ بحاجة للتزين بأحمر الشفاه، يا حبي.*
- *نطبع على كل الكمبيوترات الفخمة.*
- *أنتِ لا تجيدين العمل على الكمبيوتر.*
- *ليس من الضروري أن أشغله.*
- *سأنزع كل الأحرف من لوحة المفاتيح وأنظم بها رسالة حب لكِ.*

قالت وهي تمسك بيديه عبر الطاولة: *آه، يا حبي، ولكننا لسنا مخربين.*

Twitter: @ketab_n

قال: *ربما نحن كذلك؟ ربما عندما نحبس نفسيْنا في السوق التجارية، نصبح مخرّبين؟* شعر أن هناك أملاً في وجود نسخةٍ بديلةٍ عنهما في قصة السوق التجارية الخيالية.

ولكنهما لم يقوما بأيٍّ من هذه الأفعال لأنهما تعوّدا قول كثيرٍ من الأشياء دون فعلها، ولكنهما كانا راضيين عن كل ذلك.

*

حين هرب كارل الطابع على الآلة الكاتبة من دار الرعاية، توجّه مباشرة نحو السوق التجارية وانتظرها لتفتح أبوابها، ثم دخل وجلس في المقهى ممسكاً بفنجان قهوته بكلتا يديه. فقد شعر أن الإمساك بشيء ما بهذا الشكل يمنحه إحساساً بالثبات. راح يراقب الناس الذين يملكون حياةً ومستقبلاً وحباً وشعر أنه يطفو فوق كل ذلك، كأنّ كل تلك المشاعر التي تنتاب الناس بعيدة كل البعد عن أي تجربة يمكن أن يعرفها على الإطلاق. عند الساعة الرابعة والنصف مساءً دخل غرفة تغيير الملابس الخاصة بالرجال وبدأ ينتظر.

نجحت الخطة بالطريقة التي تحدثت عنها إيفي، لذا أصبح يبيت هناك كل ليلة، متسلّلاً من غرف تغيير الملابس بعد أن تنطفئ الأضواء، ويستلقي على الأسرّة المعروضة في قسم المفروشات أطول ساعاتٍ ممكنة. وكل صباح، كان يمشي مسافة ميلٍ على طول الشاطئ إلى المخيم المجاور ويتسلّل إلى الحمّام ويستحم ثم يعود أدراجه إلى السوق التجارية. وفي فترات العصر، ظل يجلس في المقهى وهو ينظر إلى فنجان القهوة ويقول في سرّه: *نأكل الشوكولا، نقفز*

Twitter: @ketab_n

على الأسرّة، ننظم رسائل حب. وبعد ذلك، تدق الساعة معلنة الرابعة والنصف مساءً فيعيد كارل العملية كلها.

ظل هناك ثلاثة أسابيع تقريباً وتمكّن من أن يؤمّن لنفسه حياةً محتملةً إلى حدٍّ ما. فلم يميّزه أحد، ولم يبدُ على أحدٍ أنه يبحث عنه. تعوّد على سماع الحازوقة الخفيفة الصادرة من ستان، وهو رجل قصير القامة، عنيف المظهر، قليل الكلام، يعرفه كارل كحارسٍ للأمن منذ أن عملت إيفي في المتجر، ولكن اتضح فيما بعد أن ستان يعمل حارساً أمنياً للبلدة كلّها وأنه يعمل في السوق التجارية مرةً أو مرتين في الأسبوع فقط. وعندما يأتي، يجلس معظم وقته في المكتب متفرجاً على إعادات البرامج التلفزيونية التي تعود إلى الثمانينيات. بدأ كارل يعتقد أن بوسعه أن يمضي بقية أيامه هناك ويجدها طريقةً لطيفةً للحياة. فقد كان لديه كل شيء يحتاجه. ولم يستطع أن يتخيّل سبباً يدفعه إلى مغادرة المكان.

في تلك الفترة وصلت ميلي. فأصبحت الأمور مثيرةً للاهتمام ومعقّدةً وموحيةً بالأمل. في المرة الأولى التي رآها فيها، انحنى من خلف الرفوف الخاصة بملابس الأمومة، وراقبها وهي تنظر من النافذة إلى موقف السيارات المهجور. وشاهدها وهي تتجول في قسم الملابس الداخلية النسائية. وعندئذ قرّر الاعتناء بها. وفي الليلة الثانية، راقبها من خلف ماني وهو يفكر كيف يقول لها شيئاً ما دون أن يرعبها. وفي تلك اللحظة، أتى ستان مسرعاً نحوهما. فأُصيب بالفزع ودفع بماني في طريق ستان أملاً في أن يشتّت انتباهه ويمنح ميلي فرصة للهرب، ولكن انتهى به المطاف في إيقاع ستان على الأرض بضع دقائق. وبينما ولّت ميلي هاربةً وهو يتفحّص المشهد، حيث استلقى

Twitter: @ketab_n

ستان ووجهه على الأرض وماني فوق رأسه، فكّر كـــارل في ســـرّه قائلاً: *حسنًا، إن ستان رجل لا يخلو من البلاهة.*

أصبح التسلّل إلى داخل السوق التجارية الآن أكثـــر صـــعوبة بقليل. فهناك الآن من يلاحقه، وهناك من يعرف شـــكله بعـــد أن نُشِرت صور وملصقات له في كل مكان. وعليه التفكير بماني. مـــاذا كان برانسون سبايك ليفعل لو أنه مكانه؟ هكذا أصبح يأخذ مـــاني إلى محطة الحافلات ويخبئه هناك، ثم يغطيه بمعطفه الأرجواني، ويقول له: *سأعود في الحال.* ويربت كتفه بحنان. يزور متجـــر الـــدولارين ويشتري نظارةً وقبعةً جديدتين. ويدخل إلى السوق التجارية بكـــل ثقة مرفوع الرأس وهو ينظر إلى عيون الناس بتحدٍّ.

ولكن لا يبدو على أحد أنه يلاحظه، وهذا ما يزعجه. فها هو يتكبّد كل هذه المعاناة ولا أحد يهتم بأن يلاحظ وجوده لدرجة أنه يمر بجانب حارس الأمن، وتجلس هيلين عند الطاولة المجـــاورة لـــه في المقهى، ولدرجة أن موظف الاستقبال من مخفر الشـــرطة يتصـــفّح المجلات على بعد بضعة أمتار منه، ولا يلاحظ أحـــد مـــن هـــؤلاء وجوده. إنهم لا يبحثون عنه على الإطلاق. وحتى لو رأوه، فـــإنهم لا يأبهون البتة لذلك.

إنه غير مهم.

وهكذا، فعندما يحبس نفسه تلك الليلة بعد أن يتأكّد مـــن أن ستان غير موجود وبعد أن يتفقّد ميلي ثلاث مرات ويتأكّد من أنهـــا ليست مختبئة في قسم الملابس الداخلية النسائية أو خلـــف أصـــيص النباتات، يأخذ كارل مفكّه وينزع المفاتيح التي تحمل علامة الشَرْطة عن كل لوحات مفاتيح الكمبيوترات التي يمكنه العثور عليها، وهـــو

Twitter: @ketab_n

يقول في نفسه: *إنني مخرّب، يا إيفي!* يضع كل الشرطات في صف، بعضها إلى جانب بعض لتشكل عبارة: *إنني هنا* على طاولة المقهى. ويعثر على بعض الطباشير في قسم الأطفال ويكتب على لوح قائمة الطعام: *إنني هنا*. ويدفع الطاولات بعضها إلى جانب بعض ويرتب علب الملح والفلفل على شكل عبارة: *إنني هنا*.

يكتشف أن الباب المؤدي إلى مكتب السوق التجارية مفتوح، فيدخل إلى هناك ويفتح كل الأدراج بحثاً عن شيء ما، أي شيء قد يكشف مكان وجود ميلي، ولكن لا شيء. أين يمكن أن تكون؟ تُرى هل عثروا عليها؟ ماذا فعلوا بها؟ يجلس على المكتب ويفرك وجهه بيديه. يتأمّل الجدار الأبيض الناصع،. ويفتح غطاء علبة أقلام التلوين، ويكتب بخط كبير مميّز: *كارل الطابع على الآلة الكاتبة*.

في الصباح، يمشي مسافة نصف ميلٍ إلى محطة الحافلات ليتفقّد حال ماني. يسأله: *هل أنت على ما يُرام؟ لن تبقى هنا إلى الأبد*. ثم يعده قائلاً: *فقط إلى أن نعثر على ميلي*. يرى أنه بحال جيدة لولا الندى الذي أصابه قليلاً من هواء الصباح. يقول له: *نحن بحاجة إلى إعداد خطةٍ ما*.

يجول كارل ببصره في أرجاء المحطة، ويلاحظ أن هناك خمسة أماكن مخصّصة لركن الحافلات. تغلق إحدى الحافلات بابها ويشتغل محركها. تبدو وجوه الركاب ظاهرةً على طول النوافذ، بعضهم يضغطون أنوفهم على الزجاج وآخرون ينظرون أمامهم. تتراجع الحافلة إلى الخلف. فيحدق كارل إلى الوجوه التي تطل من النوافذ كالنشرات الإعلانية. ويفكر في سرّه: *مطلوب أو مفقود*.

Twitter: @ketab_n

وفي هذه اللحظة، يرى على النافذة الخلفية للحافلة لافتةً ملصقةً من الداخل ولكنها موجّهة للخارج كُتِبَ عليها: *إنني هنا، يا أمي.*

يكاد كارل يغص بريقه ويقول: *ميلي؟* وبينما تنطلق الحافلة في طريقها، يشد السترة عن ماني ويهزه من كتفيه ويقول: *ميلي! ماني، إن ميلي تركب تلك الحافلة.*

يضع ماني تحت إبطه ويندفع داخلاً المحطة. ويقترب من المنضدة مقطوع الأنفاس ويقول: *أرجو المعذرة. إلى أين تتّجه تلك الحافلة؟*

فلا تنظر إليه السيدة الجالسة خلف المنضدة بل تقول: *إلى كال.* وتواصل التحديق إلى شاشة الكمبيوتر.

– *حسناً. هل هناك حافلة أخرى متّجهة إلى كال؟*

تقول السيدة: *بالطبع هناك...*

– *آه، عظيم! أريد تذكرة...*

– *وهي تغادر غداً في التوقيت نفسه.*

يتنهّد كارل بخيبة أمل ويضع جبينه على المنضدة.

تقول السيدة: *أرجو المعذرة، يا سيدي.*

يرفع نظره إليها ويرى أنها تنظر إليه أخيراً.

تقول وهي تدفعه بلطف عن المنضدة: *لا تفعل هذا، يا سيدي.* وتخرج قطعة قماش من تحت المنضدة وتمسح بها المكان الذي وضع عليه رأسه.

*

Twitter: @ketab_n

يقف كارل على ممر المشاة مقابل محطة الحافلات، والمانيكان تحت إحدى ذراعيه، ويحاول أن يكتشف ما يفعل حين تقف سيارة بجانبه ويمد فتى مراهق شديد الشقرة رأسه من النافذة، ويقول: *هل فاتتك الحافلة يا سيدي؟* ويرفع الفتى حاجبيه والقلق بادٍ عليه، فيعجب به كارل على الفور.

يومئ الفتى برأسه باتجاه المانيكان ويسأل كارل: *هل أنتما بحاجة لتوصيلة؟*

فيجيب كارل: *نعم.*

يلاحظ كارل سيارة شرطة من بعيد، فيقول مرةً أخرى بسرعة: *نعم*، ويدير ظهره ويحني كتفيه كأنه لا يمكن لأحدٍ أن يلاحظ هذا التخفي المقصود. يركع بجانب نافذة السيارة وينظر من الجهة التي يجلس فيها السائق، فتنظر إليه فتاة مراهقة شقراء لها الملامح المريحة نفسها.

تقول له بابتسامة مشرقة: *نحن متّجهان إلى الشرق.*

فيقول لها: *آه، يجب أن أذهب إلى كالغورلي.* ويرى ساقيها الصغيرتين تلمعان من تحت عجلة القيادة.

يقول الفتى الأشقر: *يا سيدي! هذا الشيء الذي تحمله، يا سيدي...*

يدرك كارل أن ماني يضرب الفتى على وجهه، فيقول له: *آسف بشأن ذلك. إنه حي!* ويضحك ويكسب ملامح وجهه طرافة، ولكن لا يبدو عليهما أنهما يفهمان النكتة. وفي هذه الأثناء، تصبح سيارة الشرطة على بعد بضع مئات من الأمتار فقط، فينحني كارل.

يمد الفتى رأسه من السيارة وهو يحاول أن يلقي نظرةً على كارل: *هل أنت بخير، يا سيدي؟* يحب كارل الطريقة التي يناديه بها

Twitter: @ketab_n

الفتى بلقب يا سيدي كأنه في محل لبيع البدلات الرسمية، فيقول لـه وهو لا يزال منحنياً ويختلس النظر من خلف السيارة مراقباً سـيارة الشرطة: *نعم، شكراً لك.*

تعجبه فجأةً فكرة كونه كبيراً في السن بحيث لا يتوقّع أحد منه أن يكذب. إذ يفترض الناس أن كبار السن أبرياء مثـل الأطفـال، ولكنه لا يمانع بذلك. ويبدو له هذا أمراً منصفاً تماماً كمكافأةٍ يقدمها له الناس لاستمراره بالعيش كل هذه المدة الطويلة. عنـدما تختفـي سيارة الشرطة في آخر الشارع، يقف مرةً أخرى ويـنفض ملابسـه ويغمز للفتاة ويبتسم للفتى.

يقول الفتى: *نحن عاشقان، ولكننا بحاجة إلى سائق لديه رخصة.*

فيقول: *حسناً، هذا جميل، إنني مسرور من أجلكما.*

تقترب الفتاة من فوق حضن الفتى وتقول: *يسرنا أن نذهب إلى كارل أولاً.*

فيومئ كارل برأسه ويشير في اتجاه المقعد الخلفي ويقول: *هـل لديكما مكان شاغر؟*

*

يجلس كارل في وسط المقعد الخلفي محاولاً عدم التفكير بساقي الفتاة اللامعتين. يضع ماني على أحد جانبيه، بينما يوجد صندوق فيه خلاط كهربائي وآلة لتحميص الخبز على الجانب الآخر. يتقـدم إلى الأمام ويسند يديه على الكرسيين الأماميين بينما يفتح الفتى والفتـاة النافذتين المجاورتين لهما ويمدان أيديهما. هؤلاء الاثنان ليس لـديهما أي فكرة عما سيأتي. لا يزال أمامهما الكثير ليعرفانه ويكتشـفانه.

Twitter: @ketab_n

تُرى هل يتذكّر كارل اكتشافه أنه لا يعرف أيّ شيء؟ لا، فقد كانت عملية تدريجية كنوعٍ من الذوبان الذي يحدث على مرِّ السنين.

تبتسم له الفتاة في المرآة الخلفية، وتقول: *حزام الأمان!*

يستوي كارل في مقعده ويحاول أن يبدو لامبالياً وهو يفكّر ببرانسون سبايك، ويقول: *لم يكن لدينا أحزمة أمان عندما كنت في مثل سنّكما*. ويثبّت حزام الأمان ثم يقول: *كل هذا الكلام المتعلّق بالحماية مبالغ فيه، ألا تظنّان ذلك؟*

يقول الفتى وهو يلتفت ليواجه كارل وينظر إليه بعينين مفتوحتين على وسعهما كأنه صادف مدينة أثرية: *رائع، يا سيدي. لا أحزمة أمان؟ لا بد أنكم كنتم... تعرف.*

تزعجه كلمة "سيدي" قليلاً، فيقول بعجرفة: *لا بد أنك لم تقد السيارة قط وأنت ثمل.*

فيقول الفتى: *كلا، يا سيدي. فأنا لا أشرب.*

تعلّق الفتاة قائلة: *سيصبح جرّاح دماغ.*

فيقول الفتى وهو يهز كتفيه بخبث: *نعم.*

تقول الفتاة: *يتمتع حبيبي بيدٍ ثابتة جداً.*

فيرفع الفتى يديه إلى جانب وجهه ويقول: *آمل هذا*. يبدأ كارل يستاء منه بالفعل.

يقول كارل وهو يضع إحدى ذراعيه حول ماني والأخرى حول الخلاط الكهربائي: *تعوّدت أن أقود السيارة وأنا ثمل طوال الوقت، وكانت الشرطة تتوقع هذا*. استطاع أن يرى ماني ينظر إليه بطرف عينه ويدعو هذا الكلام محض هراء.

Twitter: @ketab_n

يسأل الفتى: *ما الذي كنت تعمله، يا سيدي؟*

- *ما الذي كنت أعمله؟*

- *أقصد للعيش؛ مهنتك.*

- ذلك الزمن الماضي! *حسناً، لقد كنت....* ويبحث عن شيء ما مثيرٍ للإعجاب.

تقول الفتاة وهي تتأمّل ماني في المرآة الخلفية: *من هذا؟ أهو صديقك أو ما شابه؟*

فيقول قبل أن يتسنّى له التفكير: *نعم، إنه كذلك.*

تقول الفتاة: *هذا لطيف.*

يسأل الفتى: *ما مشكلة يديك؟*

فيجيب كارل: *ما مشكلتهما؟*

- *نعم. ما الذي يجري هناك؟ لماذا تتحركان كثيراً؟ هل تفعل شيئاً ما؟*

ينظر كارل إلى المقعد تحته: *أفعل شيئاً؟*

- *رائع! أهذا السبب تريد التوجّه إلى كارل؟*

- حسناً... ويصاب كارل بارتباكٍ شديد. ويستغرق الأمر منه لحظةً ليستجمع شتات تفكيره. يدير وجهه قليلاً إلى الخلف لينظر من النافذة الخلفية ويتأمّل إسفلت الشارع الأسود يمتد من خلفهم كأنه ساحر يشد من كمه شريطاً لا نهاية له. ينظر إلى الخلاّط ومحمصة الخبز إلى جانبه ويفكر كم هي لطيفة مشاركة الأدوات مع شخص ما، وكم هو لطيف بدء حياةٍ كاملةٍ جديدةٍ، دون أي شيء سوى القدرة على مزج الطعام وتناول الخبز الأسمر.

Twitter: @ketab_n

يقول كارل: *يوجد شخص ما على متن تلك الحافلة، يجب أن أصل إليه.*

فتتأمله الفتاة بفضول في المرآة الخلفية، وتسأله: *هل تحب ذلك الشخص؟*

يفكر كارل بالأمر، ويجيب: *بطريقةٍ ما.*

تقول الفتاة: *رائع! حبُّ المسنّين! هذا ظريف جداً.* وتلتفت إلى الفتى وتقول: *يجب علينا فعلاً أن نوصله إلى تلك الحافلة. سنوصلك إلى تلك الحافلة، فأنت ظريف جداً.*

يتساءل كارل: *ظريف؟* ولا يعرف إن كان هذا الوصف مجاملةً أم إهانة.

يسأل الفتى: *هل أنت متزوّج، يا سيدي؟*

- *نعم. أقصد لا. الأمر معقّد.*

- *لماذا؟ أين زوجتك؟*

ينظر كارل إلى أصابعه، ويطبع على ركبتيه: *إنني هنا يا إيفي،* ثم يقول: *في المقبرة.*

يقول الفتى: *آه.* وبعد دقيقة يقول: *تقصد أنها...*

- *نعم، ماتت.*

يلتفت الفتى إليه ويقول: *إنني آسف، يا سيدي.*

تقول الفتاة وهي تحدق إليه بينما تنحرف السيارة إلى اليمين: *إنك تتمتع بأخلاق عالية، يا حبيبي.*

يشير كارل من المقعد الخلفي إلى الطريق.

يقول الفتى: *وأنتِ أيضاً تتمتعين بأخلاقٍ عاليةٍ، يا حبيبتي.*

Twitter: @ketab_n

تنحرف الفتاة بالسيارة إلى جانب الطريق وتركنها، وتمسك بوجهه بين يديها الاثنتين وتنظر إلى عينيْه بحرقةٍ وتقول: *لا تمتْ. إياكَ أن تموت.*

فيقول وهو يضع يديه على كتفيها: *لن أفعل. أعدكِ بذلك.*

تقول له: *قلْها. قلْ إنك لن تموت أبداً.*

- *لن أموت أبداً.*

يود كارل أن يقول لها: سوف يموت، ولكنهما يبدآن المغازلة بطريقةٍ لا بدّ أنهما تعلّماها من الأفلام السينمائية، ثم يشدّان أحدهما الآخر من ملابسه كأن كل واحدٍ منهما يريد أن ينزع جلد الآخر عن جسده. لا يبدو عليهما أنهما سيتوقفان عمّا قريب، فيقول كارل: *أظن أننا سنخرج قليلاً لنستنشق بعض الهواء المنعش.* لا يسمعانه بالطبع، أو أنهما يسمعان ولكنهما لا يأبهان بذلك. يشير كارل إلى الخارج ويقول: *سوف أكون هناك... يمكنكما أن تحظيا ببعض الوقت بمفردكما.*

ينحني كارل فوق ماني ويفتح باب السيارة، ثم يدفع ماني خارجها ويغلق الباب بهدوء. لا يعرف لماذا يتصرف معهما كأنهما طفلان نائمان، ولكنه يفعل هذا على أي حال. يلتقط ماني من الأرض ويأخذه إلى أقرب شجرة فيسنده إليها ويقف بجانبه. كل جانب من جانبي الطريق تحفُّه الأشجار الصغيرة، وبعض الأعشاب الخفيفة النابتة من التراب الأحمر، كأنها شوارب فتى مراهق.

يقول كارل وهو ينظر إلى ماني: *لا تنظر إليّ هكذا. إنني آسف بشأن ما جرى،* ثم يسمع صوتهما الصادر من السيارة ويقول: *تُرى ما الذي يعرفانه عن الحب، يا ماني؟*

*

Twitter: @ketab_n

يستغرق كارل في النوم وهو جالس مستنداً إلى الشجرة وذراعاه ملفوفتان حول ساق ماني الباقية. ويستيقظ على صوت إغلاق باب السيارة.

يقول الفتى: *سيدي؟*

فيقول كارل بعفويةٍ مباغتة: *بسرعةٍ، يا ماني. لنتظاهر أننا ميّتان.* ويسقط على الأرض، فينغرس الحصى في مؤخر عنقه. يؤكد لماني وهو يربّته: *لا تقلق. سيكون هذا ممتعاً، سيحبانه كثيراً.*

يراقبهما كارل من بين رموشه وهما يمشيان نحوه. يصفع الفتى الفتاة على ظهرها بمرح، فتقفز من مكانها وتلوّح بإصبعها نحوه متظاهرةً بالانزعاج.

يقول الفتى عندما يصل إليه: *سيدي؟* فيشعر كارل به يحجب ضوء الشمس عنه ملقياً بظلّه عليه.

يشعر كارل بنقرةٍ على كتفه، ويقول الفتى مرة أخرى: *سيدي، نحن مستعدان الآن.* يمسكه من كتفيه ويهزّه قائلاً: *ينبغي أن تنهض الآن، يا سيدي.* فلا يحرّك كارل ساكناً.

تقول الفتاة فاغرةً فمها قليلاً: *هل هو؟*

فيقول الفتى وهو يصفع كارل على وجهه: *سيدي، يمكنك أن تنهض الآن*، ويشعر كارل بأنفاس الصبي على خدّه.

تبدأ الفتاة بالعويل، وتصيح قائلة: *لقد قتلته، أيها الوغد الغبي. كنت أعرف أنك ستقتل شخصاً يوماً ما.* فيقول الفتى: *لست أنا من قتله.* فتقول له: *ما كان ينبغي علينا أن نوصل شخصاً كبير السن إلى هذا الحد. قلت لك إنه طاعن في السن.* فيرتعش كارل قليلاً لسماع هذا الكلام. يقول الفتى: *اخرسي، أيتها الحمقاء.*

Twitter: @ketab_n

إنني أحاول التفكير. لا أستطيع التفكير وأنت تصرخين. فتبدأ الآن بضربه وتلوّح بيديها وهي تلكم عضلات صدره. لا يبدو على الفتى أي تأثّر. فتقول: *ما الذي سنفعله بالجثة؟* فيقول الفتى: *سيتوجب علينا أن ندفنه.* ويبدأ بجر ساقي كارل. يشعر كارل فعلاً بسخافة الموقف الآن، فيفتح عينيه ويلوح لهما بكلتا يديه كأنه متسابق فائز في مسابقة ما. ويقول: *مفاجأة!* ولكنه لا يبدو واثقاً تماماً من وقع الأمر عليهما. فيسقط الفتى ساقيه ويصرخ، وتصرخ الفتاة. هل سبق أن صرخ أحد في وجهه بتلك الطريقة؟ لا يظن ذلك، لذا يبتسم وينهض على قدميه وهو يشكو من آلام عظامه، ويقول: *مجرّد مزحة، أتريان؟* ويدور حوله نفسه ويبذل جهده ليقوم برقصة سريعة.

يسود التوتُّر أجواء التوصيلة من الآن فصاعداً، فيحاول كارل أن يتجاذب أطراف الحديث عن العائلة والطقس وماركات السيارات. ويقرأ اللافتات التي يمرون بها. *كالغورلي: مائة كيلومتر. أفسح الطريق. ماشية تقطع الطريق.* ويشير إلى الطيور والحيوانات التي دهستها السيارات المسرعة والتغيير في أشكال الشُجَيْرات محاولاً أن يغيّر نبرة صوته ليثير الاهتمام.

ثم يجرّب طريقةً مختلفةً ويقول: *استمعا إليّ. كم شيئاً ميتاً تعرفان؟*

فتقول الفتاة: *أرجو المعذرة؟*

يتنحنح ويقول: *أقصد هل توفي أحد من عائلتيكما؟*

فيسأل الصبي: *لماذا تسألنا؟ هل ستقتلنا؟*

– *كلا! بالطبع لا. إنه مجرد سؤال. عندما تصبحان في مثل سني، فإن معظم من تعرفونهم يكونون قد ماتوا.*

Twitter: @ketab_n

تركن الفتاة السيارة إلى جانب الطريق وتترجّل منها وهي تقول: *سأذهب لأقضي حاجة. وعندما أعود، من الأفضل ألاّ أجد أحداً منكما يتظاهر أنه ميت وإلا قتلته.* وتصفق الباب بعنف ثم تتوارى داخل الشُجَيْرات.

يلتفت الصبي إلى كارل ويقول: *عمل جيد، أيها الرجل المسن.*

فيقول كارل: *لم أولد مسنًّا، أؤكد لك هذا، أيها الشاب.* ثم يهمس له بنبرة تآمرية: *هيا بنا نفعلْ شيئًا ما.*

- *عَمّ تتحدث؟*
- *نسرق شيئًا ما. نضع بعض الشراب في أباريق الماء.*
- *أي أباريق؟*

يفكر كارل بالفيلم الذي يؤدي برانسون سبايك بطولته، فيقول: *نوقع بعض صناديق البريد. نرمي أحد البيوت بالبيض.*

- *سيتوجب علينا أن ننظّف المكان.*
- *ألا تحب أن تعرّض نفسك للخطر؟*
- *ليس بالفعل.*

يستند كارل إلى كرسيه.

يرفع الفتى حاجبيه ويقول: *انتهى الأمر، أيها الرجل المسن.*

- *ماذا تقصد؟*
- *تعرف ما أقصد.*

لذا يشبك كارل ذراعيه إن كان هذا ما يريده.

ينظر كارل من النافذة الخلفية مرةً أخرى، فيبدو الطريق مختلفاً الآن وهم متوقفون، و لم يعد يوحي بأي خدعة سحرية بل يبدو بغاية

Twitter: @ketab_n

الكآبة في حالة ركوده تلك. في هذه اللحظة، يقترب شيء ما من الأفق ويتقدم نحوهم. إنها حافلة. يقول لماني: *حافلة!* فيقول الفتى: *ماذا؟* يكرّر كارل: *إنها حافلة*. تمر الحافلة من جانبهما وتهز السيارة. يتقدم كارل نحو الأمام فوق علبة تغيير السرعة ويضع يديه على لوحة السيارة. فيقول الفتى: *ماذا تفعل؟* يرى كارل قطعة ورق بيضاء على النافذة الخلفية للحافلة، فيقول وهو يلتفت نحو الفتى: *إنها هي. من المؤكد أنها هي. اتبع تلك الحافلة.*

فيقول الفتى: *ماذا؟*

تبتعد الحافلة عنهما. فيتلهّف كارل للحاق بها حتى أنه يحاول أن يصعد إلى المقعد الأمامي، ولكن الفتى يدفعه إلى الخلف ويقاومه بقوة. لا يستطيع كارل الفوز، إذ ليست لديه فرصة أمام الشاب القوي المفتول العضلات، لذا يغوص في مقعده، ولا يعود يُسمع سوى صوتِ أنفاسهما.

يبادر الفتى قائلاً: *اهدأ وحسب*. ولكن كارل يغير رأيه، ويقرّر أن بوسعه الفوز. يفتح الباب الخلفي ثم الباب الأمامي ويحاول الجلوس في المقعد الأمامي. يدفعه الفتى فيتشبّث كارل بالمقود ليثبت نفسه، ولكن الفتى يحاول أن ينزع أصابع كارل عنه، وهذا ليس من العدل في شيء لأنه يملك كل أصابعه و لم يفقد شيئاً منها. لا يعرف ذلك الفتى ما يعنيه أن يفقد المرء جزءاً من جسده وأن يفقد كل شيء. إنه لا يعرف، لذا يحلّ كارل قبضته عن المقود دون أن ينتبه الفتى، ويحوّل كل قوته إلى يديه وإلى أطراف أصابعه التي لا تزال موجودة، ويشعر بها تنبض على طول أصابعه. يفكر في سرّه: *إنني هنا*. ويضرب الفتى بكل قوته على جبينه.

Twitter: @ketab_n

يتأوّه الفتى الخارق ويفرك جبينه وهو يرمق كارل بنظرة اتهام.

فيقول كارل: *آسف*، وهو يشعر مسبقاً بالندم لما فعله، ثم يتكئ على جانب السيارة محاولاً أن يلتقط أنفاسه.

– *حقًا، يا رجل. هذا ليس لطيفًا.*

يقول كارل: *قلت لك إنني آسف، يا رجل.*

تظهر الفتاة بجانب كارل، فيجفل.

تقول وهي تضع يديها على خصرها: *حسنًا؟*

– *حسنًا، ماذا؟*

فتقول وهي تشير إلى الطريق: *حسنًا.*

يمشي كارل إلى الأمام خلف غطاء السيارة ويرفع يديه فوق عينيْه وينظر باتجاه كالغورلي، فيكتشف أن الحافلة متوقفة أمامهم. إنها هناك على مقربةٍ منهم.

ينادي قائلاً: *انتظروا.* ويلوّح بيديه. ثم يقول: *شكرًا على التوصيلة. كانت رائعة!* ويخرج ماني من المقعد الخلفي ويصفق الباب، ثم ينادي مرة أخرى: *إنني قادم.*

بينما هو يهرول مسرعاً على طول الطريق، يسمع الفتاة تقول: *ما الذي دهاك، بحق السماء؟*

يجيب الفتى قائلاً: *لقد ضربني على وجهي.*

فتقول له: *يا إلهي! كم أنت مثير للشفقة! لقد كانت أمي محقّة بشأنك.*

تختفي الأصوات من خلفه، فيكرر نداءه قائلاً: *انتظروا.* ويهرول بأقصى سرعته على طول الطريق، ويكرر: *انتظروني.* يتمنى لو يستطيع أن يركض كما تعوّد أن يفعل في الماضي. يتمنّى لو يستطيع

Twitter: @ketab_n

أن يصبح صاخباً ولامبالياً حيال أطرافه. يركز على المربع الأبـيض المعلّق على النافذة الخلفية، ويهمس: *من فضلكم، لا تذهبوا*. تنطلـق الفتاة والفتى بسيارتهما مروراً به ويرميان بسترته من النافذة، فتصـيبه في وجهه. ويسرع الشابان مبتعديْن بسيارتهما مخلّفيْن آثار عجـلاتٍ على الطريق وسحابةً من الغبار تكتنفه. يزيل كارل السترة عن وجهه ويراقب الشابين يبتعدان نحو غياهب النسيان عند الشباب، ويأخـذ نفساً عميقاً ويصيح بأعلى صوته قائلاً: *سيموت حتماً، أؤكد لك*.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

تقود الحافلة التي تقل ميلي وآغاثا سائقة امرأة، ولكن يبدو أنها ارتدت ملابس أبيها؛ بنطال قصير أزرق اللون، وقميص بأكمام قصيرة يبدو مقاسه كبيراً عليها، وجوربان مرفوعان حتى ركبتيها، وحذاء أسود برباط. تبدو شديدة النحافة ولها شعر إبري. تتمشى ميلي على طول الممر مصطحبةً ساق المانيكان.

الحقيقة

مدهشة

أن تذهب إلى المرحاض

تعثر ميلي على مقعد خلف السائقة. هناك ملصق على اللوحة كتب عليه: *هل تودّ أن تتحدّث إلى الرجل المسؤول أم إلى المرأة التي تعرف ما يجري؟* تراقب الشَرْطات البيضاء المرسومة على الطريق. ويأخذها العجب أن ترى الحافلة تسرع فتتجمّع الشَّرْطات على شكل خطٍّ أبيضَ طويلٍ يفصل العالم إلى نصفين.

تسأل ميلي السائقة: *هل سبق أن رأيتِ دجاجاً يأتي معبأً في دِلاء؟*

تظل السائقة صامتة فترةً طويلةً وهي جالسة ومستمرة بالقيادة كأن ميلي لم تتحدث على الإطلاق. توشك ميلي أن تكرر السؤال عندما تقول السائقة: *لقد فعلت هذا ثلاثين سنة*، وتحدّق إلى الطريق متأمّلة. ويبدو صعباً أن تعرف إن كانت تتحدث إلى نفسها أم إلى ميلي، ثم تتابع كلامها قائلة: *قد تظنين أنكِ لن تتعلّمي كثيراً وأنتِ تقطعين الطريق نفسه ذهاباً وإياباً*. تمر الحافلة بمرعى للخيل لونه

Twitter: @ketab_n

أخضر ساطع، وفي وسطه شجرة رمادية مجرّدة من الأوراق، تبدو كأنها شخص يحاول أن يلفت الانتباه، فتلوّح ميلي لها.

على جانبي الطريق، تبدو الأرض مسطّحة وعريضة وبيضاء بالكامل. تسطع الشمس عليها، فتغطّي ميلي عينيْها من الوهج، وتسأل: *أهذا ثلج؟*

تضحك السائقة وتقول: *ألم تري سهول الملح من قبل؟*

فتجيب ميلي بالنفي وهي تود أن تلعق سهل الملح أكثر من أي شيء آخر. وتضغط جبينها برفق على النافذة.

تتابع السائقة قائلة: *كان يوجد ماء هنا، ثم أتى الملح وامتصّ كل الماء* – تحدث صوت امتصاصٍ بفمها – *وقتل كل شيء من حولها.*

توجد دوامات وأشكال متعدّدة في أنحاء السهل كافة كأن هناك عمالقةً ترسم عليه بأصابعها.

ولكن بدأت بعد ذلك تنمو فيه نباتات لم تكن لتنمو من قبل. كم هذا جميل، أليس كذلك؟ يلمع الملح في عينيْ ميلي في ضوء الشمس.

تتابع السائقة كلامها قائلة: *ومع ذلك، فالمكان شديد القسوة هناك. كل أولئك الهيبيين الذين يذهبون إلى الهند ويعلّقون أنفسهم رأساً على عقب ليعثروا على ذواتهم، فليتمشّوا في الحدائق أو فليأتوا ويمضوا بعض الوقت هنا، وسيعثرون على ذواتهم بأسرع مما يتخيّلون.*

تستطيع ميلي أن ترى انعكاس صورتها في النافذة، ويبدو غريباً بالنسبة لها أن تفكر بالعثور على ذاتها. ألا يود المرء أن يعثر على

Twitter: @ketab_n

شخصٍ آخر؟ ألستَ أنتَ الشيء الوحيد الذي تكون واثقاً منه؟ تضع يدها على الزجاج فوق انعكاس صورتها.

يمرون بجانب صفين من أشجار الصمغ التي تنحني على الطريق ونحو السماء كأنها فرقة راقصة. تقول السائقة: *هذه الأشجار هناك. أترين كم هي زهرية اللون؟* تومئ ميلي برأسها، وتجعلها هذه الأشجار تفكر بباطن فمها. تضيف السائقة: *إنها أشجار صمغ السلمون. تبدو دائماً كأن الشمس تغرب عليها*، فتحدّق ميلي إليها.

– *أتلك جدتك الجالسة هناك؟*

فتهز ميلي كتفيها.

تقول السائقة: *ما هذا الذي تضعينه على معصمك؟*

تنظر ميلي إلى حاملة علب العصير وتقول: *إنها لأبي، لقد توفي.*

تنظر السائقة إلى ميلي في المرآة الخلفية، وتقول: *ما سبب وفاته؟*

– *لا أعرف.*

تومئ السائقة برأسها وتبطّئ سرعة الحافلة.

تقول ميلي: *أنا ميلي بيرد.*

– *ستيلا، يا عزيزتي. اسمي ستيلا.* وتشد السائقة ياقة قميصها وتقول: *هذه ملابس أخي وهذه حافلته أيضاً، لقد فارق الحياة كوالدك.*

تومئ ميلي برأسها.

تقول ستيلا: *ماذا عن أمك؟*

تقاطعهما آغاثا قائلة: *أصغي إليّ يا فرشاة الحمّام.* وتقدّمت على طول الممشى وثبّتت نفسها على مسند مقعد ستيلا. *ألا يزال القطار يغادر من كالغورلي؟*

Twitter: @ketab_n

تحدّق إليها ستيلا في المرآة، وتقول: كلا.

- *كلا؟*

- *لديهم سيارات طائرة الآن. يمكنهم أخذك إلى هناك مباشرة وبسرعة أيضاً.*

تقول آغاثا: *حسناً، يا فرشاة الحمّام. إن لم تكوني تريدين المساعدة، فاكتفي بالرفض وحسب.*

- *حسناً، أيتها السيدة، إنني لست مكتب الاستعلامات اللعين. يمكنني أن أنزلكِ في المحطة لتحلي مشكلتكِ بنفسكِ.*

- *ألا يمكنكِ أن تصرخي لإحدى قريباتك من النافذة: ماري! متى سينطلق القطار؟*

تركن ستيلا الحافلة إلى جانب الطريق عند موقف الحافلات، بينما يتكسّر الحصى تحت العجلات، وتعلن وصولها إلى المحطة. ينفتح الباب، ويترجّل شاب طويل القامة يضع سماعتين في أذنيه، من الحافلة.

تستدير ستيلا جانباً لتواجه الباب وتسند إحدى ذراعيها على ظهر الكرسي بينما تضع الأخرى على عجلة القيادة. تقول ستيلا لآغاثا: *ليست مشكلتي*، ولكنها لا تنظر إليها. وبدلاً من ذلك، تنظر إلى الركاب وهم يصعدون إلى الحافلة. يصعد صبي صغير يضع نظارةً بخطواتٍ كبيرة إلى الحافلة. تقول ستيلا: *يوم سعيد، يا لورنس الصغير*. فيقول لورنس: *مرحباً*، ستيلا، ولكنه لا ينظر إليها. تعرف ستيلا جميع أسماء ركابها: السيد كرانلي، تيمبو، فينس، فيليستي، وكلهم يعرفون اسمها.

Twitter: @ketab_n

يبدو آخر رجل يصعد إلى الحافلة ضخماً وعريضاً، يرتدي سترةً فاقعةً ووجهه ويداه وذراعاه ملطخة بالتراب. يقول لها: *يوماً سعيداً، يا ستيلا*. فتومئ برأسها تحيةً له وتقول: *ترينت*. يقف أعلى الدرج ويشير بإبهامه في الاتجاه الذي أتى منه ويقول: *هناك رجل في طريقه إلى هنا. ستضطرين لانتظاره بعض الوقت. إنه على بعد مئة وخمسة وسبعين متراً.*

عندئذ، تحدث مفاجأة مدوّية كانفجار البالون، لأن كارل يظهر عند أسفل الدرج حاملاً المانيكان تحت إحدى ذراعيه وهو يتنفّس بصعوبةٍ والعرق يتقاطر على وجهه. تشعر ميلي بقلبها يقفز من صدرها، ثم تركض إلى الدرج وتحيط كارل بذراعيها.

يقول لها: *ميلي!*

تقول آغاثا: *هل تبعتني إلى هنا، يا جين ويلدر؟* وتمد يدها إلى حقيبتها وتخرج بسكويتة وترميه بها.

Twitter: @ketab_n

آغاثا وكارل في الواقع يعرفان أحدهما الآخر (قليلاً)

تعوّد كارل أن يمر ببيتها وهو يرتدي تلك البذلة الأرجوانية كل مرة. وكان في بعض الأحيان يرتدي سترة طويلة جداً تصل إلى أصابع قدميه. وتعوّدت أن تصيح في وجهه وهي جالسة على كرسيها قائلة: *شعر خفيف! بذلة سخيفة! وجه مزعج! تحاول أن تبدو مثل جين ويلدر!*

توقف هناك ذات مرة أكثر من بضع لحظات وراح يداعب سياج حديقتها. في البداية، صعقت من تصرّفه حتى أن دماغها عجز عن تكوين كلمات حقيقة تعبّر بها، فصاحت: *باه! ساه!* ثم قالت في النهاية: *ماذا؟* ونهضت والدماء تغلي في رأسها ومدت سبابتها من النافذة إلى أقصى مسافة ممكنة وقالت: *كف عن إزعاج سياجي!* ومدت رأسها من النافذة وأشارت بإصبعها إليها. قفز الرجل ونظر إليها، فصاحت: *نعم أنت! إنك تلمسه!*

تشبّث بقمة سياجها بكلتا يديه وصاح لها ويداه تربّتانه: *إنني آسف. لم أقصد ذلك. الأمر فقط... يمكنني أن أساعدك في إزالة هذه الأعشاب.*

أشارت آغاثا بإصبعها إلى آخر الشارع، وصاحت: *انصرف! أتعرف كيف تفعل هذا؟*

انصرف بالفعل، ولكنه مرّر إصبعه على طول السياج وهو يمشي. وفي اليوم التالي، عاد مرةً أخرى، وكذلك في اليوم الذي تلاه والذي تلاه، وبدأ ينحني فوق سياجها وينتزع الأعشاب. فكانت تمد

Twitter: @ketab_n

رأسها من النافذة وتحاول أن ترميه ببعض البسكويت القديم. فقد أزعجها كثيراً. كانت تصيح له بين الحين والآخر وهو يمشي إلى آخر الشارع: *أنت تزعجني!* وتعوّدت أن تلصق وجهها بالنافذة إلى أن تشكّل أنفاسها ضباباً على الزجاج. لم ينظر إليها قط، وهذا ما أزعجها أكثر، ولكنها لم تعرف السبب في ذلك. وذات مرة، صاحت وهي تتأمله يهرب إلى آخر الشارع ويختلس النظر إلى حدائق الجيران قائلة: *لماذا يزعجني إلى هذا الحد؟* وذات يوم، كف عن المجيء. فأصبحت تقف عند النافذة من الساعة 12:51 إلى الساعة 1:32 لمدة أسبوع وهي تُدخل أصابعها في وعاء مليء بالبسكويت القاسي كالحجارة بانتظاره، ولكنه لم يأتِ، فخالجها شعور كالدوار.

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

عانق ميلي وشعر أنه شيء لا يستحقه، ولكنه تمنّى لو أنه يستحقه فعلاً. من المؤكد أنه عانق ابنه في الماضي بهذه الطريقة، ولكن الشعور بدا جديداً عليه. والآن، اكتشف أن المرأة الأخرى موجودة هنا لتجعل حياته أكثر تعقيداً وإثارةً للاهتمام.

شيء آخر يعرفه كارل عن آغاثا

كان يعرف قصة تلك المرأة كما تعرفها كل بلدة وارويكفيل. فقد مر كلٌّ من سكوت وآيمي بسيارتهما أمام بيتها ذات يوم بعد أن توليا شراء البقالة لكارل.

لكمت آيمي ابنه على صدره مازحةً، وقالت: *خفِّفِ السرعة. دعنا نعرّضْ نفسينا لمشكلة.*

قال ابنه: *كلا، دعينا نتركْها وشأنها.*

فقالت آيمي: *هيا، يمكنك في بعض الأحيان أن تراها وهي تنظر من نافذتها.*

لم يخطر ببال كارل قط أن تنضم قصة تلك المرأة إلى عالم الأشياء التي تجدها آيمي مثيرةً للاهتمام (كسوء حظ الآخرين، والخنازير الصغيرة التي تسعها حقائب اليد، ورجل يدعى الدكتور فِل)، ولكنه الآن راح ينظر إلى بيت تلك المرأة ووجد قصتها وثيقة الصلة بالموضوع. كان النظر إلى بيتها أشبه بالنظر إلى داخل أمعائه، فهو مظلم ومحتضر ويلوّح براية الاستسلام البيضاء منذ وقت طويل.

قالت آيمي: *آه، ها هي.*

Twitter: @ketab_n

نظرت المرأة إليهم مباشرة من نافذتها وملامح وجهها باردة وقاسية.

قالت آيمي وهم ينطلقون مبتعدين عن بيتها: *إنها تبدو غريبة الأطوار وهي تعزل نفسها بهذه الطريقة. أهذا تصرف رومانسي أم كئيب أم مجرد جنون محض؟*

فقال ابنه: *الثلاثة معًا على ما أعتقد. ما رأيك يا أبي؟ إنها سيدة عازبة. هل تريدني أن أتركك عند عتبة بابها؟*

لم يقل كارل أي شيء. فكل شيء حيال ذلك البيت ووجه تلك المرأة جعله يشعر أنه أقل وحدة.

*

يقفون خارج محطة القطار في كالغورلي بجانب نصب تذكاري للحرب؛ وهو عبارة عن تمثال جندي بحوزته بندقية في وضعية الاستعداد يطل من فوق رؤوسهم. تمر من أمامهم عربات ذوات أربع عجلات عليها طبقات عدة من الصدأ، جفّفتها الشمس فبدت كأنها أعمال فنية. تمتد أسقف الحانات على طول السماء بصفوفٍ جميلةٍ وفخمة. وبينما هم في الحافلة في طريقهم للدخول، نظر كارل إلى لوحةٍ خارج إحدى الحانات، وقد كُتب عليها: *فتيات مثيرات*. فراح يحدّق إلى اللافتة بضع دقائق حين تباطأت الحافلة عند إشارة المرور. وانتشر أثر الإدراك البطيء للمغزى الكامن وراء العبارة على خدّيه على شكل بقعٍ حمرٍ قانية.

في ديارهم التي تقع على الساحل الجنوبي الغربي، يتميز الناس بعيونٍ ناعسةٍ وملامح شقرٍ وخطوات بطيئة. أما الناس هنا،

Twitter: @ketab_n

فإنهم يبدون مختلفين، فهم قساة المظهر كأنهم رسوم كاريكاتورية خرقاء على ورق، وكأنهم وُلِدوا من التربة الحمراء نفسها التي يجرّون أقدامهم عليها، ومن أشجار صمغ السلمون النامية على أطراف الشوارع. يصيحون خارج المخبز وفي السوبرماركت وفي الحانات وفي الطريق العام الرئيسي، ويقذفون كلماتهم بعنف كأنهم يرمون جملهم في خلاّطٍ كهربائي. لا يشعر كارل أنه ينتمي إلى هذا المكان، ولكنه، على أي حال، لا يشعر بالانتماء حتى إلى دياره التي تركها.

السماء يتراوح لونها بين الليل والنهار، وتكتسب ذلك اللون الأزرق الداكن الذي يتشكّل عندما تتخلّى عن أحدهما من أجل الآخر. تتقدّم آغاثا نحو كارل وميلي بغضب بينما تكتنفها سحابة من الغبار. من الصعب تمييز شكلها في الظلام الحالك، ولكنّ هناك سمةً ما حيال الطريقة التي تمشي بها، تجعل من الصعب أن يخطئ المرء بينها وبين أي شخص آخر، فهي تبدو كأنها تحارب الهواء، أو كأن الهواء سميك وتريد أن تمزّقه وتخترقه بجسدها.

تقول، وسحابة من الغبار لا تزال تحيط بها كحقلٍ مغناطيسي: *حسناً، لا يغادر القطار حتى صباح الغد. أراهن أن ستيلا كانت تعرف ذلك أيضاً! لا تثقي بامرأةٍ أشد نحافةً منكِ! دوّني هذه المعلومة! ما الذي سنفعله الآن؟ يا طابع الآلة الكاتبة! لن أجلس هنا طوال الليل وأنا أحدّق إليك! إن الساعة تشير إلى السابعة وسبعٍ وثلاثين دقيقة مساءً! وليس لدينا أي مال.*

يتملّك كارل شعور متزايد من الفزع ينتابه في هذه اللحظة عندما يدرك أنه الرجل الوحيد بين امرأتين. فالرجال لديهم

Twitter: @ketab_n

مسؤوليات محدّدة تترتّب عليهم في هذه الظروف، وهذا ما يعرفه بشكلٍ مؤكد. يستطيع أن يشعر بأنظار جميع النساء تتجه إليه، ليس فقط المرأتان اللتان برفقته الآن، بل جيل النساء على مدى القرون والبلاد والحضارات. فيقول بنبرةٍ يأمل أن تبدو قيادية: *حسناً! يجب علينا أن نفعل شيئاً ما*. ويشير إلى الهواء بسبّابته ليضع نقطة للجملة. ويبدأ يذرع المكان على أمل أن تثير الحركة مركز اتخاذ القرارات في دماغه، ثم يقول فجأة: *هيا بنا...*

تقترح ميلي قائلة: *نختبئ*.

يفكر كارل ملياً ويقول: *هذا يبدو جيداً تماماً*.

تقول آغاثا: *لقد حضرت صديقة لي ذات مرة إلى كالغورلي، ولم تعد قط. لا أعرف ما الذي حلّ بها! لم يقل أحد ذلك بشكلٍ مؤكد، ولكنني أعرف أنها في أحد بيوت الدعارة الآن تقوم بعملها!* تأخذ نفساً عميقاً لتتابع ثرثرتها ولكنها تؤثر إغلاق فمها، فقد لفت شيء ما انتباهها. تتمسك بسياج النصب التذكاري وتحدق إليه، وتقرأ: *لن يكبروا في السن ولكن نحن من بقينا سنكبر*.

تبدو آغاثا عاجزةً عن التحرّك. وتكرّر قائلةً: *نحن من بقينا*. وتضع يدها بحذرٍ على عنقها.

تمد ميلي ذراعيها من خلال الفتحة بين قضبان السياج وتنظر إلى آغاثا وتسأل: *ماذا يعني بيت الدعارة؟*

يبدو على آغاثا أنها تستعيد انتباهها فتدير ظهرها للنصب التذكاري وهي تقول: *ما الذي تنظران إليه أنتما الاثنان؟* وبينما هي تقول ذلك، تقترب حافلة وتتوقّف أمامهم.

ينفتح باب الحافلة. إنها ستيلا. تقول: الساعة السابعة.

Twitter: @ketab_n

تمعن آغاثا النظر داخل الحافلة وهي تقـــف مســـتقيمةً كأنهـــا بوضعية الاستعداد ثم تقول: *أرجو المعذرة؟*

– *القطار، أيتها المتذمّرة. إنه يغادر في السابعة صباحاً.*

فتقول آغاثا: *ظننت أننا لسنا مشكلتك.*

تقول ستيلا: *غيّرت رأيي، أليس كذلك؟*

Twitter: @ketab_n

يصدر بيت ستيلا كثيراً من الأصوات. فالأرضية تتكلم عندما تمشي ميلي عليها ويبدو أنّ هناك أناساً يتجولون في أنحاء السقف والجدران محاولين الدخول أو الخروج أو ربما الرقص. لم تستطع ميلي أن تحدّد ذلك. وبدا المكان كلّه يعج بأشياءٍ كثيرةٍ لا يتناسب بعضها مع بعض وكلها مكوّمة ومجبرة على التماشي معاً. تعثر ميلي على أشياءٍ جديدةٍ لم ترَها من قبل. فتتساءل إن كان هو السبب الذي فعلت ستيلا هذا من أجله، أي لتظل تنسى وتكتشف.

تستحم ميلي وتبني مدناً كاملةً من الفقاعات: بيوتاً وناطحاتِ سحابٍ وطرقاً وأشجاراً ومقبرةً وسوبرماركت ومدرسةً ومخفر شرطةٍ ومكتب بريد. تظل في الداخل وقتاً طويلاً حتى يصبح الماء بارداً. فتخرجها ستيلا من حوض الاستحمام وتلفّها بمنشفةٍ وتضعها أمام مدفأة عليها قضبان حمر متوهجة.

وفي وقتٍ لاحق، تجلس ميلي في المطبخ مع كارل وآغاثا، بينما تعد ستيلا المعكرونة لهم جميعاً. يُسمح لماني بالدخول إلى المطبخ، ولكن ليس هناك كراسٍ كافية له، لذا يسنده كارل على الجدار بجانب المايكرويف. تبتسم ميلي لماني وهي تشفط معكرونة السباجيتي بفمها. وعندما ينتهي الجميع من تناول عشائهم، تعد ستيلا فناجين من الشاي للجميع باستثناء ميلي التي تحصل بدلاً منه على وعاءٍ كبيرٍ من المثلجات. يجلس كلٌّ من آغاثا وكارل في غرفة الجلوس وتبقى ميلي في المطبخ مع ستيلا وماني.

قال والد ستيلا لابنته: *كوني طيّبة وحسب*. وكما يمكن لميلي أن ترى بشكلٍ مؤكّد، فإن ستيلا تجيد تطبيق وصية والدها.

Twitter: @ketab_n

تراقب ميلي ستيلا وهي تنفخ على فنجان الشاي، والبخار يتصاعد منه ويتّخذ أشكالاً كما كانت القهوة تفعل في السوق التجارية. ماذا يحدث إنْ كان الجميع يتنفّسون بهذه الطريقة: الحيوانات والبشر والعشب والشجر. فيكون لكل شيء ولكل الناس خطوط من البخار تشكّل أنماطاً من حولهم، وبعض الناس يكون لهم أنفاس قصيرة سريعة من الركض أو الإصابة بالنوبات القلبية، وآخرون لديهم أنفاس طويلة بطيئة من النوم أو مشاهدة التلفزيون. وهكذا، سيبدو الوضع أشبه بمشاهدة الموسيقى، لو كان للموسيقى شكل ملموس. وسيصبح العالم مليئاً بموسيقى الأنفاس.

حين يلفظ الإنسان آخر أنفاسه، فربما يخرج معها كل شيء: ذكرياته، وأفكاره، والأشياء التي يتمنّى لو أنه قالها، والأشياء التي يتمنّى لو أنه لم يقلها، والصور التي يحتفظ بها في رأسه عن بخار القهوة الساخنة، وآخر نظرة ألقاها على والده، والشعور بالطين بين أصابعه، والريح التي تهب عليه عندما يجري وألوان كل شيء من حوله.

تقول ستيلا: *لم أدخل إلى هناك. إن المقبرة تقع في آخر الشارع وأمرّ بها كل ليلة، ولكنني لم أدخل إليها. أعرف أين هو. تمشين على طول الممر عندما تدخلين ثم تنعطفين يميناً وتصلين إلى أول زاوية.*

ترتشف ستيلا الشاي، وتضيف قائلة: *إيرول؛ شقيقي الأصغر.*

تكرّر ميلي قائلة: *إيرول.*

فتجيب ستيلا: *نعم، ذلك أخي. لقد عدت إلى البيت هذه الليلة وجلست على كنبتي وفكرت به. أعرف أنه كان ليعتني بك دون أن يفكر بالأمر، لذا عدت إليكم في حافلتي. وها نحن هنا الآن.*

Twitter: @ketab_n

تتناول ميلي ملعقةً من المثلجات، ثم تسأل: *هل رأيتِه بعد أن مات؟*

تنفخ ستيلا في الشاي وتجيب: *نعم.*

- *كيف بدا شكله؟*

تتوقف قليلاً ثم تقول: *أتعرفين عندما يضع المرء نظارةً طوال الوقت...*

فتومئ ميلي برأسها.

- *... ثم ينزعها ليمسحها.*
- *نعم.*
- *فتبدو عيناه أكبر أو أصغر أو مختلفتين بطريقةٍ ما.*
- *نعم.*
- *هكذا بدا الأمر.*
- *هل كنت واثقةً من أنه هو؟*
- *حسناً، لم أجرِ فحصاً للحمض النووي.*
- *أتعرفين أين هو الآن؟*
- *تقصدين باستثناء وجود رفاته في مقبرة كال؟ هذا يعتمد على طريقة تفكيرك بالأشياء. قد يظن بعضهم أنه هناك في الأعلى.* وتشير ستيلا إلى السقف.
- *مع جيمي هندريكس؟*
- *من؟*
- *جيمي هندريكس؟*
- *عازف الغيتار؟*

تهز ميلي كتفيها وتقول: *أبي كان يعرفه.*

Twitter: @ketab_n

- أظن أنه مدفون في التراب وحسب. لن يعود على شكل خنفساء أو ما شابه، أو يطوف في الأنحاء ليراقب تحركاتي. لقد فارق الحياة وحسب، وانتهى الأمر. تكونين على قيد الحياة ثم تموتين، وهذا هو كل ما في الأمر.
- انتهى الأمر؟

تتفحّص ستيلا ميلي وتقول: انتهى. ما الذي تظنين أنه يحدث.

- لا أعرف.
- هذا هو جوابك.
- هذا ليس جواباً.
- كل ما أعرفه بشكلٍ مؤكد هو أن أحداً لا يدري ما يجري في قاع البحر أو في أدمغتنا أو ما يحدث لنا عندما نموت. وهذا جيد، على ما أعتقد، لأنه يمنحنا شيئاً نفكر فيه عندما نقود الحافلات أو ما شابه.

تنظر ميلي إلى ستيلا ثم إلى ماني، ثم تعاود النظر إلى ستيلا، وتقول بصوتٍ منخفض: أظن أن الأشياء الميتة تتحول إلى بلاستيك، وأحياناً توضع في المتاجر.

فتومئ ستيلا برأسها وتقول: هذا أمر منصف. وتحدّق إلى ميلي كأنها آلة تصوير بأشعة إكس. وتقول أخيراً: أين أمك، يا عزيزتي؟ ما من متطفّلين مزعجين الآن.

- أين أمكِ أنتِ؟
- هذا يبدو لي كتصرفات المتطفّلين المزعجين. وتومئ برأسها مرة أخرى، وتقول: تعيش في آخر الشارع، ولكننا لا نكلّمها ولا تكلّمنا.

Twitter: @ketab_n

- *لِمَ لا؟*

- *إنها إحدى تلك الأشياء على ما أظن.*

تنظر ميلي إليها، فتتنهّد ستيلا وتقول: *لا يوجد بالفعل كلام كثير لأقوله في هذا الموضوع. هناك كثير من الهراء.* تقف وتبدأ بوضع الأطباق في المغسلة، ثم تقول: *لا أحد من عائلتي يتكلم كأننا عاجزون عن الكلام. إنني واثقة من أنه يُفترض بكِ أن تكوني أفضل من ذلك.*

تتنحنح ميلي وتقول: *لقد رحلت أمي.*

تلتفت ستيلا وتسند ظهرها إلى المغسلة وتتقاطر المياه والصابون من يديها على سروالها القصير: *إلى أين، يا عزيزتي؟*

- *إحدى تلك الأشياء، على ما أظن.*

فتبتسم ستيلا.

تخرج ميلي قطعةً من الورق من جيبها وتفتحها بعناية ثم تملّسها على الطاولة وتقول: *إنها خطة رحلة أمي.* وتأمل أن تكون قد لفظت العبارة بشكل صحيح.

تخرج ستيلا نظارتها من جيبها وترفع الورقة إلى الضوء ثم تعيد طيَّها وتعطيها لميلي وتنزع نظارتها وتفرك عينيْها. وفجأة، يصبح صوت أزيز الثلاجة مرتفعاً جداً.

تقف ستيلا عند المغسلة وتنظر من النافذة. تتشبّث يداها بالمغسلة بقوة لدرجة أن براجمها تصبح بيضاً. فتقول دون أن تنظر إلى ميلي: *استمعي إليّ. هل خطر ببالكِ أن أمكِ لا تريد منكِ العثور عليها؟*

فتضع ميلي يدها على بطنها.

Twitter: @ketab_n

تلتفت ستيلا وتشبك ذراعيها، وتقول: *هذان ليسا جديك، أليس كذلك؟*

فتشيح ميلي بوجهها وتقول: *إنهما يساعدانني في العثور على أمي.*

تجلس ستيلا على كرسيها وتقترب من ميلي وتقول: *سآخذك إلى البيت غداً، يا عزيزتي. سترين أنّ الأمر سيكون على ما يرام.*

*

تستيقظ ميلي في منتصف الليل، فتخرج قطعة من الورق من حقيبة ظهرها، وتخرج من غرفة النوم ثم تتوجّه إلى المدخل وتفتح الباب الأمامي وتلصقها على الباب.

إنني هنا، يا أمي.

تشعر أن النوم يجافيها فتتجوّل في أنحاء البيت، وتلتقط التحف، وتمسّ الوجوه على الصور، وتجلس على الأرائك، وتجرب القبعات، وترسم أشكالاً على الغبار المتشكّل على طاولة القهوة، ثم تفتح الباب الخلفي وتخطو على العتبة.

يلوح القمر بدراً في السماء مضيئاً حديقةً خلفيةً صغيرةً مسوّرة، تملؤها كومة من باقات قديمة من الزهور ملفوفة بالبلاستيك والشرائط. يمتد حبل الغسيل فوقها ويصدر صوت صريرٍ وهو يدور في دوائر بطيئةٍ في النسيم. تبدو الكومة أعلى من رأس ميلي بقليل، ويوجد فيها ورق لفٍّ بلاستيكي وأشرطة ملونة بالزهري والأخضر والأحمر وغيرها من الألوان الساطعة، ولكنّ كل الزهور بنية وميتة.

Twitter: @ketab_n

تنزل ميلي الدرج وتمرّر كلتا يديها على الكومة؛ ظهر يديها نحو الأعلى وراحتا يديها نحو الأسفل. يبدو ذلك أشبه بالصورة التي رأتها ميلي عن مقطع الأرض في الكتب. مقطع من الأرض.

تقرّر أن تدوّن في كتاب الأشياء الميتة في وقتٍ لاحق: *الرقم 30: كومة من باقات زهور ستيلا*.

تنأى بمخيّلتها عن الوقت الحاضر وتزور أباها في المستشفى. لم ترَ ميلي قط تلك الكمية من الزهور تُهدى لشخصٍ واحد. استلقت على ظهرها تحت سريره وراقبت كل أقدام الزوار؛ أقدامٍ صغيرةٍ وأقدامٍ كبيرةٍ وأخرى متوسطة، أحذيةٍ رياضيةٍ وكعوبٍ عاليةٍ وصنادل، أحذيةٍ حمرٍ وسودٍ وأخرى خضر.

عندما غادرت كل الأقدام الزائرة، قال والدها وهو يتنفّس بمشقّة كالمسنين وأصحاب الأوزان الثقيلة: *أتساءل أين ميلي؟* ولكنه لم يكن مسنًّا ولا بديناً.

قالت أمها وهي تضع ساقاً على ساق ثم تنزلها مرة أخرى وهي جالسة على الكنبة الكبيرة: *لا أعرف. ربما تسطو على بنكٍ أو تعظ الناس بأهمية السلام العالمي.*

وجدت كلماتهما ضخمةً وصعبةً كأنهما يلمحان أحدهما إلى الآخر.

تدلّت يد والدها من طرف السرير، فزحفت نحو يده. لم ترَها بيضاء إلى هذا الحد من قبل. راحت الآلات تصدر أصواتاً، فدسّت يدها داخل يده وأمسكتها.

*

Twitter: @ketab_n

والآن، تتسلّق فوق كومة الأزهار وساقاها تغوصان في البلاستيك والزهور الميتة كأنها رمال متحرّكة. تفكّر ببحيرات الملح، وكيف يمكن للناس الاختباء من أنفسهم، وكيف أن العالم مكان ليس بوسع ميلي أن تتخيّله على الإطلاق. تفكّر في قول ستيلا إن أحداً لا يعرف ما يجري في قاع البحر، وتتساءل إن كان سكان البحر يعيشون حياةً هادئةً هناك ويشاهدون تلفزيون البحر ويضحكون على النكات البحرية يرويها بعضهم لبعض. ترى هل يطلقون اسم السماء على المحيط واسم المحيط على السماء؟ هل تنتقل موسيقاهم عبر الهواء في فقّاعات؟ تمنّت ميلي لو أن كل الكلمات والموسيقى والأصوات تنتقل في الجو على شكل فقّاعات. سيتوجّب على الناس عندئذٍ أن يفجّروا كل فقّاعة منها على حدة ليخرج الصوت. كم سيصبح العالم هادئاً! لا بدّ أنها ستصاب بالفزع إنْ فجّر أحدهم فقّاعة وخرج الصوت منها دون سابق إنذار. ومع ذلك، فهذا يعني أن الناس سيتعرّضون للدهس من قِبَل السيارات، وسيصبح من الصعب على الأطفال الحصول على انتباه أمهاتهم من الطرف الآخر من الشارع. وماذا إن طارت فقّاعة نداء استغاثة أطلقه أحدهم إلى السماء وفجّرتها طائرة نفّاثة، فلم يستطع أحد أن يسمعها بسبب ضجيج المحركات؟

يدور حبل الغسيل في الأعلى ويصرّ كأنه سرير قديم. تلتقط ميلي باقة الزهور الجديدة في قمة الكومة، وتقرأ على بطاقتها: *إيرول*.

*

Twitter: @ketab_n

تكتب ميلي بأحرفٍ صغيرةٍ على أسفل اللافتة: *عودي بسرعة، يا أمي*. وتخرج من الباحة الأمامية وتمشي في الشارع حاملةً باقة زهور إيرول. وعندما تعثر على المقبرة، تجدها مضاءةً بأضواء الشارع. تبدو مختلفة عن المقبرة الموجودة في ديارها، فهي مسطّحة ولا تنمو أي أعشاب في أرضها بل تمتلئ بالتراب الأحمر بحسب ما استطاعت ميلي أن ترى في الضوء الخافت. تعجُّ المقبرة بدِلاءٍ مطليةٍ كبيرةٍ مليئةٍ بزهورٍ حمرٍ وأرجوانيةٍ وأشجار صمغٍ ضخمةٍ تحف الممر وتشرف على القبور. ترجع ميلي عنقها إلى الوراء لترى قمّتها. لطالما شعرت أنّ رأس والدها عالٍ جداً في السماء. تلامس أغصان إحدى الأشجار وهي تمر بها وتفكّر في نفسها: *ألا تحتاج الأشجار للظلّ أيضاً؟* فهي تجد الشجرة لا تزال ساخنةً من أثر حرارة النهار. ثم تنظر إلى شواهد القبور وترى أن عليها مسحةً من التراب الأحمر تمنحها لوناً زهرياً فاتحاً. تبدو القبور منفصلةً بلافتات تشير إلى الأديان المختلفة. فتظن ميلي أنهم يفعلون هذا لئلا تختلط الأمور على الأرواح في السماء.

تخطر الفكرة ببالها بشكل مفاجئ كأنها تلقّت ركلةً في البطن: *تُرى هل سأذهب إلى المكان نفسه الذي ذهب إليه والدي؟* ثم تفكّر في سرِّها وفزعها يتزايد: *تُرى إلى أين ذهب؟* لم يخطر ببالها أن تطرح هذا السؤال من قبل.

ليست هناك سيارات تمر بها، أو طائرات تئز فوق رأسها، أو طيور تغرِّد من حولها، بل حفيف أوراق الأشجار وهي تلامس بعضها بعضاً كصوت شخصٍ يمسح قدميه على ممسحة الأرجل أمام البيت قبل الدخول. إنه أكثر صوتٍ مثالي؛ صوت بالكاد يمكن سماعه ولكنه كافٍ ليجعلها تعرف أنها لا تزال موجودة.

Twitter: @ketab_n

عندئذ تراه. إنه القبر الأول إلى اليمين على الزاوية.

تركع بجانب القبر بحرص وتضع الزهور عليه. فتترك الحجارة الحمر علاماتٍ على ركبتيها. تلعق ميلي أصابعها وتنفض التراب الأحمر عن الفجوات في شاهدة القبر.

تقرأ ميلي: *إيرول*. يبدو اسمه غائراً في مكانه كأن الشاهدة تمتصّه.

ترى تاريخ البداية وتاريخ النهاية، وهما المعلومتان الأهم في الشاهدة، مكتوبين بأحرفٍ كبيرة. أما الشَرْطة بين التاريخين، فهي صغيرة جداً بحيث بالكاد يمكن رؤيتها. من المؤكد أنه ينبغي أن تكون الشرطة كبيرةً وساطعةً ومدهشةً اعتماداً على الحياة التي عاشها ذلك الميت، أو ربما لا. ولكن من المؤكد أنه ينبغي عليها أن تعبِّر عن نوعية حياته.

تُرى هل عرف إيرول أنّ حياته ستصبح مجرّد شرطةٍ على شاهدة قبر؟ وأن كل شيء فعله، وكل الطعام الذي أكله، وكل الرحلات التي قام بها، وكل القبلات التي منحها، ستنتهي على شكل خطٍّ صغيرٍ مرسومٍ على صخرة؟ في حديقة ملأى بالغرباء؟

تستلقي ميلي على ظهرها وقمة رأسها تلامس قاعدة شاهدة القبر. وتفرد جسدها إلى أقصى امتداد تستطيع الوصول إليه، وتفرد ذراعيها وساقيها، وتمد أصابعها، لكي تصبح أبعد ما يمكن بعضها عن بعض.

ترفع نظرها إلى سماء الليل وتتأمّلها من خلال الفتحات بين الأشجار. ولا يمكنها أن تفكر سوى بكلمة واحدة تقولها بصوت مرتفع.

أبي.

Twitter: @ketab_n

وفجأةً، تصبح على يقينٍ من أنها أصغر مخلوقةٍ على وجه الأرض؛ أصغر حتى من حبات الرمل على ظهرها، أو النمل الذي يدبُّ حول قدميها، لأن العالم كبير جداً ومليء بالأشجار والنجوم والمحتضرين، وتفكر في أنّ الشَّرْطة هي وحدها تجسِّد بالتحديد حقيقتها وماهيّتها.

حقيقة أخرى تعرفها ميلي بالتأكيد

عندما كان والدها في المستشفى لم تقوَ الكلمات: *أبي، هل ستتحول إلى شيء ميت؟* على الخروج من فمها.

Twitter: @ketab_n

9:06: تجلس على كرسيٍّ غريبٍ في غرفةٍ غريبةٍ في بيتٍ غريبٍ، تشرب الشاي من فنجانٍ غريبٍ في توقيتٍ غريبٍ، وتحاول ألا تفكر بالأمر. تصيح آغاثا على الطابع على الآلة الكاتبة: *ما خطب أصابعك؟* يضع كارل فنجان الشاي على الطاولة ويخفي يديه تحت إبطيه. ويقول: *لا شيء*. تسأله: *لماذا تتحركان بهذا الشكل؟* فيجيبها: *إنهما لا تتحركان*. فتقول: *ولكن يبدو أنهما تتحركان لاإراديًا*. فيكرِّر لها قائلاً: *إنهما لا تتحركان*. تقول آغاثا: *إنهما تطبعان. تطبعان؟* فيقول مؤكِّداً على صحة كلامها: *تطبعان*. تسأله: *لماذا تفعلان هذا؟* فيهزّ كتفيه. تقول له: *أنت لا تريد أن تخبرني؟* فيقول لها: *ليس بالفعل*.

9:11: تهمس له بصوتٍ مرتفع: هذا الشاي مريع!

9:13: يسألها: *ما ذلك؟ دفتر مذكراتكِ؟* تجد آغاثا أن كتاب عمرها ظاهر على قمة حقيبة يدها. فتدفعه وتعيده إلى داخل الحقيبة وتغلق السحاب، وتقول: *عَمَّ تسأل؟* فيقول: *عن ذلك الشيء الذي وضعتِه للتوِّ في حقيبة يدكِ*. تجيب قائلةً: *لم أضع أيَّ شيء في حقيبة يدي*. فيقول لها: *بل فعلت*. فتقول: *بل لم أفعل*.

9:16: تقول آغاثا: *زوجتك؟* فيقول: *ماتت*. فتقول له: *وكذلك رون. فقد مات بنوبةٍ قلبيةٍ خارج متجر الحيوانات الأليفة. وماذا عنكَ؟* فيجلس على يديه ويقول: *سرطان*. فتومئ برأسها.

9:17: تسأل: *لماذا كنتَ تزعجني في بيتي؟* وتضيف: *ربما كنت مغرماً بي؟* فيقول كارل: *لست مغرماً بك*. تقول آغاثا: *هذا ما كان ليقوله شخص مغرم بي*. فيقول لها: *إنني بالكاد أعرفك*. تجيب قائلة: *صحيح، أنت لا تعرفني*.

Twitter: @ketab_n

9:18: ولكن ما تود آغاثا قوله بالفعل هو: *لماذا لم تعد تأتي إلى بيتي؟*

9:20: يستغرق الطابع على الآلة الكاتبة في النوم ورأسه مسنود إلى الوراء على الأريكة، وفمه مفتوح على وسعه وهو يشخر.

9:22: تهمس آغاثا: *لن يكبروا في السن لكن بقيّتنا هم من سيكبرون.*

9:23: تسمح آغاثا بانثا لنفسها بالشعور بالوحدة.

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

في وقتٍ ما بين الليل والصباح، يتجه كارل عَبْرَ الممر إلى الحمام، ولكنه يتوقف عندما يسمع صوت ستيلا تتحدث في المطبخ.

يسمعها تقول: *نعم. طفلة تخلّوا عنها، نعم.*

يسند كارل ظهره إلى الجدار المجاور لباب المطبخ. ويمتد الضوء الصادر من المطبخ على طول الممر كأنه مدخل إلى غرفةٍ أخرى، أو ربما إلى عالمٍ أفضل.

تتابع كلامها قائلةً: *لا أعرف كل شيء عنها. لقد غادرت أمها البلدة، ولم يعد والدها معها. وهناك شخصان مسنّان يساعدانها.* وتصمت قليلاً ثم تقول: *نعم، لا أعرف. إن المرأة غبية للغاية، والرجل ليس أفضل حالاً منها، ولكنهما طاعنان في السن على ما أظن.*

يشبك كارل أصابعه بتوتُّر.

تقول ستيلا: *عظيم. نعم، سأحضرهم غداً.* وتتردّد ثم تقول: *إنني آسفة، يا بيرت، لأنني اتصلت بك في هذا الوقت المبكر. فقد عجزت عن النوم بسبب التفكير بالأمر.* تصمت ثانية ثم تقول: *أنت رجل صالح، يا بيرت.*

تنقلب معدة كارل، ويسمع صوت إغلاق السماعة. ينطفئ الضوء ويختفي المدخل المؤدي إلى ذلك العالم الافتراضي. فيمدّد كارل نفسه على الجدار، ويأخذ نفساً، ويغمض عينيه بإحكام وهو يفكر بمنطق الأطفال: *إن لم أستطع رؤيتك، فأنتِ لا تستطيعين رؤيتي.*

Twitter: @ketab_n

عندما يفتح كارل عينيه، يمكنه أن يميّز شكل ظهر ستيلا من بعيد في آخر الممر وهي تدخل إلى غرفتها. يدخل إلى المطبخ ويحدق إلى الهاتف ثم ينظر إلى مفاتيح ستيلا على طاولة المطبخ وهي تبدو باردةً ومعدنيةً كأنها حشرة غريبة.

بعد قليل، يتسلّل إلى غرفة آغاثا، ويهمس لها بأعلى صوتٍ يجرؤ عليه: *آغاثا*. ويحاول أن يهزّها بلطف، ولكن شخيرها لا يتوقف. فيكرّر نداءه بصوتٍ أعلى: *آغاثا*.

تقول وهي تجلس فجأةً وتشد غطاءها نحو ذقنها: *ما الأمر؟ من أنتَ؟ ماذا تريد مني؟* وتتحسّس الطاولة بجانب سريرها بحثاً عن نظارتها.

يقول كارل وهو يعطيها النظارة: *اسكتي، من فضلك، يا آغاثا*.

تضع نظارتها وتحدق إليه وتقول: *يا طابع الآلة الكاتبة! إن الساعة تتجاوز الرابعة صباحاً! وأحب أن أعلمك أن هذا وقت نومي!*

يجلس كارل على طرف السرير ويشعر بالدفء تحت ساقيه، ويقول: *يجب علينا أن نذهب، يا آغاثا. يجب أن نذهب الآن*.

ولكنهما عندما يشعلان الضوء في غرفة ميلي، يكتشفان أنها اختفت.

*

يضع كارل ماني تحت إبطه بينما تأخذ آغاثا حقيبة ميلي، ويغادران منزل ستيلا بهدوء بقدر ما تسمح لهما ألواح الأرضية الخشبية. تبدو ساق ماني المخلوعة بارزةً من حقيبة ميلي والإصبع

Twitter: @ketab_n

البلاستيكي يقفز إلى الأعلى والأسفل من خلف رأس آغاثا. يسند كارل ماني إلى حافلة ستيلا ويضع يده على كتفه ثم يقول له بجدية: *أبقِ عينيْك مفتوحتين، يا ماني.*

تهمس آغاثا بصوتٍ كالفحيح: *إنه رجل بلاستيكي، يا طابع الآلة الكاتبة.* وتضع الحقيبة بجوار ماني.

يتّجه كل من كارل وآغاثا في طريقهما معاً إلى آخر الشارع، وهما يناديان ميلي، ويبحثان تحت السيارات وفي الحدائق الأمامية وفوق الأشجار.

يمران بالمقبرة ويسمعان أصواتاً غريبة. وبعد قليل، يرى كارل في الجانب الآخر من المقبرة ثلاثة رجال يترنّحون وهم يتقدمون في طريقهم نحوهما. يضحك الرجال ويتفوّهون بالشتائم. ويحاول أحدهم أن يتسلق شجرة بينما يقضي أحدهم حاجته في الهواء مباشرة ويرمي الثالث زجاجةً على إحدى شواهد القبور، فتتحطّم وتحدث ضجةً كبيرةً في سكون الليل، وتبدأ الكلاب في البيوت المجاورة بالنباح.

يقول كارل: *آه، كلا.*

فتقول آغاثا: *ماذا؟*

يشير كارل بيده.

فتقول آغاثا: *آه، كلا.*

يلمحان ميلي على بعد مسافةٍ قصيرةٍ من الرجال الثملين، جالسةً على الأرض وظهرها مسنود إلى إحدى شواهد القبور.

يمد كارل نفسه من خلال القضبان الحديدية لبوابة المقبرة ويقول: *إنهم يتّجهون نحوها مباشرةً.*

Twitter: @ketab_n

تقول آغاثا بسرعة: *لا أستطيع الدخول إلى هناك. لا أستطيع...* وتتوقف ثم تقول: *كل أولئك الأموات...* وتضيف بهدوء: *لا يمكنك أن تجبرني على ذلك.*

يلاحظ الرجال الثملون ميلي، فيقولون: *مرحباً. ما الذي تفعلينه هنا في الظلام؟ أنت مجرد طفلة، أليس كذلك؟* تقف ميلي. ويشعر كارل بقلبه ينقبض، ويسمع صوت تحطم زجاجة أخرى. تحاول ميلي أن تبتعد عنهم، ولكنهم يطوّقونها، ويقول أحدهم: *أتظنين نفسك المستكشفة دورا أو غيرها؟*

تضع آغاثا يدها في يد كارل، فتحدث به لمستها مفعولاً غريباً، وترسل تياراً كهربائياً في ذراعه، فيشتغل دماغه كأنه ظل حتى تلك اللحظة في حالة سباتٍ طويلة. يفكر أنه الجميل النائم، أو أيًّا تكن النسخة الرجالية من القصة. لا بدّ من وجود قصة ما، ولكنه يعجز عن التفكير بشكلٍ سليمٍ لأنه مشغول بالتفكير بيدها. يشعر بيده الخشنة والدبقة من العرق ناعمة في يدها.

– *ما الذي تفعلينه وحدك هنا، يا دورا؟*

تضغط آغاثا على يد كارل، فينظر كارل إليها بطرف عينه. ذلك التيار الكهربائي! يلتفت إليها ويقول هامساً: *سوف نأخذ الحافلة.*

تهمس له آغاثا: *ما الذي تقصده بقولك إننا سنأخذها؟*

فيقول وهو يعطيها مفاتيح ستيلا: *أعني أننا سنشغّل الحافلة، أي سنسرقها.* ويظن أنه يلمح ابتسامة آغاثا أو أن شفتيها تتحركان بشكل لاإرادي، ولكنه ليس واثقاً من هذا.

تقول: *ولكنني...* فيبدأ كارل بالركض قبل أن تكمل جملتها رغم أن ركضه ليس أكثر من هرولة رجل مسن. يلوّح الرجال

Twitter: @ketab_n

الثملون بعلب شرابهم في الهواء نحو ميلي، ويقول أحدهم: *أتريدين بعض شراب الغابات السحري، يا دورا؟* فتبدو ميلي متصلّبة في مكانها. ولا يعرف كارل ماذا سيفعل عندما يصل إلى هناك، ويفكر في نفسه: *إيفي إيفي إيفي*. فقد كانت إيفي تعرف ما تفعل، ولكن يجب عليه أن يصل إلى هناك أولاً لأن ميلي مجرّد طفلة. يقول وهو يقترب منهم: *أنتم!* ولكن لا يبدو عليهم أنهم يسمعونه، لذا يصيح عليهم بصوت أعلى. فيلتفتون إليه جميعاً وتركض ميلي نحوه وتحيط ساقيه بذراعيها، فيضع يده على رأسها ثم يقف أمامها ليحميها من الرجال. ويقول لهم هذه المرة بصوت أخف: *أنتم!* ويثبّت نفسه على قدميه.

يبدو الرجال الثلاثة كأنهم شخص واحد ببناطيلهم المصنوعة من الجينز الأزرق، وجزمات العمل، وشعورهم المشعّثة والمنتصبة إلى الأعلى في زوايا غريبة لا يمكن أن تكون متعمّدة وكأنهم رشّوا مثبّت الشعر عليها في تيار هوائي. تتأمّل عيونهم كارل بغموض كأنه خفيٌّ وهم ينظرون إلى الاتجاه العام لصوته. يعتمر أحدهم قبعةً زرقاء كقبعات سائقي الشاحنات، والثاني بلوزة قطنية والثالث قميصاً بأكمام طويلة. يقول صاحب القبعة الزرقاء: *إنه جد دورا!* ويدفع كارل. يقول كارل: *لا أريد أي مشاكل*. فيقول صاحب البلوزة القطنية: *ألم تسمع، أيها العجوز الأحمق؟ هذه هي حضانة الأطفال المخصّصة لمقبرة كال*. يبدأ كارل بالتراجع إلى الوراء رافعاً يديه في الهواء كما يرى الناس يفعلون في الأفلام، ولكن صاحب القبعة يقول: *سوف نعطي دورا حليبها ثم نضعها في السرير*. ويدفع كارل مرةً أخرى. فيتعثّر كارل، ويقول: *افعلوا ما تريدونه بي ولكن لا تؤذوا*

Twitter: @ketab_n

الطفلة الصغيرة، فهي مجرّد طفلة. دعوها وشأنها. تبدو عيون الرجال حمراً وهم يترنّحون وتفوح منهم رائحة الكحول ولا يأبهون لأي شيء. يستطيع كارل أن يلاحظ ذلك بكل وضوح، فهم لا يأبهون بأنفسهم أو حياتهم، وهذا يجعلهم خطرين. يقول كارل: *اذهبي، يا ميلي، اذهبي.* ولكنها لا تذهب بل تضع يدها في يده وتدفن وجهها في ساقه. فيغمض عينيْه ويفكر في سرّه: *حسناً، هكذا إذاً.*

يسمعون صوتاً يصيح: *رجال مُملون!* وتظهر آغاثا من خلف الرجال وهي تلوح بساق ماني في الأنحاء كأنها سلاح. تضرب صاحب القميص القطني على مؤخّرة رأسه، فيسقط على الأرض ويرتطم بإحدى شواهد القبور وهو في طريقه إلى الأرض، ويغيب عن الوعي تماماً. فتلوّح بالساق باهتياج نحو الرجلين الآخرين.

فيقول صاحب القبعة: *ماذا؟*

ويقول صاحب الكنزة القطنية متلعثماً: *كفى، يا سيدة. فنحن فقط...* يكاد المرء يظنه مخلوقاً هلامياً عندما يراه يرتمي على أحد جذوع الأشجار ويعانقه بخوف، ثم يتابع قائلاً: *نستمتع بوقتنا قليلاً.*

فتقول آغاثا: *نعم؟ نعم؟ لا يبدو هذا ممتعاً بالنسبة لي!* وتلوّح بالساق نحو صاحب القبعة ولكنها تخطئه.

يضع صاحب القبعة الزرقاء يديه خلف رأسه ويدير وركيه في شكل دائرة. ويقول لها: *أتريدين بعضاً من هذا. يجب عليك أن تطلبي إذاً.*

فتتقدم آغاثا نحوه وتركله بكل قوتها على عظمتي ساقيه. فيقول لها: يا *سيدة!* ويتشبّث بساقيه متألّماً ويقفز بضع خطوات ثم يسقط على التراب.

Twitter: @ketab_n

تلوّح بساق ماني نحو صاحب الكنزة القطنية وتخطئه، وهي تقول: *بنطال ضيّق جداً! ولا أسنان كافية!* ثم تلوّح مرة أخرى وتكاد تصيبه في مرفقه، وتقول: *مستقبل مظلم!*

يقول صاحب القبعة: *أنتِ مجنونة، يا سيدة!* فتقف آغاثا فوق رأسه وتركله مرة أخرى، وهذه المرة على مؤخرته. فيقول لها وهو يمد يده نحو كاحلها: *كفي عن هذا*. ولكنه يخطئها ويسقط على وجهه على الأرض.

تقف آغاثا على كلتا يديه وتقول بينما هو يحاول أن يتملّص منها: *إنني لست مجنونة*. يرفع رأسه ويحاول أن يبصق في وجهها، فتركل بعض التراب بقدمها على وجهه.

يتكلم صاحب القبعة متلعثماً بكلام غير مفهوم، ويزحف مبتعداً عن آغاثا ثم يحاول أن يقف، ويقول: *هذا هراء!*

يتفق معه صاحب الكنزة قائلاً: *صحيح، هذا هراء.*

فتقول آغاثا: *سأكتب لأمهاتكم!*

يقول صاحب القبعة: *ما الذي قلتِه عن أمي؟ استمعي، يا سيدتي. سوف نذهب الآن، ولكننا سنعود وسوف نحسم هذه المسألة*. ويشير بإصبع مرتجف نحو آغاثا ثم يتقيّأ على قميصه، ويقول: *تُبا، تُبا!*

يقول صاحب الكنزة: *لا تقلق، يا صديقي.*

- *ولكن هذا ليس قميصي، يا رجل.*
- *لا تقلق. سآتي إليك.*

يتشبّثان أحدهما بالآخر كالعشاق ويمشيان متعثّرين نحو المخرج ثم يجتازان المقبرة من جانب إلى جانب كأنها تلة تزلّج وينشدان جملاً

Twitter: @ketab_n

متقطعة من أغنية أحد فرق كرة القدم وهما في طريقهما للخـــروج. *هيا هيا بنا لنفوز بعلم البطولة...*

تحيط ميلي خصر آغاثا بذراعيها. فتربت آغاثا بارتبـــاك علـــى رأسها. ويود كارل بدوره أن يعانق آغاثا وأن يضع ذقنه على رأسها ويقول: *شكرًا لكِ*. ويتمنى أن يضع رأسه على رأس ميلي ويقـــول: *أنتِ بخير*، ولكنه لا يفعل هذا. تُرى ما الذي كان برانسون ســـيايك ليفعله؟ يقول بدلاً من ذلك: *هيا، اصعدا إلى الحافلة أنتما الاثنتـــان. ستكونان بأمان هناك*. يشعر فجأة أنه قوي وأنه متحمل للمسؤولية، ثم يقول: *سأمحو آثارنا*، ويومئ برأسه باتجاه الرجل ذي القميص.

فتنظر إليه آغاثا بريبةٍ وتقول: *حسنًا، ولكن لا تتباطأ كثيرًا. لقد سمعت ما قالاه. إنهما في طريقهما للعودة إلى هنا*.

يقول كارل: *دقيقة واحدة*.

بينما تتوجه كل من ميلي وآغاثا في طريقهما خـــارجتين مـــن المقبرة، يخرج كارل قلم التخطيط الذي سرقه من بيـــت الرعايـــة، ويركع بحذرٍ بجانب شاهدة القبرة، ويرفع كمّ قميص الرجل ويكتب على ذراعه: *كارل الطابع على الآلة الكاتبة*، ثم يتراجع إلى الخلـــف متأمّلاً جمال خطّه ويبتسم ابتسامةً عريضة. يجعل العرق المتجمّع على ذراع الرجل الحبر يسيل. فتبدو الكلمات عنواناً لفيلمٍ مـــن أفـــلام الرعب.

يلقي كارل نظرةً خاطفةً إلى الطريق بينما يبدأ ضـــوء الفجـــر ينبلج. ويفكر بأن عليهم التحرك بأقصى سرعةٍ ممكنة. فيمد يده إلى جيوب الرجل ويخرج منها محفظته ويفتحها وهو يشعر بإثارة كبيرة، كأن هذا هو كارل الذي تمنّى أن يصبح عليه طوال حياته.

Twitter: @ketab_n

ويفكّر في نفسه قائلاً: *أنا كارل الطابع على الآلة الكاتبة في الزمن الحاضر.*

*

تبزغ الشمس، ويشعر كارل أنه مخلوق لا يُقهر. فقد اتّخذ قراراتٍ وحمى نساءً، مع بعض المساعدة منهن. وشوّه بعض الممتلكات العامة وسرق مالاً وقاوم الاعتقال. يشعر أنه عاجز عن التوقف عن الابتسام وهو يطري على ماني في المقعد الأمامي من الحافلة. وتجلس ميلي إلى جانب ماني وهي تمسك بساقه المقطوعة.

يقول كارل وهو يربّت رأسه: *لقد قمتَ بعملٍ جيدٍ في حراسة الحافلة، يا ماني.*

فتقول ميلي وهي تقترب من ماني وتميل برأسها عليها: *نعم، عمل جيد، يا ماني.*

تقول آغاثا: *نعم، نعم، نعم.* وتجلس في مقعد السائق وهي تعبث بمحتويات حقيبتها. وتضيف قائلةً: *لقد قام الرجل البلاستيكي بعملٍ بارع.*

تسأل ميلي: *هل سنسرق هذه الحافلة؟*

فيجيب كارل: *سنوصلك إلى أمك، يا ميلي.*

- *هل سنركب القطار؟*
- *نعم، يا ميلي.*
- *ليس لديّ أيّ مال.*

يتحسّس كارل رزمة المال التي تملأ جيبه، ويقول: *اتركي هذه المسألة لي.*

Twitter: @ketab_n

تنظر ميلي من النافذة إلى بيت ستيلا، وتقول: *إذًا، سنسرق هذه الحافلة؟*

- *سنستعيرها.*
- *كما استعرتَ مفاتيح الكمبيوتر تلك؟*
- *نعم، بالضبط.*
- *إذًا، فسوف نسرقها.*
- *نعم.*
- *ولكنها حافلة ستيلا.*
- *نعم، إنها ليست لنا.*
- *لقد مات شقيق ستيلا.*
- *لم أكن أعرف هذا.*
- *لا أظن أنه ينبغي علينا أن نسرق الحافلة.*

يقول كارل: *أحيانًا يعرف الكبار أفضل من الصغار.*

فتقول ميلي: *أحيانًا لا يعرف الكبار أي شيء.*

ولكن قبل أن يكملا نقاشهما حول من يقوم بالأمور بشكلٍ أفضل، يظهر صاحب القبعة الزرقاء في الضوء الكشّاف. يدقّ على غطاء المحرك ويقول: *مرحبًا!*

يقول كارل بهدوء: *أغلقي الباب، يا آغاثا.*

- *لستُ...*

فيقول صاحب القبعة: *هيّا، قلت لكم إننا سنعود.*

يقف كارل ويرى صاحب الكنزة القطنية على أحد جانبي الحافلة، ورجلاً آخر لا يميّزه على الجانب الآخر. يمسك صاحب الكنزة بمضرب لعبة الكريكت بيده ويبتسم ابتسامةً عريضةً لكارل

Twitter: @ketab_n

من خلال الزجاج. يضرب الرجال جوانب الحافلة بأكفّهم، فيقول كارل هذه المرة بصوتٍ أعلى: *أغلقي الباب، يا آغاثا.*

- *كيف تفعل...*

يقف صاحب القبعة عند أسفل درج الحافلة وفي مدخلها ملوّحاً بزجاجةٍ مكسورةٍ وعيناه تقدحان شرراً. يصيح كارل: *أغلقي الباب، يا آغاثا!* وفي اللحظة نفسها التي يضع فيها صاحب القبعة قدمه على الدرجة السفلية، تعثر آغاثا على الزر المناسب وتضغط عليه. فيصبح نصف جسد الرجل صاحب القبعة داخل الحافلة ونصفه الآخر خارجها. يحاول أن يقحم إحدى ذراعيه من خلال الفتحة بينهما، ويستخدم كتفه ليدفع الباب الذي ينغلق عليه. يلوّح بالزجاجة المكسورة حتى يكاد أن يجرح يد كارل، بينما يحاول كارل أن يدفعه ليخرجه من الحافلة، ويقول لميلي: *تراجعي إلى الخلف، يا ميلي.* تبحث ميلي عن أشياء لترميها على الرجل؛ كعلبة إسعافات أولية ونظارة وكنزة قطنية ولب تفاحة. فيبعدها الرجل عنه بزجاجته كأنه مبارز بالسيف. يحاول كارل أن يركله دون أن يقترب منه فوق اللازم، ولكنه يسمع صوت نافذة تنكسر في مؤخّرة الحافلة. فيقول: *انطلقي بالسيارة، يا آغاثا. هيا انطلقي بسرعة!*

- *لم أُقدْ سيارةً منذ سبع سنوات.*

- *تدبّري أمركِ!*

- *حسناً... لا أستطيع... هل أفعل... أهذه...*

تقول ميلي: *تستطيعين فعلها، يا آغاثا.*

تصدر الحافلة أصواتاً ثم يشتغل المحرك. فتقول آغاثا: *لقد فعلتها. ماذا أفعل الآن؟*

Twitter: @ketab_n

- *انطلقي!*
- *آه، نعم!*

تبدأ الحافلة بالتحرّك ببطء وتخبُّطٍ بينما يثب صاحب القبعة الزرقاء إلى جانبها، وإحدى قدميه خارج الحافلة وإحدى يديه تتشبّث بحافة الباب. يرفع كارل ماني عالياً فوق رأسه ويقول: *هذا لن يؤلم البتة، يا ماني.* ولكنه يدرك أنه يكذب عليه. ويقترب ليرمي ماني على الرجل، ويسقط الزجاجة المكسورة من يد الرجل، ويزيح قدمه من مكانها، ويسحق أصابعه. نعم، سينقذهم ماني مرة أخرى، وهو متأكّد من هذا. يقول كارل: *قُلْ وداعاً، يا صاحب القبعة الزرقاء.* وبينما هو يفعل ذلك يشعر أن حركة الزمن تتباطأ، ويتحوّل الخبط على جانب الحافلة إلى قرع طبول بعيدٍ قادمٍ من جزيرةٍ نائية. يدرك كارل أن هذا الرجل مجرد شابٍّ ثملٍ وغاضبٍ وليس رجلاً على الإطلاق. ويرى حب الشباب يملأ وجهه كأنه براكين تنتظر الانفجار، وتمتلئ عيناه بنوعٍ من الغضب لا يعرف أي وسيلة أخرى للتعبير. إنه غاضب لسببٍ ما، وهذا السبب ليس هو. يشعر كارل أنه يتفهم مكابدة الفتى ليثبت أنه رجل ويتمنّى أن يقول له: *لا بأس، فأنا إلى جانبك.* وتمر لحظة يفكّر فيها أنه قد يستطيع أن يتفاوض مع هذا الرجل الثمل، أو بالأحرى هذا الولد الثمل، لذا يُنزِل ماني، ولكن في تلك اللحظة يتقدم الفتى الثمل ويحدث جرحاً في راحة يده.

تقول ميلي من مكانٍ ما خلفه: *كارل!*

وتقول آغاثا: *ماذا؟* فتكاد الحافلة أن تصدم المجاري.

يقول كارل: *لا بأس.* ورغم ذلك، فهو ليس متأكّداً بعد إن كان وضعه على ما يُرام بالفعل أم لا، فهو يشعر بركبتيه تتخاذلان

Twitter: @ketab_n

تحته من مجرد فكرة تدفّق الدم من يده، لذا يتجنّب النظر إلى الجرح. لن يحاول أن يفهم الشاب الثمل بعد الآن. ويفكر في نفسه: *أتدري، أيها الشاب الثمل؟ أنا أيضاً لديّ أشياء كثيرة تُشعل غضبي.* ويستجمع كل غضبه في ذراعيه إلى أن يشعر أنه سوبرمان الخارق، أو هالك المدهش، أو ذلك الشاب الفتي الذي قابله في الصباح. ويرفع ماني بظَفَرٍ فوق رأسه ويلقي به بكل قوته باتجاه الباب.

لكن الحافلة تصعد على مطب في اللحظة نفسها، فيفقد كارل توازنه ويرمي بماني في الهواء ويسقط إلى الخلف ويسقط ماني أمامه. لا تزال الحافلة تتقدم ببطء، ولكن يتوجّب على صاحب القبعة الزرقاء أن يقفز بسرعة ليتماشى معها. تدفع ميلي قدم الرجل بقدمها وتعض قصبة ساقه، فيطلق الرجل الشتائم ويحاول تسديد ضربة إليها. فيقول كارل: *ابتعدي عنه، يا ميلي.* تصعد آغاثا على المجاري وتصيح عندما تكاد أن تصدم شجرة على السياج الطبيعي، ولكنها تعود إلى المسار الصحيح مرةً أخرى. يختل توازن الرجل ويسقط على الأرض، فيسرع كارل وميلي إلى النافذة الجانبية ليشاهداه وهو يتدحرج على الطريق خلفهم.

يسأل كارل: *هل الجميع بخير. ميلي؟*

فتقول ميلي وهي تصعد على الكرسي خلف آغاثا: *أظن ذلك.*

يلتقط كارل ماني عن الأرض ويتفقّده بحثاً عن إصابات، ثم يقول: *آغاثا؟*

فتقول آغاثا: *إنني بخير. بخير تماماً! إنني أعاني فقط من اضطراب ما بعد الصدمة، ولكن عدا عن ذلك، فأنا بخير! هل اختفى؟* تشق الحافلة طريقها على طول الشارع وتمر ببيوتٍ قرميديةٍ صغيرةٍ

Twitter: @ketab_n

وكبيرةٍ. فيرون أطفالاً يرتدون زيًّا مدرسيًّا موحداً، ورجلاً يرتـــدي رداءً منزلياً يأخذ جريدته، وسيدةً ذاهبةً في نزهةٍ مع كلبها.

يقول كارل: *لقد اختفى أخيراً*. ويجلس في الكرسي مقابل ميلي وماني في حضنه.

تقول آغاثا: *جيد لأن الساعة تشير إلى السادسة وست دقائق.*

فيقول كارل: *وماذا في ذلك؟* يتفحّص جرحه ويشعر بـــبعض الدوار يعتريه.

تلتفت آغاثا لتواجه ميلي وتقول: *أنتِ! يـــا قبطـــان الجنـــائز! استلمي المقود!*

- *إنني في السابعة.*
- *بالضبط! عندما كنت في السابعة من عمري، تعـــوّدت أن أقود عربة قاطرةٍ ومقطورةٍ عبر البلاد!*
- *لم تفعلي!*
- *خذي المقود فحسب!* وتنهض آغاثا عن المقعد.

يسأل كارل: *ما الذي تفعلينه، يا آغاثا؟* ويقفز من مكانـــه ثم يتمكّن بصعوبةٍ من الإمساك بالمقود قبل أن تنحرف الحافلـــة عـــن الطريق.

تلقي آغاثا بجسدها إلى جانب ميلي، وتفتح حقيبة يدها، ثم تضـــع دفتر تمارين ومرآةً صغيرةً على حضنها وترفع مسطرةً نحو وجهها.

يراقبها كارل في المرآة ويقول: *ما الذي تفعلينه...*

فتقول آغاثا: *استمع إليّ، يا صاحب الأصابع المسنّة العجيبـــة! إنني مشغولة، ولن أتلقّى أي مكالماتٍ في الوقت الحاضر.* وتدوِّن شيئاً في دفتر تمارينها.

Twitter: @ketab_n

بعد أن يخطئوا الطريق عند بعض المنعطفات والمنحنيات والشوارع غير المألوفة، ويخوضوا بعض الجدالات، يصلون إلى محطة قطارات كالغورلي. وبينما هم متوجّهون نحو الرصيف، يشعرون أن الهواء دَبِقٌ بشكلٍ يجعل التنفّس صعباً. يجدون القطار هناك يمتلئ بالناس والأمتعة تدريجاً. يلتقط السياح صوراً بعضهم بعض أمام شعار المحيط الهندي على جانب القطار. ويتفقّد رجال ونساء يرتدون ملابس موحّدة تذاكر المسافرين ثم يوجّهونهم إلى مقاعدهم في أجزاء مختلفة من القطار. ويعانق أفراد العائلات بعضهم بعضاً مودعين، ويبكون ويضحكون معاً.

يشتري كارل تذاكر لهم، ويوجههم الموظف إلى مقصورةٍ صغيرةٍ فيها كرسي يمكن تحويله إلى سريراً، ومغسلة في الزاوية، ونافذة كبيرة عليها ستارة مسدلة.

تسأل آغاثا: *أهذه هي؟* وتبدأ بفتح السرير.

هناك من يثير جلبةً على رصيف القطار المجاور لنافذتهم. يسمعون صوت رجلٍ يقول: *لا أستطيع أن أدعك تركبين بدون تذكرة، يا آنسة. إن القطار على وشك المغادرة.*

ثم يسمعون صوت امرأة: *حبًا بالله! يا ديريك. لقد ارتدت المدرسة معك. وخرجت مع أخيك في الصف السابع لبعض الوقت. واعتدت أن آتي إلى بيتكم لتناول اللحم المشوي في أيام الآحاد.*

فيقول الرجل: *نحن نتبع جدولاً صارماً هنا، يا ستيلا. لا أستطيع أن أساعدك، وأنت تعرفين هذا جيداً. هناك توقيت للقطار.*

تفتح ميلي الستارة بسرعة، وتقول: ستيلا؟ وتدقّ ميلي على النافذة وتحاول فتحها، وتنادي قائلة: *ستيلا!*

Twitter: @ketab_n

فيقول كارل: يا *إلهي!* ويتراجع إلى الخلف ليختبئ.

يقول الرجل ذو اللباس الموحّد: *ليصعدِ الجميع*. ويقفز إلى القطار.

فتلوّح ستيلا بيدها للرجل وتركض نحو نافذة ميلي. وتقول: *يمكنني رؤيتك، يا كارل*.

يبدأ القطار بالتحرك في اللحظة التي يقف فيها كارل، فيترنّح على قدميه.

تقول ستيلا وهي تمشي بجانب القطار: *أين المفاتيح؟*

فيقول كارل بخبث: *في الحافلة؟*

تقول ستيلا: *من الأفضل أن تعثر على أمها*.

فينظر إلى ميلي ويقول: *سنحاول*.

تقول ستيلا: *أنت بخير، يا عزيزتي؟*

فتومئ ميلي برأسها وتقول: *نعم*.

- *أتعدينني؟*

- *نعم*.

- *حسناً*. وتقف ستيلا وتضع يديها في جيبيها.

ينطلق القطار بسرعة بينما تتأمّل ميلي ستيلا وهي تصبح أصغر فأصغر، ثم تنظر إلى حاملة علبة العصير في يدها وتقول: *ولكنني أريدك أن تأتي معنا*. تستطيع أن تشعر بالدموع تتجمع في عينيْها ولا تقوى على كبحها لأن ستيلا كانت لطيفة معها ولأن أباها توفي وربما توفيت أمها هي الأخرى. تظل ميلي تتأمّل ستيلا إلى أن تختفي، فتشعر بألم يعتصر قلبها. يتملّكها شعور بأن كل الكبار الذين تتعرف إليهم في حياتها يسلبونها أجزاء من قلبها ولا يعيدونها إليها مرة أخرى.

*

Twitter: @ketab_n

3

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

عندما يبدأ القطار بالتحرك، يترك كارل الفتاتين ومايي يرتبون أمورهم في المقصورة بينما يتوجه إلى حمّام الرجال، فينظّف جرحه ويجفّف يده ويلفّ بعض ورق الحمّام على الجرح. يلمح نفسه في المرآة. لطالما استغرب النظر لانعكاس صورته، ولكن التكرار لم يزدِ الأمر إلا غرابةً مع تقدّمه بالسن. إنه يعرف شكل وجهه، وهذا ليس ما يشغل باله. ومع ذلك، فكيف يمكن للمرء أن يعيش بوجهه لسبعة وثمانين عاماً ثم يتفاجأ بالنظر إليه كل مرة؟ وفجأة، خطر ببالـه أن الجميع يعرفون وجهه أكثر مما يعرفه هو، فهو لا يحفظ تعابيره. يجرب تعبير الغضب والحزن والسعادة والقلق والتأمّل والفقدان والتمنّي، ولكنه يستطيع فقط أن يرى تعبير الوجه المتعَب بل شديد الإرهاق.

يقول: *لن أحظى بعلاقةٍ عاطفيةٍ مجدّداً أبداً، ليس بهذا الوجه.* ويغمض عينيه ويمدُّ شفتيه ويقترب من المرآة ثم يفتح عيناً واحدة ويلمح شيئاً يشبه الموت يحاول أن يمنحه قبلة. فيتراجع إلى الخلف بخوف.

يقول: *صحيح، هذا هو السبب.* ومع ذلك، فقد وقعت إيفي في حبه وعشقت وجهه. يمرِّر يده السليمة داخل شعره. ويستطيع بالكاد أن يشعر بخصلات شعره الميتة.

لقد شعر بغيرة شديدة من ذلك الفتى بالأمس؛ ذلك الفتى المفتول العضلات كعضلات الممثل تشارلتون هيستون في فيلم بين هير. أراد أن يملك كل ما يملكه: الجسد والفتاة والسيارة والحرية وطريقة التفكير. ذلك الشعر اللعين! إنه مستعد لمنح كل ما يملك ليحصل على شعر يتطاير بحريةٍ مثله في الريح. ولكن ألا ينبغي أن

Twitter: @ketab_n

يشعر الفتى بالغيرة من كارل؟ وأن يتساءل عما رآه كارل وفعلـــه في حياته؟ ألا ينبغي أن ينظر إلى كارل ويقول: *أتمنى لو أنني أستطيع أن أحيا حياةً حافلةً كتلك التي عشتها أنت؟*

*

عندما يعود كارل إلى المقصورة، يجد أن ميلي كتبت لافتةً جديدةً لأمها تقول *أنا هنا يا أمي*، ويرى آغاثا مستلقيةً، فاردة ذراعيْها وساقيْها على السرير، وعيناها مغمّضتان، وفمها مفتوح على وسعه.

تضع ميلي إصبعها على شفتيها وتقول: *صَهْ*. فيـــومئ كـــارل برأسه. تشير إليه ميلي ليقترب منها فيرى أنها تضع حقيبة ظهرهـــا. تهمس له قائلة: *هل يمكنني الذهاب والاستكشاف؟*

فيهمس لها كارل بدوره: *بالطبع، ولكن لا تتحدثي إلى رجـــال غرباء.*

– *ولكنك أنت رجل غريب.*

فيفكر كارل بالأمر ويقول: *أقصد رجالاً غيري.*

تغلق ميلي الباب خلفها ويضع كارل وسادةً تحت رأس آغاثا. يجلس بجانبها وظهره مسنود إلى الجدار ويداه مشبوكتان على حضنه. يتأمل المنظر الذي تطل عليه النافذة ويرى ألواناً متنوّعة؛ أحمر وأخضر وأزرق. الأرض والشُجَيْرات والسماء تتكرّر مـــرة تلـــو أخـــرى. الشُجَيْرات المنخفضة والأشجار الصغيرة الـــتي تبـــدو كشـــخوص محدبـــي الظهور يتحسسون الأرض. وبين الحين والآخـــر، تظهـــر شجرة كبيرة نابتة من التراب الأحمر مادّة فروعها إلى السماء كأنهـــا تعانق الشمس.

Twitter: @ketab_n

يتكئ ماني على حوض الغسل في زاوية الغرفة. فيهمس له كارل وهو يومئ برأسه باتجاه آغاثا: *إنها نائمة. فقد أمضت ليلةً طويلةً وشاقّة.*

تشخر آغاثا ثم تتحرّك وتنقلب على جنبها، فيستطيع أن يشعر بدفئها إلى جانبه. ويتذكر إيفي مستلقيةً هكذا بجانبه في السرير، فيغلق الستائر.

شيء آخر يعرفه كارل عن إيفي (الجزء الثاني)

كانت تشبه زهرةً بريةً يكاد يظن أن نَفَساً واحداً منه قد يجعلها تطير في السماء ولا تعود مرةً أخرى. ولم تكن هادئة في طريقة كلامها فقط، ولكن بطريقة تصرّفها كأنها دائماً في حضرة أناس نائمين، وهي تمشي على رؤوس أصابعها إلى كل مكان وبالكاد تترك آثار أقدام على الشاطئ، وهما يتمشيان معاً في الساعات المبكرة من صباح معظم الأيام.

يفكّر في نفسه قائلاً: *تُرى هل كانت مفرطة الهدوء؟ ربما.* فكل البشر يعانون من الإفراط في إحدى صفاتهم.

ومع ذلك، فلطالما وجدها أكثر الأشخاص الذين عرفهم في حياته ثباتاً ورسوخاً. كل كلمةٍ تقولها تشعره أنها محسوبة كأنها تصب كلماتها في فناجين معدّة لقياس الكميات وتملّس سطحها قبل أن تقدّمها للعالم. وكانت تفسح مجالاً كبيراً في قلبها له وللآخرين على حد سواء، وتعوّدت أن تخفض أسلحتها استسلاماً وهشاشةً بطريقةٍ لا يفعلها معظم الناس.

أما كارل، فقد شعر بنفسه كثير الضوضاء بالمقارنة بها، كأنه يسحق كل شيء تحت قدميه بعنف، ويعطس كأنه يريد أن يُحدث

Twitter: @ketab_n

شقًّا في الهواء. لم تعجبه فكرة أن يضطر جسده لأن يحدث كل هذا التأثير القوي على الأشياء، ولكن إن لمسها ولمسته هي بدورها، جعلته يشعر أنه لطيف ورقيق. وتلك الخطوط المحيطة بعينيها؛ تلك التي ازدادت عمقاً وتنوّعاً بفعل الزمن، كانت تنطوي على مغزى خفيٍّ يمنحه كل المفاتيح اللازمة ليفهم نفسه.

*

يهمس بينما تتساقط الدموع على وجهه: *إنني هنا، يا إيفي*. وعندما يفتح عينيْه، يرى آغاثا جالسةً ووجهها قريب من وجهه، فيقفز من مكانه.

تقول: *رون؟ ما الأمر، يا رون؟* إنها تضع نظارتها والمكان مظلم. فلا يمكنهما رؤية أحدهما الآخر.

يقول كارل: *آغاثا... لستُ...*

فتضع يدها على فمه. وتقول: *رون*. ثم تضع يديْها على وجنتيْه وتستخدم إبهاميْها لتمسح دموعه، وتقول: *إنني آسفة*.

لا يعرف كارل ما يفعل، فيقول: *لا بأس*.

تسأله: هل تبكي بسببي؟

فيجيبها: *كلا*. تقترب منه حتى يكاد أنفه يلامس أنفها.

تقول: *إنني آسفة، يا رون*. وتقترب منه لتعانقه.

يتمنّى كارل لو أنها إيفي أكثر من أي شعور آخر تملّكه في حياته. يأخذ نفساً عميقاً ويغمض عينيْه وينتظر لحظة اقترابها منه، ولكن قبل أن يحدث أي شيء يسقط رأس آغاثا على صدره، وتستأنف الشخير من جديد.

Twitter: @ketab_n

يتنهّد ويساعدها على العودة إلى وضعية نومها السابقة. تستلقي آغاثا هناك وحذاؤها لا يزال مربوطاً حول كاحليها، بينما يرتمي رأسها بثقل على الوسادة، وفمها مفتوح على وسعه، وتشخر من أنفها شخيراً صاخباً يتردّد صداه على الجدران. هناك موسيقى في شخيرها بكل تأكيد في ارتفاعه وانخفاضه، ودليل على الكيفية التي تعمل بها الحياة بارتفاعها وانخفاضها. يريد أن يرسم خطاً بيانياً لذلك الصوت ويتخيّل جبالاً على صفحةٍ بيضاء عريضةٍ وأخرى متعرجةٍ وخطوطاً مموّجة.

يفتح الستائر قليلاً ويحدق إلى آغاثا المستلقية بجانبه ثم يخطر بباله أنه لم يعد من عادته التحديق إلى الناس بعد الآن. يتذكر أنه تعوّد التحديق في طفولته رغم أنه في ذلك الوقت لم يدرك أن الناس يستطيعون أن يلاحظوا ما تفعله عيناه. ماذا يهم في الأمر إنْ عرف الناس أنه ينظر إليهم؟ لماذا يخاف الجميع من أن يُنظر إليهم؟ ترى متى كفّ عن النظر إلى الناس في عيونهم؟ لا بد من وجود لحظة أدرك فيها ما يعنيه هذا التغيير؟ ما الذي يعنيه يا ترى؟

يهمس لماني قائلاً: *يبدو أنك لا تعاني من مشكلة في فعل هذا*. فيحدق به التمثال بثبات من زاوية المقصورة.

يتذكر تحديقه إلى إيفي. فقد جعل الحب التحديق أمراً مسموحاً به، نوعاً ما، مرةً أخرى. وهكذا، تعوّد التمدّد في سريرهما في أيام شبابهما وهما يحكّان أنفيهما أحدهما بالآخر ويحدّقان. ورغم أنه يعرف كل جزء فيها، إلا أنه لم يكف عن التحديق بها. فقد ظل يكتشف زاوية ما ويود أن يتعرف إليها، ونوعاً مختلفاً من النور ينعكس على جسدها، وتجعيدةً أو طيّةً جديدةً في بشرتها.

Twitter: @ketab_n

شيء آخر يعرفه كارل

آغاثا ليست إيفي

وهذا شيء مؤكد. يتخيل آغاثا واقفةً باللباس الموحّد على رأس طاولةٍ ما، وتستند إليها حتى تكاد يداها أن تنغرسا داخلها، وهي تشير إلى إحدى الخرائط معلنةً عن الدول التي تريد أن تغزوها؛ وهناك رجال يأتمرون بأمرها. تعجبه النسخة الجديدة من الأنوثة التي يراها فيها؛ تلك التي تسمح له بألا يكون رجلاً.

كارل رجل، وهو يعرف هذا، فهو يتمتع بالصفات الرجولية التي تميزه كرجل، ولكنه لم يعرف قط كيف يمشي أو يتحدث أو يبدو رجلاً. وحتى الآن، وهو في السابعة والثمانين من عمره، فهو لا يزال يشعر أنه طفل صغير يختلس مجّةً من سيجار والده، أو يجرب ارتداء قميصه الذي يرتديه للعمل.

يتجعّد أنف آغاثا وهي تغلق شفتيها وتطوي ذراعيها على بطنها. فيتفحص أصابعها ويجدها كبيرةً وثخينة، ويتخيّلها تتحرك بثقلٍ على مفاتيح الآلة الكاتبة، كأن هناك من يرمي أكياساً من الملابس عن ارتفاع سبع طبقات على الأرض.

يستلقي إلى جانب آغاثا على السرير الصغير، ويطوي ذراعيه على بطنه، ويصغي إلى شخيرها. ينظر من النافذة فيرى من بعيدٍ بيوت مزارع وسياراتٍ صدئةً وآلاتٍ غير معروفةٍ مبعثرةً من حولها كأنها سقطت من السماء. هناك أعشاب نابتة من النوافذ، ومن خلال إطارات السيارات، ومن الجزمات، تبدو كشعر صدور الرجال. يختلس كارل النظر من فوق قميصه، ويثني صدره، ويتنهّد ويفرك عنقه. يتقاطر المطر على النوافذ، ولكن السماء لا تمطر في

Twitter: @ketab_n

الأفق، وهناك رقع مظلمة تحوم فوق الصحراء كأنها كـــدمات تمـــلأ السماء.

يجد كتاب آغاثا موضوعاً بجانبها علـــى الســـرير. ينظـــر إلى الكتاب، ثم ينظر إليها، ثم ينظر إلى الكتاب مرة أخرى. كُتِب علـــى الغلاف: *السن*، بخطٍّ غير منتظم، وتحتها بخط صغيرٍ يكاد يكون غـــير مقروء: *آغاثا بانثا (أبعد يديك)*. فيمسك به، ويبقي إحدى عينيْـــه عليها، ثم يتصفّحه بإصبع إبهامه. فيبدو له شكل الكتابة في الـــداخل شديد الغضب، كأنها تحاول أن تمزِّق الورق، فلا يمدّه النظر إلى هـــذا الكتاب بأي شعورٍ جميل.

يعيد الكتاب إلى مكانه، ويشعر بإيقاع سير القطار من تحـــت ظهره، ويجد حركته كالهدهدة والحنين.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

تجلس ميلي على مقعدٍ في المنطقة العمومية للعربة وتسند رأسها إلى النافذة، بينما تجلس مقابلها سيدة تقرأ كتاباً لفتاةٍ تبدو أصغر سنًّا من ميلي. لا يحوي الكتاب أيّ كلماتٍ ويطرح أسئلةً في غاية السهولة والبساطة. تقول الأم: *ماذا تفعل البقرة؟* وتحث الطفلة الصغيرة قائلة: *مووو*. فتقلّد الطفلة أمها كالصدى. وتهنئ الأم طفلتها الصغيرة كأنها قدّمت اختراعاً عظيماً. تجلس الطفلة ورأسها مرفوع وترجّح ساقيها من الكرسي، فتقترب منها أمها وتقبّل جبينها. تغمض ميلي عينيْها وتتمنّى من كل قلبها لو أنه جبينها هي. وعندما تسأل الأم: *ماذا يقول الحصان؟* تجيب ميلي: *نيييه!* بأفضل صوت حصانٍ تستطيع التوصل إليه، حتى أنها ترفع رأسها كما يفعل الحصان وتنظر إلى الأم على أمل الحصول على بعض الإطراء، ولكن الأم تنظر إلى ميلي كأنها ارتكبت خطأً ما.

فجأة تشعر ميلي أنها ممتلئة بالكراهية من هذه الطفلة الصغيرة. وتقول لها وهي تقفز عن كرسيها: *أتعلمين؟ من الممكن أن تموتي اليوم*. وتتوجّه إلى العربة التالية.

شطائر

ماذا؟

وستائر

اقرأ هذا

بطاطا

Twitter: @ketab_n

تتحوّل ميلي داخل عربة المطعم وتتسلّل إلى إحدى المقصورات. تشعر بالمقعد يلتصق بمؤخرة ساقيها وهي تراقب العالم يمر من أمام نافذة القطار. وعندما تضع يديْها أمام عينيْها على شكل منظار، يتحوّل العالم كله إلى خطوطٍ ملونةٍ، حمرٍ وخضرٍ وصفر، تتحرك بسرعة هائلة. هناك شيء مرعب حيال هذا وشيء مثير أيضاً. تفكّر في نفسها: *إن كل شيء يشتمل على جانبيْن متناقضيْن في آن*. فهي تشعر بالحزن لأنها ودّعت ستيلا، ولكنها مسرورة لأنها ذاهبة مع كارل وآغاثا. وتشعر بالحزن لأن والدها توفي ولكنها مسرورة لأنه لم يعد يتألّم بعد الآن. وهي تحب أمها ولكنها تكرهها في الوقت نفسه. هل يمكن للإنسان أن يحب الشخص نفسه ويكرهه في آن؟ وإن أحبه أكثر مما كرهه، فهل سيسامحه؟ هل سيسمح له بالعثور عليه؟ تنزع نظارتها المزيفة وتستند إلى كرسيِّها وتستفحّص طول الأشياء من حولها، وتشعر أن شيئاً لن ينتهي أو يبدأ أبداً.

تمر سيدة ترتدي الزيّ الموحّد لشركة المحيط الهادئ الهندية على طول العربة نحو ميلي. تتمتع السيدة بشعر طويل أشقر اللون وعينيْن تلمعان عندما تبتسم. تقول لها ميلي بأكثر لهجةٍ مؤدّبةٍ على الإطلاق: *أرجو المعذرة، متى سنصل إلى ميلبورن؟ يجب عليّ الوصول إلى هناك في غضون يومين.*

تبتسم السيدة بتعاطف لميلي، وتقول: *آه، يا عزيزتي. أعرف أن الرحلة شاقّة قليلاً*، وتمدّ يدها إلى جيبها وتقول: *تفضّلي*. وتعطي ميلي قطعة حلوى.

تنظر ميلي بتمعُّنٍ إلى قطعة الحلوى في راحة يدها، وترفع نظرها إلى السيدة، وتكرر قائلةً: *يجب عليّ فعلاً الوصول في غضون يومين.*

Twitter: @ketab_n

فتضحك السيدة وتقول: *سأحضر لك دفتر تلـــوين.* وتمضـــي مبتعدة.

تعضّ ميلي على قطعة الحلوى بينما يصدر صوت رجل من مكبّر الصوت قائلاً: *صباح الخير لكم جميعاً. إن انضممتم إلينا لتـــوّكم مـــن كالغورلي، فأهلاً بكم على متن رحلات شركة المحيط الهادئ الهنديـــة. نحن على يقينٍ من أنكم ستستمتعون برحلتنا. سأكون معكم طوال هذه الرحلة، ليس فقط لأقوم بإعلان بعض الأشياء المهمّة على طول الطريق، ولكن أيضاً لأعطيكم بعض المعلومات عن بلادنا الجميلة الرائعة. سرعان ما سنمضي عبر سهل نولابور. وكلمة نولاربور مشتقّة من اللغة اللاتينية وتعني "لا أشجار"، ولكن هذا السهل مغطّى بشُجَيْراتٍ ونباتاتٍ شوكيةٍ مقاومةٍ للجفاف والملح. يشكّل هذا السهل أكبر قطعة حجرٍ كلسيٍّ في العالم، ويبلغ عمره من عشرين إلى خمسة وعشرين مليون سنة، وتصـــل مساحته إلى ضعف مساحة إنكلترا، وقد كان في السابق حوضاً بحريًّـــا ضحلاً، لذا فهو مكوّن بمعظمه من أصداف البحر.*

تضغط ميلي وجهها على النافذة وتقول: *إذاً، فهكذا يبدو قاع البحر.* وتفكر في أنه يجب عليها أن تطلع ستيلا على هذه المعلومـــة. فتخزّنها داخل دماغها في الركن المخصّص للمعلومات الـــتي تريـــد تذكّرها في وقتٍ لاحق.

عند الطاولة المجاورة لها، يجلس صبـــي من عمرها، ويقرأ كتاباً مصوّراً. على الصفحة الأمامية يظهر رسم كرتونيّ لرجلٍ يعتمر قبعةً وذراعه مرفوعة في الهواء أمامه والريح تعبث بشعره، وهـــو يمســـك بشخصٍ بذراعه الأخرى، وهناك مبنى محترق تحتهما. يضـــع البطـــل سواراً حول معصمه عليه أضواء وأزرار.

Twitter: @ketab_n

تنظر ميلي إلى حاملة علب العصير التي تضعها على ذراعها. تتخيّل نفسها تعتمر قبعةً، وتطير فوق ممرّات القطار، وتحوم فوق الجميع وتنقذهم، ثم تطير خارجةً من هذا القطار وتتّجه مباشرة إلى ميلبورن. وسيتوجّب على أمها أن تسامحها لأنها فتاة طيّبة. تنظر إلى عيني الصبي الذي يقرأ الكتاب المصوّر، فيبدو عليه أنه يشجعها على الكلام.

تتسلّل ميلي إلى عربة الدرجة الأولى...

ثم أخذت التفاحة
وتم الفهم على أساس
كيف حصل ذلك
نوفا سكوتيا؟

تسرق ميلي منديل مائدةٍ أبيض، وتخرج من حقيبة ظهرها علبة أقلام التلوين، وتكتب حرفي *سين* و*فاء* على المنديل الأبيض بقلم تخطيطٍ أسودَ ثخين، وتربطه حول عنقها. وتخرج حذاءها المطاطي وتكتب حرف *سين* على الفردة اليمنى، وحرف *فاء* على الفردة اليسرى. وتكتب *هنا يا أمي* على إحدى ذراعيها، و*آسفة يا أمي* على الذراع الأخرى. وتجمع كل قوائم الطعام من عربات المطعم، وتكتب بجانب عبارة *أهلاً بكم في شركة المحيط الهادئ الهندية* بأفضلِ خطٍّ ممكن: *ستموتون جميعاً*. ثم تكتب تحت ذلك بأحرفٍ كبيرة: *لا بأس*. وترسم وجهاً باسماً.

تراقب سيدةً تضع بعض أحمر الشفاه بعناية على شفتيْها. وعندما لا تعود السيدة منتبهة، تمد ميلي يدها داخل الحقيبة وتأخذ

Twitter: @ketab_n

أحمر الشفاه، وتقول في نفسها: *إنني أستعيره*. وتستخدمه لتكتب رسالتها على أسفل النوافذ والمرايا في الحمامات، وعلى الطاولات في المطعم، ولا يبدو على أحد أنه يلاحظ أيّ شيء.

تمشي على طول ممرّات العربة وتشعر بمنديلها الأبيض يرفرف في الريح من خلفها، وبحذائها المطاطي يقفز على نوابض مثبتةٍ في أسفله. ينظر الناس إليها ويبتسمون لها، فتشعر أن بوسع ابتسامتها أن تزوّد العالم كلّه بالكهرباء. تدفع نفسها على طول الممر، وذراعها مرفوعة عالياً أمام جسدها، وقبضة يدها مشدودة.

تضع سيدةٌ مسنةٌ يدها على المقعد بجانبها كأنها تتخيّل دفء شخصٍ ما هناك، فتركع ميلي على ركبتيْها وتنزلق على الأرض باتجاهها.

تقول لها: *ستموتين يومًا ما*.

فتنظر السيدة إلى ميلي وتقول وهي تربّت رأسها: *آمل هذا، يا عزيزتي*.

تجلس فتاة صغيرة على أرض عربة البهو وتسرِّح شعر الدمية باربي.

فتقول ميلي وهي تقف فوقها: *ستموتين يومًا ما*.

لا تنظر الطفلة إليها بل تقول: *بل أنتِ*.

فتقول ميلي: *أعرف هذا*.

ترى ميلي والداً يطعم طفلاً حديث المشي، بينما يحاول في الوقت نفسه أن يمنع ولدين آخرين من تبادل الكلمات.

فتقول ميلي وهي واقفة بفخر: *ستموتون جميعًا يومًا ما*. وترفع ذراعها عالياً فوق رأسها.

Twitter: @ketab_n

يحاول الأب أن يغطّي آذان أولاده، ويقول لها: *ابتعدي من هنا*.

فتنظر إليه زوجته الجالسة وهي تقرأ مجلةً وتقول: *إنها طفلة، يا جيرارد*.

وكذلك كان تشارلز مانسون في الماضي!

فتهمس ميلي وهي تنصرف مبتعدة: *لست طفلة، يا جيرارد*.

وتجد طفلاً جالساً في عربة أطفال، فتدعه ميلي يمسك بإصبعها. وتقترب من رأسه وتهمس له قائلةً: *وأنت أيضاً ستموت*.

فيبتسم لها ويطلق ريحاً، ثم يبتسم أكثر.

– *تلك الطفلة الصغيرة غريبة الأطوار فعلاً*.

– *أعرف*.

تعثر على باب كُتِب عليه: *ديريك فونتلروي: قائد المرشدين*. تفتح الباب قليلاً فترى رجلا جالساً إلى مكتب ورأسه بين يديه، وهو يضع سمّاعة هاتف على أذنه.

لا أستطيع، يا أبي. فأنا أعمل.

هذا هو عملي الحقيقي.

يا إلهي!

لماذا لا تطلب من الفتى الذهبي.

حسناً، هذه هي الحقيقة.

لا تغلقِ الخط.

أبي.

أبي.

تبًّا.

Twitter: @ketab_n

تستخدم ميلي قلم أحمر الشفاه لتكتب على النافذة المقابلة للمكتب: *لا بأس*. فيبدو على الكلمات أنها تطير مع خط الأفق.

تجلس ميلي تحت إحدى الطاولات في عربة المطعم. تشعر أنّ كلّ شخصٍ هناك حزين، وهو إما يظهر حزنه وإما يخفيه، وبعضهم يشعرون بالحزن منذ وقتٍ طويل، وبعضهم الآخر لم يحزنوا وقتاً كافياً. فتدرك أن فكرة مساعدة الجميع مرهقة للغاية. وتقول وهي تضغط وجهها على وسادة الكرسي: *أهذا هو ما يُفترض بالأبطال الخارقين أن يشعروا به؟*

يمد صبي رأسه من تحت الطاولة ويرتعش بجانبها، وهو الصبي نفسه الذي شاهدته يقرأ الكتاب المصوّر. يتمتع الصبي بشعرٍ بنيٍّ وعينين يبدو أنهما تهيمنان على كامل وجهه. يتبادل وميلي النظرات.

يقول لميلي في نهاية المطاف: *لقد ركبت هذا القطار سبعًا وثلاثين مرة.*

فتقول له: *هذا جيد.*

- *أعرف كل شيء فيه. اسأليني عن أيِّ شيء.*

- *إنني مشغولة.*

فيقول لها وهو يشير إلى قبعتها: *أنت بطلة خارقة.*

تقول: *نعم.*

فيقول لها: *وكذلك أنا.*

- *أي بطل أنت؟*

فيتنهد ويتكئ على مرفقه ويضع رأسه على يده: *هذا سرّ.*

- *أنا قبطان الجنائز.*

Twitter: @ketab_n

يعتدل في جلسته ويقول: *وأنا قبطان كل شيء.*

- *ماذا تفعل؟*

يقول وهو يشيح بوجهه: *كل شيء.*

- *آه.*

- *وماذا تفعلين أنت؟*

- *لا شيء بعد.*

يمر بهما عدد من الركاب منتعلين أحذيةً رياضيةً وبعضهم حفاة الأقدام.

يسألها الصبـــي: *هل تحبين الأقدام؟*

تفكر ميلي بالأمر وتجيب قائلةً: *معظمها.*

- *تقول أمي إنه يجب علينا ألّا نلمس أقدام أحد. إنها تأتي بعد مقابض الأبواب والدرابزين والظهور المشعرة، فهذه الأشياء من أكثر الأمور إثارةً للاشمئزاز.*

- *هناك أمور مثيرة للاشمئزاز أكثر من هذه.*

- *مثل ماذا؟*

- *الصبيان.*

- *الفتيات أشد إثارة للاشمئزاز.*

فتقول ميلي: *والقاذورات.*

- *القاذورات على وجهك.*

- *جدتي لديها ثآليل على كل جفونها.*

- *ربما كانت ساحرة.*

- *أنت سوف...*

- *سوف أموت يوماً ما، أعرف هذا.*

Twitter: @ketab_n

- *كيف تعرف؟*
- *الجميع يعرفون هذا.*
- *كنت تتلصّص علي.*
- *كلا، لم أفعل.*
- *بل فعلتَ.*

يستند على قائمة الكرسي، ويقول: *هل تريدين بعضاً من الحلوى التي معي؟*

فتهز ميلي كتفيها وتقول: *حسناً.*

يمضغان الحلوى معاً بصوت مرتفع. تلتهم ميلي قطعتها بسرعة، ويراقبها الصبي ثم يمد يده إلى جيبه ويخرج بعض البسكويت ويعطيه لميلي. فتأكله بامتنان.

- *إلى أين أنتِ ذاهبة على أي حال؟*
- *رحلة.*

فيشيح الصبي بوجهه مرة أخرى. ويقول: *هذا واضح، ولكن إلى أين؟*

تأخذ نفساً عميقاً وتقول: *إننا نحاول العثور على أمي، فقد نسيت أن تأخذني. وبعد ذلك، اكتشفتُ أن كل أغراضها اختفت من البيت. وقبل ذلك، دخل والدي إلى المستشفى ثم مات. وأظن أن هذا هو السبب الذي جعلها تنسى أن تأخذني ثم جعلها تود الرحيل إلى مكانٍ بعيد. كل ما أريده الآن هو العثور عليها قبل أن ترحل إلى مكانٍ لا أستطيع الوصول إليه.*

- *آه.*

تقول ميلي: *هل أمك لطيفة؟*

Twitter: @ketab_n

- إنها جيدة.
- ما الأمور التي تفعلها؟
- أمور الأمهات.
- مثل ماذا؟
- تعطيني أشياء. تأخذني من الأماكن. تعد لي أشياء. وذلك النوع من الأشياء.

تقول ميلي: ستصطحبني أمي إلى عالم الأفلام أو إلى الشاطئ الذهبي. أقصد أنها ستفعل هذا عندما أعثر عليها.

- ذهبت إلى هناك العام الماضي.
- وسنذهب على الأرجح إلى عالم البحار بعد ذلك.
- أظن أن عرض الدلافين هناك لا بأس به.

تقول ميلي: إن أمي تعمل في عرض الدلافين.

- لم أرَها.
- ما كنت لتعرفها لو رأيتها.
- إن أمك ليست في عرض الدلافين.
- وبعد ذلك، سنذهب على الأرجح إلى الفضاء الخارجي.

فيقول الصبي وهو يشبك ذراعيه: لا يمكنكما الذهاب إلى الفضاء الخارجي.

- من قال هذا؟
- الجميع يقولون.
- إن أمي تعرف شخصاً يمكنه الذهاب إلى الفضاء.
- رائد فضاء؟
- كلا، بل مجرد رجل ثري.

Twitter: @ketab_n

- *آه، تعرفين أناساً أثرياء.*
- *بعضهم.*
- *إنني أعرف كثيراً من الناس الأثرياء.*
- *غير صحيح.*
- *بل صحيح. هناك فتاة في مدرستي تشتري غداءً كل يوم.*

فتقول ميلي: *وماذا في ذلك؟*

- *كل يوم.*
- *هل تستطيع الذهاب إلى الفضاء الخارجي.*
- *على الأرجح.*
- *من أين ستشتري غداءها؟*

فيقول الصبـــي: *ستشتريه قبل الذهاب، وهذا واضح.*

- *ما اسمكَ الحقيقي؟*
- *لن أخبرك. ما اسمكِ الحقيقي أنتِ؟*
- *ميلي بيرد.*
- *اسمي جيريمي.*
- *جيريمي ماذا؟*
- *كلا، بل جيريمي جايكوبز.*
- *يعجبني اسمك.*
- *شكراً. اسمك جميل أيضاً.*
- *شكراً.*

يسمعان صوتاً من الجهة الأخرى من العربة: *عذراً، يا سيدي.*

يهمس جيريمي قائلاً: *هذا ديريك قائد المرشدين.*

يمر ديريك من أمامهما، فلا تستطيع ميلي أن ترى سوى قدميه.

Twitter: @ketab_n

يرتدي حذاءً أسود لامعاً ويمشي بخطواتٍ سريعةٍ مستقيمة. يقول ديريك: *لا تتنفّسْ على النافذة، يا سيدي.*

يقول جيريمي: *تقول أمي إنه تعوّد أن يعمل مفتّشاً لركن السيارات. ثم يقترب من ميلي ويهمس قائلاً: ولكنه تعرّض للطرد من عمله لأنه تعوّد أن يعبث بعدّاد الركن لكي يتمكّن من الحصول على مزيدٍ من البطاقات.*

تزحف ميلي من تحت الطاولة لتلقي نظرة عليه. فلا تستطيع أن تراه سوى من الخلف، ولكنها تدرك أنه الرجل نفسه الذي شاهدته يتحدث على الهاتف. تلاحظ أن قميصه مدسوس داخل بنطاله وأن البنطال لا يحوي أي تجاعيد. ينهمك الرجل بمسح الطاولات والمقاعد والجدران وأيٍّ أسطحٍ موجودة. ويبدو عليه أنه في سباق مع نفسه. هناك طفلة جالسة عند إحدى الطاولات ووجهها كله ملطّخ بالحلوى، بينما تقف والدتها في الصف أمام طاولة الطعام. يمسح ديريك وجهها بالمنديل بخشونةٍ بينما تجلس هي في مكانها مصعوقةً لبضع ثوانٍ ثم تبدأ بالبكاء. يمر ديريك بالأم بينما يمضي مبتعداً عن الطفلة الباكية، ويقول: *ممنوع البكاء في عربة المطعم.*

تقول ميلي وهي تعاود الزحف تحت الطاولة: *مفتّشو الركن يذهبون إلى الجحيم.*

- *ماذا؟*
- *هكذا قال أبي.*
- *آه.*

تأتي المرأة التي أعطت ميلي قطعة الحلوى وتمد رأسها تحت الطاولة وتقول: *هل عثرتَ على صديقةٍ، يا جيريمي؟*

Twitter: @ketab_n

- *إنها ليست صديقة، يا أمي.*

- *صديقة حميمة إذاً؟*

- *أمي! هذا مقرف!*

تبتسم لميلي. فتبتسم لها ميلي بدورها. وتقول أم جيريمي: *تبدو لطيفة.*

- *حسناً، ليست كذلك.*

فتقول ميلي: *إنه ليس لطيفاً أيضاً.*

تضحك أم جيريمي وتقول: *أنتما الاثنان تشكلان ثنائياً مثالياً.*

فيقول جيريمي وهو يشبك ذراعيه: *أمي!*

تقول له أمه: *سيحين وقت استراحتي عمّا قريب. لِمَ لا تأتيان وتتناولان العشاء معي؟*

فينظر إليها بطرف عينه ويقول: *هل يمكننا أن نلعب بلعبة أونو؟*

تقول: *بالطبع، يا عزيزي.*

يقف حذاء أسود لامع بجانب أم جيريمي، ويقول صوت ما: *لا ندفع لك لكي تجلسي على الأرض، يا ميليسا.*

فتقول والدة جيريمي: *حسناً، يا ديريك.* وينصرف الحذاء الأسود اللامع.

يقول جيريمي: *إنه مخيف، يا أمي. لا أحبه.*

- *آه، يا عزيزي، لا تكن قاسياً عليه. إنه مجرد طفل صغير.*

- *ليس طفلاً بل هو كبير.*

فتقول أمه وهي تداعب بطنه: *أقصد من الداخل، يا عزيزي.*

تضع ميلي يديْها على بطنها. وتنظر إلى أم جيريمي فتجدها جميلةً جداً وتفوح منها رائحة الأمهات. تقول لها: *أنتِ جميلة جداً*

Twitter: @ketab_n

وتفوح منك رائحة الأمهات. فترق لها ملامح المرأة وتضع يدها الدافئة على ساق ميلي، وتقول: *شكراً لكِ، يا عزيزتي*. فتود ميلي أن ترتمي بين ذراعيها وتبقى في حضنها ولا تغادره، ولكنها لا تفعل هذا على الإطلاق لأن السيدة ليست أمها. ولا يمكن للمرء أن يفعل هذا مع أمهاتٍ غير أمه، ولكن ينبغي أن تكون الأمهات قادرات على معانقة كل شخص.

Twitter: @ketab_n

2:02: تستيقظ آغاثا خائفةً عندما يعلنون على مكبّر الصوت: سيداتي وسادتي، هلاّ تكرمتم بتقديم ساعاتكم ساعة ونصف. فخلال هذه الرحلة، سنتّبع ما نسميه بتوقيت القطار. سنعلمكم لاحقاً بكل التعديلات القادمة.

تجلس آغاثا، وتقول: توقيت القطار؟ وتقدّم كل ساعاتها.

3:32: تخرج آغاثا دفتر رسائل الشكاوى الخاص بها وقلماً وتبدأ بالكتابة: عزيزي... ترتعش يدها قليلاً عندما تهتز عربة القطار ويرتسم خط طويل على طول الصفحة. فتقول آغاثا: اللعنة! تمزّق الصفحة وتجعّدها. وتكتب مرة أخرى: عزيزي... وتتوقّف عن الكتابة.

تنظر آغاثا من النافذة فترى أنهم يمرون عبر منطقةٍ مكسوةٍ بالشُجَيْرات. تشعر أن كل شيء يصدر حفيفاً من حولها، بينما ترفع الأشجار فروعها في الهواء كأنها تعاني من ألم مبرح. تتذمّر من التراب الأحمر الداكن الذي يدخل تحت الأظافر، ويلطخ الملابس، ولا يبدو عليه أنه يدع المرء وشأنه.

فجأةً، يخطر ببالها شعر رون؛ شعر أحمر كالأسلاك النحاسية، مسطّح على قمة رأسه ومتموّج قليلاً في المقدمة ومفروق فرقاً جانبياً. التقت به وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وكان هو في الثامنة عشرة. كان ذلك وقتاً هشًّا وغامضاً. تتذكر أن صوتها بالكاد كان مسموعاً وأن مجرد فكرة وجودها على قيد الحياة جعلتها تشعر بالسخف. فلطالما شعرت أن هناك من يراقبها ويتفحّصها، وأصبح مجرد النظر في عيون الناس يصيبها بالذعر. باتت مدركةً أن جسدها

Twitter: @ketab_n

يأخذها إلى مكانٍ لا تريد الذهاب إليه؛ إلى ذلك العنوان الذي سمعت به لتوِّها: إلى عالم النساء. لم يخبرها أحد قط ماذا تفعل حالما تصل إلى هناك. تذمّرت من الموضوع وهي تأمل ألا يلاحظ أحد ما يجري تحت ملابسها.

قابلت رون للمرة الأولى في المتنزّه قرب منزل جدتها بينما كانت عائدةً من المدرسة إلى بيتها. كانت تدرك أنها تفكر ملياً بكيفية مشيها وطريقة تحريك ذراعيها، ولا بدّ أن كل من راقبها لاحظ تصرّفها هذا.

ما هو أول شيء قاله لها؟

ارمي لنا الكرة، هل تفعلين. نعم، تظن أن هذا هو ما قاله.

كان الصبية يلعبون لعبة الكريكت. سمعت ما قاله، ولكنها لم ترفع نظرها إليه، وشعرت بجسدها ينتفض وهي ترى الكرة بطرف عينها تتدحرج نحو قدميها. وظلت تلك الكرة تقترب وتتقدم نحوها كأنها كرة ثلجية تزداد حجماً.

هلاّ ترمين الكرة؟

تتذكر تلك النظرة التي رمقها بها تحت يده التي تحجب أشعة الشمس، والطريقة التي مشى بها الهوينى نحوها، وصوته وإيماءته وهيئة وقفته.

قال لها وهو يبتسم: *ألا تستطيعين أن تمسكي الكرة؟* وأمسك الكرة بنفسه. لم يأتِ كلامه بنبرة السؤال بالفعل. نظرت آغاثا إلى الأرض، فقال لها: *حسناً إذاً*، ومضى مبتعداً، ولكن آغاثا لاحظت تردّداً في مشيته، وشعرت به مرة أخرى وهي مستلقية في سريرها تلك الليلة، وعيناها مفتوحتان على وسعهما محدّقة إلى السقف.

Twitter: @ketab_n

في وقتٍ لاحقٍ تزوّجا، وباتا يملكان بيتاً ويعيشان حياة كاملة معاً. وعندما ماتت أمها، وضع يده على قمة رأسها بشكلٍ عابرٍ، بينما هو يتوجّه من المغسلة إلى كرسيِّه، ولكنها شعرت بيده على رأسها ثقيلةً بالحب، حتى أنها شعرت أنها تمنع رأسها من السقوط نحو صدرها.

كان يعدّ لها الشاي كل أمسيةٍ دون أن تطلبه منه. لم يتعوّد ارتياد نوادي القمار أو التدخين. كان يقرأ لها الأخبار اليومية عندما تمرض، ويأكل رغيف اللحم الذي تعده حتى لو كان رهيباً. ورغم قلّة ابتسامه، إلا أنه لم يعتد التذمّر قط.

ترى هل جعله هذا رجلاً صالحاً؟

هل كان رجلاً صالحاً؟ هل كان شخصاً أفضل منها؟ أو أفضل من الجميع؟

3:46: تتذكّر تلك الحادثة التي وقعت بعد مرور فترةٍ طويلةٍ على زواجهما. فقد شاهدت آغاثا رون ينظر إلى جسم امرأة أخرى. إنها تلك المرأة التي لا تتذكّر اسمها والتي تقطن المنزل المجاور. شاهدتها تشذّب حديقتها بملابس تخجل الراقصات من ارتدائها، وبدت ملابسها الداخلية ظاهرة من فوق بنطالها الجينز كأنها تحاول الوصول إلى عنقها، أو ككلب يشدّ وثاقه ليصل إلى وعاء الطعام. بينما كان ينتظر في السيارة، شاهدت آغاثا وجهه من خلال الزجاج وهي تقفل باب منزلهما. ورغم أنهما لم يعودا حميمين معاً، إلا أن هذا الموقف هزّها من الداخل. فقد اكتشفت شيئاً غريباً حيال وجه زوجها. قد يبدو خالياً من التعبير للعين غير الخبيرة، ولكن فتحة عينيْه بدت مختلفةً، وكذلك انفراج شفتيه الطفيف. فقد وجد شيئاً فاجأه في

Twitter: @ketab_n

جسد تلك المرأة، وفي الفراغ الذي يفصل بينه وبين زوجته؛ شيئاً بعيداً كل البعد عن آغاثا.

فتحت باب السيارة وركبت، فلوحت لهما صاحبة الاسم الغريب وهما يمران بالسيارة من أمامها. فانغلق فم رون بإحكام وبات مسطّحاً تحت أنفه كأنه شاشة مراقبة نبض القلب، ولسان حاله يقول: بيييييب.

تقول الآن وهي تنظر من النافذة: بيييييب.

3:52: تنظر إلى الصفحة الموضوعة أمامها، وتقرأ: عزيزي...

تتساءل عمّا كان وجهها يبدو عليه في نظر زوجها. لم تستطع حتى أن تتذكّر أنها رمقته بنظرةٍ رقيقة. تتساءل إن شعر بالحب تجاهها يدغدغ أطرافه. لطالما اتّسم صوتها بنبرة نفاد صبر لا تفارق كلماتها. ولم يسبق أن سألته أسئلة تخلو من الأنانية، وإن صبت عصير البرتقال لكليهما، أخذت الكوب الكبير لها، وإن دخلت من أحد الأبواب وهي على يقين تام من أنه في أعقابها، تركت الباب ينغلق خلفها. لم تدلّك عنقه المنحني بل تركته يمده إلى أحد الجانبين ويضغط أصابعه بضعفٍ على عضلاته متحسِّساً موضع الألم كالميكانيكي. ورغم رؤيتها تجهّم ملامحه، إلا أنها استمرّت بالتقام البطاطا المهروسة بلا مبالاة. لطالما بدا انزعاجه غريباً عنها وغير متعلّق بها، كأنه أحد أولئك الأطفال الأيتام الذين يعيشون في بلدٍ قطّعت الحروب أوصاله.

تُرى هل أرادت بذلك أن تختبره؟ هل كانت علاقتهما كلّها مجرّد تحدٍّ مستمر؟ إلى أي حدٍّ تستطيع أن تحتمل، يا رون؟ إلى أي حدٍّ أنت مستعد للاستمرار؟ ولماذا؟ لماذا أنت راغب بالتحمّل، يا رون؟

Twitter: @ketab_n

4:01: تكتشف أنها كانت امرأةً سيئةً مع رون. تصل هذه النتيجة إليها بصوتٍ صاخبٍ كأنها تصيح بها بأعلى صوتها. نعم، لقد عاملتْ رون معاملة بالغة السوء لأنها استطاعت أن تفعل ذلك، ولأنها وجدت ذلك أمراً سهلاً، ولأنه لم يمنعها من ذلك.

تمزّق الورقة من دفتر الملاحظات وتجعّدها وتلقيها على الأرض.

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

يجلس كارل في إحدى المقصورات في مقهى ماتيلدا، ويشاطر ماني زجاجةً من الشراب، ويتأمّل الشمس وهي تغرب فوق الصحراء. يصدر القطار صوت صرير، فيجعله الاستمرار اللطيف لذلك الصوت يشعر بالراحة، كأنه يسمع صوت تساقط حبات المطر على السطح. يرى زوبعةً من الغبار تلوح في الأفق كأنها صاعقة، فيراقبها بعينيْن مفتوحتيْن على وسعهما وهي تدور وتفتل ثم تختفي دون أثر.

ينزع كارل ورق الحمّام الذي لفّه على يده ويتفحّصها عن كثب، ثم يريها لماني وهو يرفع حاجبيه ويقول: *كان ينبغي أن ترى ما حدث للرجل الآخر*. يفرد كارل مفاتيح الآلة الكاتبة الخاصة بإيفي أمامه. يقول وهو يتنهّد: *تُرى ما الذي نسيته، يا ماني؟* يحرك المفاتيح في الأنحاء محاولاً تشكيل كلمات أخرى ولكن دون جدوى. ثم يلتفت إلى ماني. *ماذا تعني هذه الكلمات؟*

يدخل رجل وامرأة مسنّان العربة ويبتسمان لكارل ثم يجلسان في مقصورةٍ أخرى، فيومئ لهما كارل بأدب. تفتح المرأة كتابها وتشرع بالمطالعة، فيغمز الرجل لكارل ويسأله: *هل تستمتع بركوب القطار؟*

Twitter: @ketab_n

يقول كارل: *آه، نعم، كثيراً*.

يقول الرجل وهو يشير من النافذة: *هذه الأشجار. إنها ميتة*. وينكز زوجته بمرفقه، ولكنها لا تبدي أيّ رد فعل. فيقول: *إنها ميتة، ولكن نبتت لها براعم جديدة*. ينظر إلى كارل منتظراً رد فعلٍ منه.

يقول كارل: *حسناً، سأكون كذلك*.

يلتفت الرجل إلى زوجته التي لا ترفع عينيها عن الكتاب ويقول لها: *سأذهب وألقي نظرة لأرى ما لديهم*.

يعود وبحوزته كوبان من الشاي ويضعهما على الطاولة. ويقول: *يا إلهي! إنه ساخن*. وينفخ على يديه ويفركهما معاً بحركةٍ درامية. *يا إلهي! كم هو ساخن!* فلا تجفل زوجته من كلامه بل تواصل القراءة. يقول الرجل مرةً أخرى وهو يتخذ مقعده ويشير نحو النافذة: *تلك الأشجار! براعم جديدة!*

تقول المرأة فجأةً كأن زوجها لم يتحدث إليها على الإطلاق: *الأشياء الأخرى كانت جيدة*. تقولها بإلحاح مرتبك كأنها شخص استيقظ لتوّه من حلم.

يسأل زوجها: *ماذا؟*

فتقول له دون أن ترفع صوتها: *الطاقم الآخر كان لطيفاً*.

– *الطاقم الآخر كان ماذا؟*

فتقول: *جيد*. ولا ترفع عينيها عن الكتاب.

يقول: *آه، جيد*. ويستمر برشف الشاي بينما تواصل هي قراءة كتابها. يلقي كارل نظرةً خاطفةً إلى وجهها. فيبدو عليها أنها عديمة التأثر بهذا الرجل وملامحها بعيدة كل البعد عن أي تعبير له.

Twitter: @ketab_n

يهمس كارل لماني: *لماذا يجب عليهما أن يكونا على قيد الحياة؟* ويلقي نظرةً خاطفةً نحوه بطرف عينه ويقول: *أعرف، أعرف.* يشعر بالطاولة تحت أطراف أصابعه باردةً وقاسيةً وهو يطبع عليها، ثم يقول: *هذا قاس، ولكن...* يحدّق إلى الرجل وهو لا يزال يهز رأسه للأشجار وللمرأة التي لم تعد تحبه. ويضيف قائلاً: *لقد أحببت إيفي وهي أحبتني. ألا ينبغي أن نحصل على جائزةٍ مقابل هذا؟*

يلتفت كارل نحو ماني الذي ينظر أمامه مباشرة نحو الزوجين، ويقول وهو يحمرّ من فرط الإحراج: *لا تُبدِ شيئًا يدل على أننا نتحدث عنهما.* يدير كارل وجه ماني نحوه، ويمسك ذراع ماني وهو يفعل ذلك ويشعر بانحناء عضلة ذراعه. يقول: *عزيزي ماني!* ويفك كارل أزرار قميص ماني وينظر إلى الداخل ويقول: *رائع!* ثم يرفع قميص ماني وينظر إلى عضلات معدته المشدودة ويقول ثانية: *هذا رائع!*

يقول صوت مفاجئ: *مرحبًا، يا سيدي.* فيقفز كارل من مكانه. يرى رجلاً مرتدياً الزيّ الموحّد لشركة المحيط الهادئ الهندية واقفاً عند طاولته. يرى دفتر ملاحظات معلّقاً بخيطٍ يتدلّى من عنقه ومنديل مائدةٍ مطويًّا بأناقةٍ فوق حزامه. يقول: *أنا ديريك، كبير المرشدين.* وينقر بإصبعه على لوحة اسمه، ثم يمرر إصبعه بنعومة على فرق شعره، ويستخدم أخمص يده ليملّس غرته.

يقول كارل: *مرحبًا، يا ديريك. وأنا كارل الطابع على الآلة الكاتبة.*

– *هل ستتناول عشاءك معنا هذا المساء، يا سيدي؟*

يجيب كارل وهو يضع إحدى ذراعيه حول ماني: *بالطبع، يا سيدي. أنا وصديقي وزوجتي وحفيدتي.*

Twitter: @ketab_n

فيقول ديريك بصوت هامس: *نحن لا نسمح بوجود الدمى غير اللائقة على متن القطار، يا سيدي.*

ينحني كارل إلى الأمام قليلاً، ويقول: *دمى غير لائقة؟*

- *ما تفعله في وقتك الخاص أمر لا يعنينا، ولكن بينما أنت على متن هذا القطار...*
- *آسف، ولكنني لم أفهم ما تقصده.*
- *لا أعرف ما هي هواياتك...*
- *هواياتي؟*
- *ولكن يجب عليك أن تخرج هذه الدمية غير اللائقة من عربة المطعم في الحال.*

يبعد كارل يده عن كتفي ماني ويرمقه بنظرة اعتذار ثم يضع مرفقيه على الطاولة ويشبك يديه ويقول بهدوء: *ماني ليس أحد هذه الأشياء التي تتحدّث عنها.*

يمسك ديريك بدفتر الملاحظات الذي يحيط بعنقه ويخربش عليه ثم يقول: *أصغ إليّ. لا أعرف ما تطلقونه على هذه الأشياء، ولكن أبعده عن نظري في الحال. أتفهمني؟* ويمزق قطعة ورق من دفتره ويضعها بقوة على الطاولة أمام كارل. يقرأ كارل عليها عبارة: *تصرّف غير لائق* مكتوبة بأحرف كبيرة، وكلمة *غير لائق* تحتها خط.

قبل أن يتمكّن كارل من الإجابة، تأتي ميلي قفزاً إلى العربة، وتقول وهي تجلس بقرب ماني: *كارل! ماني!* وتعانقه. تأتي آغاثا خلفها مباشرة وتجلس في الجهة المقابلة من المقصورة، فيضع كارل الورقة في جيبه.

Twitter: @ketab_n

يقول ديريك: *هذا تحذير. بعد ثلاثة تحذيرات من هذا النوع، تتعرض للطرد من القطار، يا سيدي.*

فتقول ميلي: *تحذير بسبب ماذا؟*

تقول آغاثا لديريك وعينها على بطاقة الاسم: *أرجو المعذرة، متى سنصل؟* ويبدو عليها الغضب.

يتفقد ديريك ساعته ويقول: *في الساعة السادسة والنصف*، ويسكت قليلاً، ثم يقول: حسب *توقيت القطار*.

تقول آغاثا وهي تنقر بإصبعها على الطاولة: *لا يمكن لكم أن تغيّروا التوقيت هكذا وتسمّوه بما يحلو لكم.*

يقف ديريك على كعبيه ويطوي ذراعيه أمام صدره ويقول: *بل يمكنني ذلك. إنني أعتبر هذا القطار بيتي. وهكذا، فبينما تكونون في بيتي، فإنكم تتّبعون توقيتي الخاص.*

تسأل ميلي: *ماذا عن توقيت ميلي؟*

ويقول كارل: *نعم. وتوقيت كارل؟*

فيقول ديريك: *كلا*. ويضع كلتا يديه على الطاولة ويتكئ عليهما قائلاً: *كلا، توقيت القطار وحسب!* وبعد أن يرمق الأربعة جميعاً بنظرةٍ طويلة، يقول: *هذا بيتي!* ويستدير ويمضي مبتعداً على طول الممرّ ويخرج من العربة.

يتمتم كارل قائلاً: *شخصٍ محبّب! من يريد بعض السندويشات؟* ويخرج ثلاثة سندويشات من كيس بلاستيكي تحت الطاولة.

فترفع ميلي يدها وتقول: *أنا!*

فيعطي كارل واحدة لميلي وواحدة لأغاثا.

Twitter: @ketab_n

تقول ميلي: *شكراً لك*، وتفتح سندويشها.

تقول آغاثا: *متى ستصل، يا طابع الآلة الكاتبة؟* وتأخذ السندويش بعنف.

فينظر كارل إلى ذراعه، ويقول: *حسب توقيت النمش. متى تصلين، يا ميلي؟*

تقول ميلي وهي تضحك: *توقيت الشعر.*

لا تزال آغاثا تبدو منزعجة. فيقول كارل: *كل ما أعرفه هو أن الوقت قد حان لتناول كأسٍ من الشراب، يا آغاثا.* يأمل أن يكسب صوته نبرة تعاطف، ويقول: *يمكنك أن تحصلي على كأس ماني. هل تمانع بذلك، يا ماني؟ إنه لا يمانع.* ويملأ الكأس الثانية ويدفعها نحوها.

تأخذ آغاثا الكأس وتتجرعها دفعةً واحدةً وتعيدها إلى كارل، ثم تمسح فمها بذراعها وتتأمّل كارل كأنها تختبر ساقياً في حانة.

يضحك كارل بتوتُّر ويصب لآغاثا كأساً أخرى. يفرد ظهره وهو يسأل بأعمق صوت لديه: *إذاً، ما الذي فعلتِه اليوم، يا ميلي؟ يبدو أنكِ كنتِ مشغولة طوال اليوم.* يلاحظ أنها ربطت منديلاً حول عنقها وأنها زينت ذراعيها بأحرف وألوان.

تجيبه قائلة: *لقد قابلتُ صبياً.*

فيقول كارل: *حسناً، هل تقابل الفتيات في مثل سنك صبيًّا؟*

تقول وهي تمضغ سندويشها: *قال إن لديه شيئاً يريد أن يريني إياه. إنني مبتهجة للغاية.*

يقول كارل: *حسناً، ماذا عنكِ، يا آغاثا؟*

فلا تتفوّه بكلمة بل تشرب كأسها الثانية وتدفعها نحوه مرةً أخرى.

Twitter: @ketab_n

يقول لها وصوته متردِّد قليلاً: *ربما أعطيك بعض الماء في الكأس التالية، أليس كذلك؟*

تنقر آغاثا بأصابعها على جانب الكأس.

فيقول كارل: صحيح. وتصيبه حازوقة مفاجئة، فيضع يده على فمه بإحراج.

تأتي امرأة ترتدي زيّ الشركة الموحّد نحوهم وتقول: *ها هي التحلية التي طلبتموها*. وتغمز لميلي، فتغمز لها بدورها.

يقول كارل: *ولكنني لم...*

فتضع المرأة، واسمها ميليسا حسب الرقعة التي تضعها، يدها على كتف كارل وإصبعها على شفتيْها. فيشعر بكتفه تكاد تذوب تحت حرارة يدها ويشم رائحة الفاكهة تفوح منها.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

من الأرض إلى قبطان الجنائز. من قبطان كل شيء إلى قبطان الجنائز! حوّل.

تنظر ميلي تحت الطاولة، فتجد جيريمي بانتظارها. تنزل عن كرسيِّها وتنزلق إلى جانبه.

تقول له: *مرحبًا، يا قبطان كلِّ شيء.*

فيقول لها: *من أنتِ؟*

تقول ميلي: *مَنْ تقصد؟*

فيقول وهو يشير إلى ماني: *ذلك.*

- ماني. *إنه شيء ميت.*

فينقر على ساق ماني ويقول: *كلا، إنه ليس ميتًا بل هو مصنوع من البلاستيك.*

- *إنه صديقنا، فقد أنقذ حياتي.*

يحدق الفتى إلى المانيكان، ويقول: *لا يمكن لك أن تعتبري هذا الرجل البلاستيكي صديقًا.*

- *من يقول هذا؟*

- *الكتاب المقدس.*

- *هذا غير صحيح.*

يتأملان كلاهما ماني بحيرة.

تسأل ميلي جيريمي: *هل سبق أن شاهدتَ شيئًا ميتًا؟*

- *نعم، بالطبع. طوال الوقت.*

- *مثل ماذا؟*

- *مثل... لست أدري... بعض الأشياء، ولكنني أراهن أنك*

Twitter: @ketab_n

لم تري شيئاً.

- أراهن أنني فعلت.
- مثل ماذا؟

تخرج ميلي كتاب الأشياء الميتة من حقيبة ظهرها، وتفتحه وتقدّمه له، وتقول: ككل هذه الأشياء الميتة: رامبو. رجل مسن. عنكبوت. أبي. وهناك مزيد.

- والدكِ؟
- ما الذي تظن أنه يحدث عند الموت؟

يخرج جيريمي فطيرةً محلاةً من جيبه ويمضغها بتأنٍّ، ويقول: تأتي سفينة فضائية وتأخذك بعيداً.

- إلى أين؟
- إلى كوكب آخر بالطبع.
- أي كوكب؟
- ربما بلوتو وربما المشتري أيضاً.
- من يقود السفينة الفضائية؟
- أحدهم.
- أحدهم يقود السفينة الفضائية؟
- بالطبع.
- ولكن أليس لديه كثير من الأشياء الأخرى ليقوم بها؟ كأن يساعد الناس؟
- لديه مساعدون.
- كالأقزام؟
- نوعاً ما، ولكنهم لا ينشدون أغانيَ إن كان هذا ما تفكرين به.

Twitter: @ketab_n

تقول ميلي: *كيف تعرف كل هذه المعلومات؟*

فيهز كتفيه ويقول: *أكتسب دائماً معلوماتٍ متنوعةً من هنا وهناك. إن والدتكِ مسنّة.*

- *إنها ليست والدتي. لقد أخبرتك عن والدتي.*

- *كنت أختبركِ.*

تسأله ميلي قائلة: *هل تريدني أن أعلمك كيف أنظم قصائد المشي؟*

فيقول: *نعم.*

يزحفان من تحت الطاولة، ويمشيان على طول الممر، ويذهبان إلى العربة التالية دون أن تلاحظ آغاثا وكارل ذلك.

*

يجلس كل من ميلي وجيريمي على الأرض خارج المرحاض في العربة الأخيرة.

تهمس ميلي لجيريمي: *أليس هذا مضحكًا؟ أي أن تفكّر أن شخصاً ما يدخل إلى الحمّام هناك؟*

- *أظن ذلك.*

تشير وتقول: *يوجد شخص هناك الآن.*

- *نعم.*

- *إنه يقضي حاجته الآن.*

يقول جيريمي فجأةً: *لقد استعرت هاتف أمي*، ويرفعه ليريها إياه.

فتأخذه ميلي منه وتقول: *بل سرقته.*

Twitter: @ketab_n

يقول الصبـــي: *سأعيده لها*.

تحدّق ميلي إلى الهاتف وتشعر بجيريمي يحدق إليهـــا. تـــتمنى أن تتصل بأمها أكثر من أي شيء آخر، ولكن ماذا إن لم تردّ عليهـــا؟ وماذا إن ردّت؟ ماذا إن ردّت ولكنها لم ترغب بالتحدث إلى ميلي؟ وماذا إن ردّت و لم تعد ترغب في أن تكون أمها بعد الآن؟

– هل يمكن للأم أن تتخلى عن مهمتها كأم إن أرادت ذلك؟

يستعيد جيريمي هاتفه.

فتقول ميلي: *ماذا؟*

يقول لها: *أعطني الرقم*.

فتعطيه إياه ويطبعه ويضغط على الزر الأخضر ويضع الهـــاتف على أذنها.

تأخذ ميلي نَفَساً عميقاً وتمسك بالهاتف.

وتتسارع دقّات قلبها كطبل.

يرن الهاتف مراتٍ عدة. فتقول ميلي لجيريمي: *البريد الصوتي*. ثم تقول لأمها: *إنني آسفة، يا أمي*، ولكن صوتها يصبح غريباً، ثم تجهش بالبكاء ولا تعود قادرةً على صياغة الكلمات بعد الآن لأن الصـــوت صوت أمها. تقول بصوتٍ مرتفع: *أمي*. لم تدرك أن هذين الشـــيئين سيؤلمانها إلى هذا الحد.

يأخذ جيريمي الهاتف منها، فلا تنظر إليه. وتكفّ عن البكـــاء حين يعطيها تفاحة.

تقول ميلي: *شكراً لكَ*. وتضعها على الأرض بجانبها.

فيقول جيريمي: *إنني آسف لأنني جعلتك تـــبكين، يـــا قبطـــان الجنائز*.

Twitter: @ketab_n

تقول وهي تمسح عينيْها بيدها: لا بأس، يا قبطان كل شـــيء. فلديّ خطة.

- لديّ أكوام من الخطط.
- إذًا، ما هي خطتك؟
- إنها سرية للغاية.

فتشيح ميلي بوجهها.

يسألها: ما هي خطتكِ أنتِ؟

- ستخبر الآخرين.
- لن أخبر أحدًا.
- بل ستفعل.
- لن أفعل!

تقول ميلي وهي تقترب منه: حسنًا، هل تعدني؟

فيجيب وهو يرمش بعينيه بوقار: أعدكِ.

- قلتَ لي إنك تعرف كل شيء.
- نعم، إلى حدٍّ كبير.
- هل تعرف كيف تتحدث تلك السيدة إلى جميـــع مـــن في القطار في بعض الأحيان؟
- نظام الاتصال الداخلي؟
- ربما.
- هكذا يسمّونه.
- يجب عليّ العثور عليه.
- لماذا؟

تنظر إلى حاملة علب العصير حول معصمها وتقـــول: لأقـــول شيئًا جيدًا.

Twitter: @ketab_n

- *ستورّطين نفسك في مشكلة.*

تقرّب وجهها منه، فيبدو عليه الارتباك ولا يعرف أين ينظـــر. تقول له: *إنني بحاجة لمساعدتك، يا قبطان كل شيء. هل تساعدني؟*

فيبتلع ريقه ويقول: نعم، سأساعدك، يا... يتلعـــثم ثم يقـــول: *يا قبطان الجنائز.*

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

يسأل كارل وهو يعبث بكأس شرابه قائلاً: *ما هو الحب، يا آغاثا بانثا؟*

فتسأله وهي تضغط أنفها على النافذة: *الحب؟ لا يمكنني أن أرى أيّ شيء.*

- *بالضبط. بالضبط، يا آغاثا بانثا.*
- *المكان مظلم جدًا!*
- *نعم.*

تحرِّك جبهتها صعوداً ونزولاً على زجاج النافذة، وتقول: *هذا يشعرني بالقلق!*

فيومئ كارل برأسه بحيويةٍ وعيناه مغمّضتان، ويقترب إلى الأمام بارتباك، وينقر بسبابته على الطاولة أمام آغاثا ثم يضيف قائلاً: *ولكن الأمر يستحق العناء.*

تلتفت آغاثا نحوه وتقول: *ماذا؟*

- *الأمر يستحق العناء.*
- *ما هو؟*
- *الحب.*
- *يستحق ماذا؟*
- *المكابدة وألم القلب والاضطراب.*
- *ليس لدي أي فكرة عمّا تتحدث عنه!*

يرتشف كارل البشراب، ويقول بنعومةٍ وهو يترنّح قليلاً متلعثماً بالكلمات: *هل وقعتِ في الحب من قبل، يا آغاثا بانثا؟*

- *ماذا؟ كان لديّ زوج معظم حياتي! وأنت تعرف ذلك!*

Twitter: @ketab_n

- *نعم، ولكن...* ويمسك كارل بيد آغاثا بيده التي لا تمسك الكأس وينظر في عينيْها، ويقول: *هل كنت تحبينه؟ هل أحببتِه؟*

تنتزع آغاثا يدها من يده وتتجرّع آخر كأس شرابها وتضعها على الطاولة بصخبٍ وتمسح يدها بكمّها، وتقول: *أظن ذلك.*

- *تظنين ذلك. هل أخبرتِه؟*
- *لماذا يجب عليّ ذلك؟ إنه أمر مفروغ منه.*
- مفروغ منه! مفروغ منه! يقف كارل ويصيح لبقية عربة المطعم كأنه يلقي خطاباً عامًّا بينما ينسكب الشراب من كأسه وهو يلوّح بيديه: *لقد اعتبرتِ معرفته بحبكِ له أمراً مسلّماً به!*

تنهض آغاثا وتأخذ الكأس منه وتشربها دفعةً واحدةً وتقول بتحدٍّ: *نعم!* وتتنفّس بسرعةٍ من فرط الانفعال.

يحدّقان أحدهما إلى الآخر بضع لحظات وكلاهما غير واثق مما سيفعله الآخر. وفي نهاية المطاف، يجلسان في الوقت نفسه كأنهما يقلّد أحدهما الآخر بالمرآة.

يتأمّل كارل معجباً العِرق الذي يبرز من عنقها عندما تصيح، ثم يقول في نهاية المطاف: *هل كان يحبكِ؟* ويمرر أصابعه على الشراب المسكوب على الطاولة.

تهز آغاثا كتفيها وتحدّق إلى الظلام.

يرسم كارل شكل قلبٍ على الشراب المسكوب، ويقول: *إنني واثق من أنه أحبكِ.*

Twitter: @ketab_n

- *لم يكن ذلك مهمًّا، وليس مهمًّا الآن. ولم يكن هذا موضوعنا على الإطلاق.*

فيقول كارل: *بل هذا هو الموضوع الوحيد المهم.*

تسند آغاثا رأسها إلى مسند الكرسي.

يحدّق كارل إلى وجهها المسن، وشفتيْها المتعبتيْن وعينيْها المرهقتيْن. ينهض ويلتف من حول ماني إلى الجهة الأخرى من المقصورة ويجلس بجانبها. يستطيع الآن أن يشم رائحتها العطنة، ولكنها ترفض النظر إليه. فيقترب منها ويستطيع أن يشعر ببدلتها المنشّاة على ذراعه، وبحرارة جسدها على ساقيه. أيمكن له أن يقع في حب هذه المرأة؟

أيمكن لها أن تقع في حبه؟

يأخذ نَفَساً عميقاً ويقترب منها، ويعانقها بقوة ثم يبتعد عنها، ويتركها مصعوقةً ومبهورة الأنفاس. يقف ويقول: *نحن موجودون هنا جميعًا بسبب الحب، وأنت تخجلين منه. كلنا هكذا.* ينظر إلى الزوجيْن الشابّيْن الجالسيْن في المقصورة المجاورة ثم ينظر إلى ماني طلباً للتأييد. يبدو كارل واثقاً من أن ماني يرفع له إبهامه تأييداً. فيتفوّه ببعض العبارات المخجلة عن العلاقات الحميمة.

تظل آغاثا جالسةً في المقصورة دون أن تنظر إليه، وهي متمسكة بالطاولة كأنها الشيء الوحيد الذي يساعدها على الحفاظ على توازنها. وكان هناك طفلان صغيران جالسان عند الطاولة خلفهما وعيونهما مفتوحة على وسعها.

يأتي ديريك غاضباً من آخر الممر، ودفتر الملاحظات يتدلّى من عنقه، ويقول لكارل: *سيطر على نفسك، يا سيدي.*

Twitter: @ketab_n

يخبط ديريك قدمه على الأرض، ويقترب من كارل ويحاول أن يبعده بيديه، ويقول وهو يبصق أثناء الكلام: *أنت... أنت... كنت أعرف أنك ستثير المتاعب*. ثم يكتب ملاحظةً على دفتر ملاحظاته ويمزّقها ويرميها في وجه كارل، فتتطاير في الهواء كأنها تقود فرقة أوركسترا. يقول ديريك: *اخرجْ! أنت مطرود من عربة المطعم*.

فيبتسم كارل ابتسامةً عريضةً ويقول: *رائع. هذا رائع جدًا!*

تنهض آغاثا التي ظلت صامتةً طوال الوقت، وتصيح قائلة: *أظن أن الساعة تشير إلى التاسعة وثلاث وعشرين دقيقةً مساءً، ولكنني لست واثقة تمامًا!* وتدفع كارل وتمضي مبتعدة.

يقول كارل وهو يضع ماني على كتفه بالطريقة نفسها التي يضع بها برانسون سبايك جهاز الستيريو: *آغاثا*. ويتبعها خارجاً من العربة، ولكنه قبل ذلك، يلتفت ليواجه جمهوره ويقول: *شكرًا لكم*. وينحني.

يقول الرجل المسن لزوجته: *ماذا؟*

*

يمضي كارل ليلةً طويلةً ومملة. فآغاثا تطرده من المقصورة بعد أن يشعر كلاهما أنه ثمل وصاخب، وهذا ما يجده كارل أمراً ممتعاً، فهو يشعره أنه إيطالي أو أجنبي من جنسيةٍ ما. يرفع يديه في الهواء بانفعال، ويستخدم لغةً دراميةً من الأفلام، ويشعر بوجهه ينحني ويتحرّك بطرائق لم يعهدها من قبلُ قط.

ولكن آغاثا دفعته ودخلت قبله إلى المقصورة، فصعق من الموقف. وعندما وجد الجميع يحدّقون إليه، تابع السير خلفها لأن هذا

Twitter: @ketab_n

هو ما يُفترض به عمله، أليس كذلك؟ والآن يصيح قائلاً: *آغاثا!* بهدف استمالة الجمهور الذي يصغي إلى مسرحيته الدرامية (مسرحيته!) ويقرع على باب المقصورة، ولكن يسود صمت كبير وفارغ كالصحراء والسماء. فينظر إلى يديه ويرفعهما ويفكر في نفسه: *أيها الوغد الرائع!*

إنه يدرك أن آغاثا لا تريده، ولكن هذا لا يؤذيه حيث ينبغي عليه أن يفعل. وفي الواقع، هو لا يؤذيه على الإطلاق. هذه هي الحياة الواقعية، وهي مليئة بأحزانٍ تفطر القلب. وها قد انفطر قلبه! على يد امرأةٍ حقيقية! غازلها كما يفعل أبطال الأفلام، أو ربما كما يفعل الناس العاديون وحسب، فحتى هو لا يعرف، واحتضنها بين يديه تحت أنظار الجميع. وقد نظروا إليه كما ينظرون إلى شخصٍ يقوم بالأشياء، شخص قد يكون، أو لا يكون، موضع شك في روحه. لم ينظر إليه أحد قط من قبل بهذا الشكل. يا للبهجة التي شعر بها لتصرّفه العفوي عندما عانق تلك المرأة! والجميع يراقبونه!

وهكذا، فإنه يجلس الآن خارج المقصورة ويتحدث بلا انقطاع. يخبرها كل ما يريدها أن تعرفه عنه؛ مقاس حذائه ومعلّمته المفضّلة في المدرسة الابتدائية، وابنه، والمرة التي غازلت فيها إيفي شخصاً آخر، ورهابه من الأشياء الطائرة، ولماذا لا يفتقد أصابعه، ودار الرعاية وهربه منها. كل شيء. وبينما هو يغفو، يهمس من خلال ثقب الباب: *هذا كل شيء. نعم، هذا كل ما لديّ.*

يداعب النوم جفونه وهو جالس وظهره مسنود إلى الباب، وساقاه ممدودتان أمامه في الممر، ولكنه يتذكّر شيئاً آخر فيقول: *انتظري.* ويضع شفتيْه على الباب ويقول: *أظن أنني أحبك، ولكن لا*

Twitter: @ketab_n

يمكن لي أن أحبك كما أحببت إيفي. ومع ذلك، فلا يصدر أي رد فعل من آغاثا. لا شيء على الإطلاق. يرهف السمع، ولكن لا شيء. يظن أنه يستطيع أن يسمعها تبكي، ولكنه لا يستطيع أن يكون واثقاً من ذلك. يستغرق في النوم في وضعٍ غير مريح وإحدى ذراعيه تحيط بمامي، ويحلم بفراغٍ وسوادٍ ولا يشعر بأيٍّ شيء.

شيء آخر يعرفه كارل (قليلاً فقط) عن البكاء

يستطيع كارل أن يعد على أصابع اليد الواحدة الناس الذين بكوا أمامه: إيفي وأمه وخاله الذي بكى عندما توفيت أمه. ولم يكن بكاء خاله من ذلك النوع الاستسلامي الذي يعرفه. فبدا بكاؤه أشبه بنشاطٍ مفتعلٍ حيث تنزل كل دمعة منه بعنف، ما جعل كارل يعتقد أنه يبكي بأسلوبٍ غير صحيح.

الجميع يعرفون أن كل شخص له ملامح وجهٍ تميّزه عند البكاء، ولكنهم يعرفون أنه من بين الوجوه التي لا يراها أحد. ومع ذلك، فالناس يواصلون الحديث بعضهم مع بعضٍ بوجود ذلك الحائط الشفّاف الذي يفصل بينهم ولسان حالهم يقول: *إنني لا أبكي... لا أبكي.. لا أبكي، ولكن لأنني أبكي فعلاً، فأنا أعرف أنك تبكي لأننا جميعًا بشرٌ متشابهون.*

لقد رأى وجه إيفي الباكي ووجهها المرعوب ووجهها الميت. فهل يدل هذا على الحب إذاً؟ تُرى متى يتوقف المرء عن التظاهر؟ متى يصبح بوسعه أن يقول لشخص آخر: *إنني أبكي وأخاف وأموت؟*

Twitter: @ketab_n

7:36: تستيقظ آغاثا وتنظر إلى ساعتها. أهذا هو الوقت؟ الوقت الحقيقي؟ أم توقيت القطار؟ تبدأ بإجراء اختبارات سنها رغم ذلك.

7:38: تحاول أن تستخدم النافذة مرآةً لتحدّق إلى وجهها دون أن تصدّق، ولكن عينيْها تظلان تركزان خلف الزجاج على المناظر الطبيعية التي يمر بها القطار. ترى زرقة الليل تفسح المجال شيئاً فشيئاً لدفء ضوء الصباح. لم يعد الوقت ليلاً ولكنه لم يصبح نهاراً بعد. ويبدو الجو مغطساً بالعسل. تقول آغاثا في سرِّها: *هل يحصل هذا كل يوم؟*

7:40: لا تستطيع الكفّ عن النظر إلى الضوء العسلي. وتقول في سرِّها: *ما هو الشيء المهم الذي أقوم به كل صباح بحيث أفوِّت على نفسي هذا المنظر؟*

7:42: تستطيع أن تشعر بجسد كارل من خلال الجدار، وأن تسمعه يشخر في الممر. لقد استلقت في سريرها الليلة الماضية وهي تصغي إليه من خلال الباب، ولكنها حاولت أن تتجنّب سماعه، ورفعت يديْها لتحجب أذنيْها ولكن بتردّد. فكّرت به وهو جالس بجانبها، ويده على رأس ميلي، والطريقة التي يمسك بها فناجين القهوة، والطريقة التي يجلس بها واضعاً ساقاً على ساق دائماً وهو يهز قدمه العلوية. وفكرت به وهو يلمسها وهي تلمسه ولم تجد الفكرة بغيضة.

متى غازلها شخص آخر مرة؟

فكّرت بسؤاله الذي طرحه عليها عن حبها لزوجها، ولكنها لم تعد تظن أنها تعرف الإجابة.

Twitter: @ketab_n

7:53: تهمس في سرِّها وهي تضع يدها على حنجرتها: *إنهم يقنعونني بذلك.*

7:54: تقول: *كارل ينظر إليّ بطريقة لم يفعلها رون قط من قبل.*

7:55: تستلقي في السرير وهي تشعر أنها لا تستحق أي شيء جيّد.

7:57: تفتح الباب. فتجد كارل واقفاً هناك ويده مرفوعة في الهواء، كأنه على وشك أن يدقّ الباب.

يقول: *آغاثا.*

فتقول: *كارل.*

يقول كارل: *كنتُ...* فتقول آغاثا في اللحظة نفسها: *هل أنتَ....*

يهز كل منهما رأسه بخجل. فيقول كارل: *تكلمي أنتِ.*

فتقول آغاثا: *بل أنتَ.*

وفجأة، يأتي صوت من الإذاعة يقول: *ستموتون جميعاً، ولا بأس بذلك.*

ينظر كل من كارل وآغاثا أحدهما إلى الآخر ويقولان معاً: *ميلي.*

وعندئذ، يأتي ديريك نحوهما ماشياً من آخر الممر. يشير نحو كارل ويقول: *أنتَ.* ثم يشير نحو آغاثا ويقول: *وأنتِ.* ويقف بمواجهتها ووجهه بقرب وجهها. فتستطيع أن تشم رائحة نَفَسه: معجون أسنان وقهوة. يقول ديريك: *إنكما واقعان في مشكلةٍ كبيرة،* ويقرب وجهه من وجه كارل ثم ينظر إلى المانيكان ويقول: *وأنتَ أيضاً.*

Twitter: @ketab_n

8:06: تجلس آغاثا على كرسيٍّ في مكتب ديريك، فتجد أن الكرسي مشابه للكراسي التي تملكها في بيتها، فهو بني اللون ويصدر صوت صرير كلّما تحرّكت عليه. تتأمل ديريك يذرع الغرفة من أولها إلى آخرها، ولكنها غرفة ضيقة المساحة، لذا لا يسعه أن يمشي سوى خطوتين، ثم يتوقف ويلتفت، ويعود مرة أخرى. يتنفس بصعوبة من خلال أنفه بينما يترجّح دفتر الملاحظات حول عنقه وهو يمشي.

8:07: تحاول آغاثا التفكير باسمٍ مناسبٍ للكرسيِّ وهي جالسة ويداها مطويّتان على حضنها، ويجلس كارل مقابلها. يضع يده بتردّد على يديها، فتبعده عنها بقسوة. يفغر فمه، ولكنها لا تنظر إليه. تسميه كرسيّ الكراهية.

يقول ديريك: *شتائم*... ثم يمشي خطوتيْن واضعاً يديْه على شكل قبضتيْن على جنبيْه، ويلتفت ثم يقول: *مغازلات*، ثم يمشي خطوتين ويلتفت. تبدو خطواته سريعةً ومفعمةً بالتصميم، ولكنها محدودة كأنه يحاول الركوب في حافلة وهي تنعطف حول الزاوية، ولكنه لا يريد أن يدل مظهره على أنه في عجلةٍ من أمره. يضيف قائلاً: *لعب بدمى غير لائقة*. خطوات ثم التفاتة أخرى. يومئ نحو الرجل البلاستيكي الذي يدعوه كارل ماني ثم يواجه الجميع وذراعاه متشابكتان ويختم كلامه قائلاً: *هذا قطار شركة المحيط الهادئ الهندية وليس برنامجاً لتلفزيون الواقع. هل تفهمون؟*

8:08: يقول كارل: *هدئ من روعك يا رجل*. فيتوقف ديريك في وسط خطوته ويغمض عينيْه ويصيح قائلاً: *أنا هادئ*. ويتنفّس بعمقٍ ويدلّك صدغيْه. فيقول كارل: *نحن نعيش حياتنا وحسب*.

Twitter: @ketab_n

ينبغي أن تجرب هذا. فيقول ديريك: *هذا بيتي أنا. أتتذكّر؟* ويقبض ديريك على طرف المكتب بكلتا يديه.

8:08:46: يمر جزء من الثانية تشعر فيه آغاثا بشيء ما حيال ديريك عندما تدرك أنه مجروح الشعور، ولكن هذا لا يدوم وقتاً طويلاً.

8:09: يجلس ديريك على المكتب واضعاً ساقاً على ساق، ويقول: *هل هناك أي شيء آخر تريدان المشاركة فيه؟* تهز آغاثا رأسها، وتقول: *كلا*. وتظن أن كارل يشاطرها الرأي نفسه، ومع ذلك فهي لا تنظر إليه.

يخرج ديريك هاتفاً من جيبه. تستطيع آغاثا أن ترى خيطاً رقيقاً من العرق على شفته العليا، فتتجهّم ملامحها. إن قطرات العرق تلك تبوح بشيء عن شخصيته، وهذا ما تجد فيه آغاثا ضعفاً. ويصيبها الارتباك لرؤية خيانة جسده له، وعدم قدرته على التحكُّم في عواطفه ودرجة حرارة جسده. كرسيّ الاشمئزاز!

يقرب ديريك الهاتف منهما. فيتقدم كلٌّ من آغاثا وكارل إلى الأمام لينظرا إلى الشاشة ويشاهدا صورة الشاب الثمل الذي كان يرتدي كنزة قطنية في كالغورلي. وتظهر على ذراع الشاب عبارة مكتوبة بوضوح وهي: كارل الطابع على الآلة الكاتبة.

يفغر كارل فمه دهشةً.

فتضربه آغاثا على ذراعه، وتقول: يا *طابع الآلة الكاتبة!*

يفرك كارل ذراعه ولا ينظر إليها.

يقول ديريك: *لمعلوماتكم فإن هذا الشاب هو ابن عمدة كالغورلي*. ويرمقهما بنظرة حقد شديد كأنهما من أكلة لحوم البشر،

Twitter: @ketab_n

فيُفاجأ كارل. يقول ديريك: *إن هذا العمدة رجل مهم جداً*. فتضرب آغاثا كارل على ذراعه مرة أخرى. ويندهش كارل أكثر من قبل. يضيف ديريك: *وبالمناسبة، فقد قارنوا الاسم الذي وجدوه على ذراع الشاب بالاسم المعروف لهم من دار الرعاية والسوق التجارية القريبة*. ويذكر ديريك اسم كارل ولقبه وهو يرسم علامات اقتباس في الهواء: *كارل الطابع على الآلة الكاتبة*. يقول كارل: *إنني واثق من أنني لست الشخص الوحيد باسم كارل والذي يعمل بالطباعة على الآلة الكاتبة*. فيقول ديريك: *أما أنا، فواثق من أن الشخص المقصود هو أنت*. يقول كارل: *حسناً، ألا تشعر أنك ستمزّق نفسك من شدّة الفرح؟* فيقول ديريك: *بالطبع لا*.

8:10: يريهم ديريك صورةً على هاتفه عليها وجه كارل كُتِبت تحتها عبارة: *مطلوب*، ويقول: *بالمناسبة، يوجد هذه أيضاً*. يبتسم كارل ابتسامةً عريضةً. فيقول ديريك: *إنك تظن أن هذا طريف، أليس كذلك؟* يقول كارل: *كلا*. ويكف عن الابتسام. فيقول ديريك: *سأقولها لكما مرة أخرى. هل هناك أي شيء تريدان المشاركة فيه؟ إن تعاونتما معنا الآن، فلن تكون العقوبة قاسية*.

8:10:35: بينما يهز كارل رأسه، يتملّك آغاثا شعور غريب ويتزايد في أعماقها شيئاً فشيئاً. لقد بدأ هذا الشعور ينمو في داخلها منذ وقت طويل، ولكنها تدرك الآن أن عليها أن تكبحه وتسيطر عليه قبل فوات الأوان، فهي لا تستطيع أن تخدع مشاعرها ولا تريد للعرق أن يتشكّل على شفتها العليا، لذا فإنها تقول: *هذا الرجل اختطفني*.

8:11: يلتفت كارل لينظر إلى آغاثا، ولكنها لا تنظر إليه بل تتأمل ركبتيها كأنهما شيء مثير للاهتمام، وتجدهما يثيران اهتمامها

Twitter: @ketab_n

قليلاً. تفكّر في نفسها: *أهذه تجعيدة جديدة؟* وتحك ركبتها اليمنى من خلال الجوارب. وفي هذه اللحظة، ينفتح الباب بقوة وتدخل ميليسا ممسكةً بيد ميلي. فيقول كارل: *ميلي. الحمد لله.* وتفكر آغاثا في نفسها: *ميلي، الحمد لله*، ولكنها لا تقول شيئاً. تقول ميليسا: *إنها بخير، كانت مع ابني.* تجلس ميلي في حضن كارل. وتلقي آغاثا نظرةً خاطفةً نحو ركبتيها المثيرتين للاهتمام مرةً أخرى. تقول ميليسا من مدخل الباب: *ارفق بها، يا ديريك، فهي مجرّد طفلة. تذكر هذا.* ينظر إليها ديريك وهي تغلق الباب خلفها. وبعد بضع ثوان، ينظر إلى ميلي ويقول: *الطفلة الشيطانية!* فتسند ميلي ظهرها إلى صدر كارل.

8:12: يقرأ ديريك من شاشة الهاتف: *مطلوب بتهمة الاعتداء والسرقة.* تقول آغاثا: *سرقة؟* فيقول كارل: *حسناً؟* كأنه من الممكن مجادلة هذه النقطة. يضيف ديريك: *ميول غريبة مُحتمَلة.* فتقول آغاثا: *ماذا؟* ويستدرك كارل قائلاً: *هناك سوء فهم. إنها قصة مضحكة بالفعل. دعونا نتسلى بها يوماً ما.*

يعيد ديريك هاتفه إلى جيبه. فيقول كارل: *والآن، جريمة خطف. إنه المسمار الأخير في النعش، ألن تقول هذا؟ مَنْ يضحكِ الآن؟* تقول ميلي: *ما الذي أفعله أنا؟ أخطف؟* فيقول كارل: *لا أحد يخطف أحداً.* تقول آغاثا: *باستثنائك أنت.* فيقول كارل: *أعرف أنك غاضبة مني، يا آغاثا، ولكن...* فتصده آغاثا قائلةً: *رجاءً، كفّ عن رفع الكلفة، يا سيدي!* وترفع يدها في وجهه. يقول كارل: *هذا الرجل الذي تضع صورته على هاتفك هناك، لقد ضربته آغاثا على رأسه بساق بلاستيكية. أقول لك هذا للعلم بالشيء فحسب.*

Twitter: @ketab_n

8:14: تقول ميلي: *أنت ستذهب إلى الجحيم*. فيقول ديريك: *ما الذي قلتِه؟* تشرح له ميلي قائلةً: *قال أبي إن مفتشي ركن السيارات يذهبون إلى الجحيم*. فتعلق آغاثا: *إن والدكِ ميت*. تقول ميلي: *أعرف هذا*.

8:15: يقول ديريك بهدوء وهو يشير إلى آغاثا: *أنت! من تصرخين! لا تكذبي عليّ الآن. إنْ كذبت فسوف تذهبين إلى المكان الذي سيذهب إليه، وهو ليس ذاهباً إلى أي مكانٍ لطيف*. فتهيئ آغاثا نفسها لما سيأتي. يسألها وهو يشير إلى كارل: *هل تعرّضت للخطف على يد هذا الرجل أم لا؟*

8:15:28: تشعر آغاثا أن الطفلة توجّه أنظارها إليها. تنظر إلى ميلي التي تبادلها النظر بهدوء. إنها طفلة صغيرة. تتذكر آغاثا نفسها فجأة وهي جالسة إلى طاولة العشاء مع زوجها. قالت له يومئذ: *لا أريد أطفالاً*. تتذكّر الآن وجهه، وجدية ملامحه، والطريقة التي تغيرت بها لسماع كلماتها، وندمها، وذلك الشعور التي تملك جسدها في وقت لاحق.

8:15:52: كرسيّ الخداع.

8:16: تقول وهي تنظر مباشرة إلى ديريك: *نعم، لقد تعرّضت للخطف*.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

تقول ميلي بعد حبسها ديريك مع كارل في الغرفة وأخذ آغاثا:
لا أظن أننا خفيون إلى هذا الحد.

يقول كارل: *كلا، لسنا كذلك.*

- *ما الذي سيحدث؟*

يقبّل كارل ميلي على جبينها، ويقول: *لا أعرف، يا ميلي.*

تقول: *لماذا غضبت آغاثا منك؟*

- *إنها امرأة.*
- *هل أنا امرأة؟*
- *نعم.*
- *ولكنني لستُ غاضبةً منكَ.*
- *شكراً لكِ.*
- *هل أنت غاضب مني؟*
- *بالطبع لا.*
- *إن الغلطة غلطتي أنا.*
- *كلا.*
- *هل سنعثر على أمي.*
- *بالتأكيد.*
- *هل تعني هذا؟*

وقبل أن يتسنّى لكارل الإجابة على سؤالها، ينفتح الباب ويمد جيريمي رأسه إلى الداخل، وينادي هامساً: يا *قبطان الجنائز*. يتفقّد المدخل خلفه ثم يتسلّل إلى الغرفة. يقف ويداه على خصره، ويقول لكارل: *مرحبًا، يا سيدي*. ويصافحه، ثم يقول: *أنا قبطان كل شيء.*

Twitter: @ketab_n

وينظر إلى ميلي ويقول: *قبطان كل شيء هنا*. تلاحظ أنه رسم قناعاً حول عينيْه بقلم التخطيط الأسود، وشارباً فوق شفته العليا، وأنه يربط أحد مناديل المائدة حول عنقه.

تقول ميلي: *ما الذي تفعله؟*

- *إنكما واقعان في مشكلة، لذا أتيت لإنقاذكما.*

يقول كارل: *من هذا الصبي، يا ميلي؟*

فيقول جيريمي: *أنا قبطان كل شيء، يا سيدي. قلت لك. إنهم يتحدثون عنك.*

يقول كارل: *من؟*

- *كل من في القطار. إن الشرطة قادمة لتلقي القبض عليك في محطة كيرك.*

يتبادل كلٌّ من ميلي وكارل النظرات.

يقول جيريمي: *لقد قال ديريك، سأتصل بالشرطة اللعينة*. ويقفز بضع خطوات إلى اليسار. ثم يقول: *أما أمي، فقد قالت، ينبغي أن تنتظر، يا ديريك*. ثم يقفز إلى الخلف ويضيف قائلاً: *أما ديريك، فقد قال، سأفعل هذا، يا ميليسا، لا تحاولي أن تمنعيني. فحاولت أن تمنعه، ولكنه فعل هذا على أي حال، فشتمته أمي. أما أنا، فقد كنت متخفياً، لذا لم يلاحظا وجودي، فسرقت مفتاح هذه الغرفة. ولو لاحظا وجودي، لاستخدمتُ حركات الكاراتيه التي أعرفها ونفذت بجلدي*. وينفّذ ركلةً في الهواء ويرفع يديه كما يفعل اللاعبون، ويختتم كلامه قائلاً: *فأنا قادر على القيام بكل الأشياء من هذا النوع.*

تقول ميلي: *وما هذا الذي على وجهك؟*

Twitter: @ketab_n

فيتحسّسه بأطراف أصابعه ويبتسم ابتسامةً عريضةً ويقول: *هذا تنكُّري.*

يقول كارل: *إنني معجب بروحك، أيها الشاب، وكذلك بشاربك.*

ينظر جيريمي إليهما بملامح جادةٍ ويقول: *يجب عليكما أن تغادرا في الحال.*

يقول كارل: *هل أنت جاد؟*

- *لم أكن أكثر جدية من قبلُ، يا سيدي.*

يخرج جيريمي أولاً ثم ينظر خارج الباب يميناً ويساراً ويلتفت ليلوّح لهما. يخرج كارل بعده واضعاً ماني على خصره بحيث يستند ذقن ماني إلى كتف كارل. وبعد ذلك، تخرج ميلي. فيحدق إليها ماني من فوق كتف كارل وهم يمضون في طريقهم عبر العربات. تقول له بلا صوت: *لا بأس.* تنظر إلى شعر ماني البلاستيكي وتعود بذهنها إلى الماضي. فتتذكّر أنها شاهدت شعر والدها في الماضي وهما جالسان معاً على الشاطئ. فقالت له ميلي: *إن شعرك يشبه الأناناس.* وتتذكّر شعره المتناثر على أرضية محل الحلاقة وشعره في الصباح. شعره، شعره، شعره. وينقبض قلبها ثم يعود ذهنها إلى الزمن الحاضر. يمرون بالطفل الرضيع والرجل الغاضب والجدة الهادئة والطفلة التي لها أم. تمسك ميلي حقيبة ظهرها وتشعر بمنديلها يحيط بعنقها دون حراك كأنه جلد حيوانٍ ميت.

يرشدهما جيريمي إلى باب ينفتح إلى الخارج في آخر القطار. والآن، يعيد هبوب الريح منديل ميلي إلى الحياة من جديد. فيتقافز من خلفها كأنه يحاول أن يلقي نظرة على المشهد، ويشعر

Twitter: @ketab_n

بالانفعال لخروجه إلى الريح والهواء المنعش. ينظرون جميعاً إلى الصحراء متأمّلين. لم ترَ ميلي في حياتها هذه المساحة الشاسعة من السماء.

تقول ميلي: *ماذا عن آغاثا؟*

فيقول كارل: *من يأبه لذلك؟*

تقول ميلي: *هذا ليس لطيفاً.*

- *هي ليست لطيفة.*

يضع جيريمي قوارير ماء وألواح شوكولا في حقيبة ميلي. فيشير وهو ينظر إلى ميلي: *اذهبا من هذا الاتجاه.*

يقول كارل وهو يرفع ماني: *هذا مدهش. أترى، يا ماني؟ هذه أستراليا.*

يقول جيريمي: *وهذه خريطة. لقد ساعدتني أمي في رسمها عندما أردت أن أري زملائي في المدرسة ما فعلته في العطلة. وهذه بوصلة أيضاً. يوجد نُزُلٌ هناك يدعى النزل الأسترالي الكبير.* ويشير إلى موقع على الخريطة ويقول: *يمكنكما أن تمضيا الليلة فيه.* ينظر خلفه ثم إلى ميلي ويقول: *إنني أقيم فيه مع أمي عندما نذهب لزيارة أبي. اتّبعا الطريق المتجه إلى الجنوب ولن تضيّعاه.*

تقول ميلي: *من أين عرفت كل هذا؟*

- *أنا قبطان كل شيء.*

فتقول ميلي وهي تشعر بمنديلها يرفرف خلفها: *هل أنت واثق من هذا؟*

يقف جيريمي وينظر إلى وجه ميلي بتمعُّنٍ ويرتجف شاربه المستعار قليلاً، ثم يقول: نعم، يا قبطان الجنازة.

Twitter: @ketab_n

يقول كارل: *أشعر أنني في فيلم سينمائي؟ هل سيعدّون فيلماً عن حياتي، يا ميلي؟ هل تظنين أن الممثل بول نيومان سيؤدي دوري؟ أم ذلك الذي أدّى دور برانسون سبايك؟*

تنظر ميلي من حافة القطار وترى الأرض تتحرك من تحتهم بسرعة هائلة. تقول: كيف سننزل من القطار؟

فيقول كارل: *صحيح، يا قبطان كل شيء. كيف سننزل من القطار؟*

يهمّ جيريمي أن يقول شيئاً ما، ولكن كارل يقاطعه ويقول: *لا تقلقي، يا ميلي. سنقفز أنا وماني ثم نركض بجانب القطار ثم تقفزين أنتِ. وعندئذ، سأمسك بكِ، أعدكِ بهذا.*

فيقول جيريمي: *ولكن، يا سيدي، هناك...*

يضع كارل يده على فم جيريمي ويقول: *لقد فعلت ما فيه الكفاية من أجلنا، يا قبطان كل شيء.* ويأخذ نَفَساً عميقاً. ويعلق ماني تحت حمالاته ليصبح خالي اليدين، ويقول لميلي: *أنت تثقين بي، يا ميلي، أليس كذلك؟* فلا تجيب، لذا يعتبر كارل ذلك نوعاً من الموافقة الضمنية، ثم يقول: *سأفعل هذا. فأنا شخص رائع جداً.* ويقبض على السياج مستعداً للقفز. *سأفعل هذا... سأفعل هذا...*

وفي هذه اللحظة، يبدأ القطار بالتوقف شيئاً فشيئاً.

ينزع كارل يديه عن السياج ويلتفت نحو جيريمي.

يقول جيريمي: *هذه محطة روالد.* وينظر إلى كارل ويقول: *يجب علينا أن نأخذ البريد من هنا. سيتوقف القطار بضع دقائق. آسف، يا سيدي.*

Twitter: @ketab_n

يتنهّد كارل ويتمتم لنفسه: هناك سلّم في مؤخرة القطار. ينزل كارل عليه ويقوم بقفزة عن الدرجة الأخيرة، ويجفل عندما يصل إلى الأرض. فتهم ميلي بالنزول وعندما تصل إلى منتصف السلّم، تتوقّف لحظة. ينظر جيريمي إليها من الأعلى، فتعاود الصعود.

تمسكه ميلي من كتفيه وتطبع قبلةً على خده. فيتحوّل وجهه إلى لون أحمر كالدم، أو لون شعرها، أو لون التراب في هذا المكان. تقول له: *من فضلكَ أخبرْ آغاثا عن مكاننا*، وتعاود نزول السلم. يقف كل من كارل وميلي على سكة القطار معاً. فتحيي ميلي جيريمي وتقول له: *شكراً لك، يا قبطان كل شيء*.

فيقول بابتسامةٍ عريضةٍ على وجهه: *حظًا سعيدًا*.

تقف ميلي على السكة إلى أن يبدأ القطار بالتحرك من جديد وينطلق مبتعداً ببطء شيئاً فشيئاً. يصيح جيريمي قائلاً: *لن أنساكِ أبدًا، يا قبطان الجنازة*. تراقب ميلي القطار إلى أن يختفي. ولا تعود تسمع أي صوت سوى أزيز حرارة الشمس على بشرتها.

يضم كارل ماني إلى صدره ويقول: *انظر إلى كل هذا*. ويمرّر يده المتحرّرة عبر الهواء ويقول: *هذه هي أستراليا. أتعرف هذا؟ إنها أستراليا الحقيقية*.

تمشي ميلي بالاتجاه الذي أشار إليه جيريمي، وتقول: *هيا، يا كارل*.

يقول كارل: *انظري إلى هذه السماء. انظري إلى هذا التراب*. يركل التربة بقدمه، فتتطاير ذراتها في كل مكان. *انظري إلى هذه الشُجَيْرات. ربما توجد جثث مدفونة في كل إنشٍ مربعٍ من هذا المكان ولكننا لا نعرف. ربما قام البريطانيون بتفجير قنابل تجريبية*

Twitter: @ketab_n

هناك ولكن لا أحد يعرف. قنابل، يا ميلي! في ديارى، لا يمكن لي حتى أن أحك رأسي دون أن يتساءل الجيران عن أي مرضٍ جلديٍّ أعاني منه، ولكن هنا لا يعرف أحد ما أفعل. يرفع ماني فوق رأسه ويقول: *هل سمعت هذا، أيها الكون؟* يتوقّف ويأخذ نَفَساً عميقاً ويصيح بأعلى صوته: *لا أحد يعرف ما أفعله هنا!*

أما ميلي، فهي لا تصغي إليه. وكل ما تسمعه هو صوت وقع أقدامها على الأرض وهي تمشي. فكل خطوة تذكّرها بشيء واحد لا ثاني له: *أمها وأبيها*.

يتلكّأ كارل بضع أمتار خلفها وهو يحدق إلى السماء ويدور حول نفسه كما تفعل ميلي عندما تريد أن تصيب نفسها بالدوار. تشعر بالانزعاج مما يفعله لأنهما لا يملكان متّسعاً من الوقت لهذه التصرّفات. فتناديه من خلفها قائلةً: *هيّا، يجب علينا أن نسرع.*

*

Twitter: @ketab_n

4

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

10:37: تساعد ميليسا آغاثا على النزول من القطار في محطة كيرك، وتقول: *انتظري هنا، يا آغاثا. سيمر القطار المتّجه إلى بيرث في غضون بضع ساعات. سيعرفون كيف يعتنون بك. تبتسم لها مطمئنة وتضيف: تذكري أن تترجّلي من القطار في كالغورلي. توجد محطة حافلات هناك. استقلّي حافلةً منها وستأخذك إلى الساحل الجنوبي. أعدك بأنك ستصلين إلى بيتك أسرع مما تظنين. اعتني بنفسك.*

تومئ آغاثا برأسها وتمشي في طريقها، وتقول وهي تقرّب حقيبتها من صدرها: *البيت. نعم.*

10:39: يقترب رجل منها، ويقول: *أرجو المعذرة؟ هل تعرفين الوقت؟*

تضع آغاثا يدها على ساعتها، وتقول: *هل أعرفه؟ هل أعرف الوقت؟ كلا، إنني لا أعرفه، ولكنني أتمنى أن أعرف من يتحكّم فيه! لا أعرف الوقت! فأنا أتّبع توقيت آغاثا الرسمي الآن!*

يقول: *يا للهول، يا سيدة. إنني آسف لأنني سألتك.*

تقول آغاثا: *نعم، إنك كذلك.*

10:41: لا يزال القطار متوقّفاً. يتجوّل الركاب في الأنحاء بانتظار أن يُطلب منهم الركوب مرةً أخرى. تمر امرأة بجانب آغاثا. تبدو كإحدى أولئك النساء اللواتي يعطين أنفسهن أهميةً أكبر من اللازم، بشعرها المصفّف على هيئة كعكةٍ في قمة رأسها. تقول آغاثا وهي تقترب إلى الأمام: *رأسك يشبه زينة الكعك!* يمر بها رجل يرتدي كنزةً زهرية، فتقول له بصوتٍ أعلى قليلاً: *كنزة زهرية جدًا،*

Twitter: @ketab_n

ثم ترفع صوتها أكثر وتقول: *خطوات واسعة!* تتمسك بالمقعد بكلتا يديها، وتصيح قائلة: *لا ينبغي أن تفعل الغيوم هذا!* ثم تقف وتقول: *ضجة غير معقولة! قصة شعر قاتلٍ متسلسل! نظارة شمسية كبيرة! عدد كبير من الأطفال! عينان متلاصقتان!*

يركض نحوها صبي صغير ويقاطعها. تلاحظ أن له شارباً أسود مرسوماً على وجهه. يقول لها: *لقد أوقعت هذا، يا آنسة.* ويعطيها كتاب سنّها، ثم يركض مبتعداً ومنديله المربوط حول عنقه يرفرف في الريح. تراقبه وهو يجري، كأنه يركل الهواء بقدميه ثم يختفي داخل القطار.

تصيح بتردّد: *شارب مزيف.* تفتح الكتاب وتجول ببصرها على كل ما كتبته حول مقاساتها الدقيقة لمرونة الخدين، وترهّل الذراعين، والمسافة بين الصدر والخصر، وعدد المرات التي أوشكت فيها أن تغازل كارل.

تقول: *ماذا؟*

يتابع الكتاب بخطّ يدٍ لا تميّزه: *خط الشخير البياني، لحظات الابتسام، عدد المرات التي أراد بها كارل مغازلتي، وجوه آغاثا المفضّلة لديّ، الحافلات التي حاولتُ سرقتها.* ثم تقلب الصفحة وتقرأ: *رجال سكارى ضربتهم.* فتنفجر ضاحكةً وتواصل تقليب الصفحات: *عدد الإهانات التي تفوّهت بها، مخلوقات ميتة شاهدتها، مسافات قطعتها بالحافلة أو بالقطار أو مشياً على القدمين، أناس أحببتهم.*

ولكن بعد العبارة الأخيرة، هناك علامة استفهام كبيرة.

تجد خارطةً ملصقةً على الصفحة التالية كتب أحدهم عليها: *مرحبًا، أنتِ هنا.* ورسم رمزاً دينياً أحمر وسيارة، ثم كتب: *وهما هنا.*

Twitter: @ketab_n

ورسم رمزاً آخر وإلى جانبه مبنى اسمه: *النزل الأسترالي الكبير*. وهناك سهم أسود يصل بين كل من الرمزين وعبارة: *المخلص: قبطان كل شيء*. يرتجف الكتاب في يد آغاثا.

10:54: تقف أمام المرآة في مرحاض محطة القطارات، وتقول: *إنهم لن يكبروا في السن، ولكن نحن من بقينا سنكبر*، وتقرص خدَّيها.

تصيح فجأةً: *ذراعان مليئتان بالكلف!* وتفك أزرار سترتها وتلقيها على الأرض، وتصيح: *يدا رجل!* وترفع يدَيها أمام وجهها وتركل حذاءها بقدميها على الجدار وتصيح: *قدمان سمينتان!* وتفك أزرار بلوزتها وتلقيها على الأرض وتقول: *سرّة مرتفعة!* وفي نهاية المطاف، تقف هناك مرتدية ملابسها الداخلية وجوربيها بينما تظل نظارتها بتصميمٍ على وجهها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة وتتنفس بمشقة جراء مجهود النظر إلى نفسها بهذا الشكل. تقول: *منحران يتوسعان عند الكلام!* تشبك يدَيها أمامها في محاولةٍ منها لإكساب بعض الهيبة والاحترام لموقف يفتقر لكلٍّ منهما. وتقول: *امرأة عجوز!* وتنزع نظارتها وتضعها على المغسلة.

تضع مرهماً على وجهها وعلى خدَّيها وتقترب من المرآة، وتقول وهي تنظر إلى عينيها: *طاعنة في السن!*

يدور بخاطرها الآن أن وجه رون لن تظهر عليه آثار السنين بعد الآن. ولن يتسنّى لها أبداً أن ترى ما سيبدو عليه شكله وهو شيخ طاعن في السن. لا تجد الأمر من الإنصاف في شيء. فلماذا تضطر هي أن تري العالم شكلها وهي مسنّة وهو فتيّ؟ كيف يتسنّى له أن ينجو بجلده هكذا؟

Twitter: @ketab_n

تشعر أنها تكره نفسها وتكره جسدها، فتجهش بالبكاء، وتتساقط الدموع على وجهها بشكلٍ مثيرٍ للشفقة. كم هي امرأة مسنّة وحزينة! إنها تكره نفسها كرهاً شديداً، أكثر من أي كرهٍ آخر شعرت به.

عندئذٍ، تسمع صوت تدفّق المياه في المرحاض وتخرج منه امرأة.

تمشي المرأة مباشرةً نحو المرآة وتغسل يدَيها في المغسلة. تبدو نحيفةً ومفتولة العضلات، وأنفها نحيف وطويل يلفت النظر لنفسه. تمنع آغاثا نفسها من الصياح، ولكنها تبقى واقفةً هناك، مرتديةً ملابسها الداخلية وهي غير واثقة مما تفعله. يسود صمت مربك بينما تغسل المرأة يدَيها.

عندئذ تقول المرأة: *إلى أين أنتِ متّجهة؟*

فتقول آغاثا وهي تتأمّل جسدها الضخم المترهّل: *إلى الساحل الجنوبي الغربي.*

تقول المرأة وهي تبتسم لآغاثا وتشد الجلد حول عينيها: *أما نحن، فإلى بيرث. نحاول الهرب فحسب.* تمد لسانها لنفسها في المرآة وتقول: *تعرفين الأمر.* ثم تعدل قميصها وتغمز لآغاثا وتخرج.

11:12: بعد أن ارتدت ملابسها مرةً أخرى، تقف آغاثا قرب منضدة مقهى المحطة وهي تحدّق إلى أصناف الطعام المقلي بتوقٍ ومعدتها تقرقر. ينظر إليها الرجل الواقف وراء المنضدة، ويقول: *أنتِ بخير؟*

فتقول: *نعم. ولكنها لا تتحرك من مكانها.*

هل تريدين شيئاً؟

نعم!

Twitter: @ketab_n

فيتنهد ويقول: *ما هو إذاً؟*

إحدى هذه! وتشير إلى فطيرة ملفوفة من نوع سبرينغ رول، ثم تشير إلى فطيرة اللحم وتقول: *وواحدة من هذه.*

يضعها الرجل في كيسٍ ورقيٍّ بنيٍّ ويمرّره إليها من فوق المنضدة، ثم يومئ لها ويقول: *الحساب ستة وخمس وعشرون، شكراً لك.*

تشعر آغاثا بجوعٍ شديد. وتفكر بأخذ الطعام والهرب. الناس يفعلون هذا، أليس كذلك؟ لا تريد أيّ شيء آخر، ولكن فمها يقول: *لا أستطيع.*

لا تستطيعين ماذا؟

تتنهد وتقول: *لا أملك...*

فيمسك الكيس ويقول: *لسنا متجراً خيرياً، يا سيدة.*

تسمع آغاثا صوتاً من خلفها يقول: *سأدفع ثمنها.* فتلتفت وترى المرأة التي قابلتها في الحمام تلوّح بعشرين دولاراً في الهواء وهي تبتسم. ثم تقترب من المنضدة وتقول: *سأدفع ثمنها.*

إنني أحاول أن أسيِّر عملي فحسب.

كن رحيماً!

أعطني المال! ويأخذ الورقة النقدية ويرمي لها الفكّة على المنضدة. ويعطي الكيس لآغاثا وهو يهزّه وينظر لها قائلاً: *هذا يوم سعدكِ، أليس كذلك؟*

تنتزع المرأة الكيس من يده وتمضي. تشير لآغاثا أن تتبعها، وتقول: *أنا كارين.* تضع الكيس على طاولة حيث يجلس أحد الرجال، وتقول: *وهذا سايمون.* وتربت كتفه بحنان.

Twitter: @ketab_n

يبدو سايمون أصغر من كارين بشكلٍ ملحوظ، وملامحه قوية وداكنة. فتفكر آغاثا في نفسها: *ابنها؟* يربّت سايمون بغزل ظهر كارين. فتفكّر آغاثا: *كلا*.

يقول سايمون لآغاثا: *مرحباً*. ويلّوح ويبتسم. فتلاحظ وجود بقايا طعام في الفراغات بين أسنانه. تسحب كارين كرسيًّا وتربت الطاولة بلطف.

تأخذ آغاثا كرسيًّا وتراقب الكيس كأنها تنتظر لترى ما سيفعله.

تقول كارين: *هل لك اسم؟*

فتقول آغاثا: *نعم*.

تبتسم كارين وتقول: *إنك من النوع الهادئ حسب ما أظن. حسناً، هيّا تناولي طعامك*.

تسأل آغاثا: *ماذا تريدين مني؟*

فتجيب كارين: *ما الذي قد أريده من امرأة لا تملك ثمن فطيرة لحم؟ وتصيح على نفسها بالمرآة؟ تناولي فطيرتك فحسب، يا سيدتي*.

وتنخز سايمون بكتفها وتقول: *يا إلهي! يا سايم*. وتربت خدَّه وتقول: *هناك كثير من الفضلات بين أسنانك*. ويكتم كلاهما ضحكة. فتقول له: *اذهب ونظّف نفسك، هلاّ تفعل؟*

ينهض سايمون ويقول: *طلباتك أوامر*. ويبتسم ابتسامةً عريضةً وينحني ويذهب.

تخرج آغاثا الفطيرة من الكيس وتضعها فوقه. ثم تأخذ بعض أدوات المائدة المصنوعة من الستانلس ستيل من وسط الطاولة، وتقطع

Twitter: @ketab_n

الفطيرة إلى مربعاتٍ صغيرةٍ وتبدأ بتناولها، كل مربعٍ على حدة. وتشعر بعينَي كارين تراقبانها.

تسأل كارين: *هل تريدين التحدُّث عمّا حدث في الحمّام.*

فتجيب آغاثا: *كلا.*

تقول كارين وهي تقترب منها: *هل أخبرك سرًّا إذًا؟*

فتقول آغاثا وفمها مليء: *كلا.*

تضحك كارين وتقرِّب كرسيّها قليلاً ثم تلتفت حول نفسها وتعاود الالتفات إلى آغاثا وتهمس لها قائلةً: *لقد فعلتِ شيئًا مريعًا، ولكنني أفكّر بتسوية كل الأمور المتعلّقة بالعاقبة الأخلاقية لأعمالي.* تغمز ثم تقول: *لأبقى بأمانٍ. جيد؟*

فتومئ آغاثا برأسها وتقول: *شكرًا لكِ،* ثم تقول: *لم تقتلي أحدًا، أليس كذلك؟*

تتحرك كارين في كرسيِّها وتقول: *كلّا، بالطبع لا!*

مخدِّرات؟

كلّا.

أسلحة؟

كلّا.

تعملين في مجال الدعارة، أليس كذلك؟

كلّا!

إلى أي حدٍّ فعلتك سيِّئة؟

سيِّئة جدًا.

حدِّديها على مقياس من عشرة.

ثمانية.

Twitter: @ketab_n

تبتلع آغاثا ريقها وتتأمّل كارين التي تضيف:

ونصف. تعصر يدَيها ثم تقول: *كلا، إنها عشرة. إنها بالتأكيد عشرة كاملة. إنني....* وتضع مرفَقيها على الطاولة وتشبك أصابعها. تنظر إلى عينَي آغاثا وتقول: *لست شخصاً صالحًا*.

تأخذ آغاثا الفطيرة الملفوفة وتقضمها بطرف فمها، وتتأمل كارين وهي تمضغ طعامها، ثم تبتلعه وتمسح فمها بالمنديل وتقول: *وأنا*... وتتنحنح وتقول بصوتٍ أعلى وأوضح: *لست صالحًا جيدًا أيضًا*.

تطلق كارين صيحةً مرتعشةً كأن كلمات آغاثا هي التي أخرجتها من فمها. تمد يدها بسرعة عبر الطاولة وتمسك بيد آغاثا، وتقول وهي تضغط عليها: *هل تظنين أنّ هناك شخصاً صالحًا؟*

تنظر آغاثا إلى اليد التي فوق يدها، وترى علامات السن ظاهرةً على سطح بشرتها. فلا تشعر بالسعادة لأن تشهد تجربة امرأةٍ أخرى لتدمير السن كما تشعر في الأحوال العادية، ولكنها لا تشعر بالحزن حيال ذلك كما تشعر حيال جسدها، بل تشعر فقط بالتواصل مع هذه المرأة كأنها آغاثا نفسها، وكأنهما شخص واحد.

تقول كارين: *حسنًا؟ هل تظنين أنّ هناك شخصاً صالحًا؟*

رون. تفكّر برون. ويظهر وجه ميلي في مخيِّلتها ويظل ماثلاً بقوةٍ أمام عينيها. وماذا عن كارل؟ هل هو صالح؟

تقول آغاثا لأنها لا تعرف كيف تجيب عن السؤال: *اسمي آغاثا*.

يأتي سايمون نحوهما، ويقول: *لقد نظّفت كل البقايا. هل بقي شيء منها؟*

تمد كارين يدها إلى يده، وتقول: *لا. هذا أفضل، يا عزيزي*. تنظر آغاثا إلى يديهما تعانق إحداهما الأخرى كأن لا أحد سواهما في

Twitter: @ketab_n

العالم. لا تستطيع أن تتخيّل وجود شخصٍ تكون على ألفةٍ معه بحيث تمسك بيده في أي وقتٍ من اليوم. تقول كارين وهي تتفقّد ساعتها: *أصغِ إليّ، يا سايم. أرجو أن تملأ السيارة بالوقود؟ من الأفضل أن ننطلق في طريقنا.*

يغمز لها ويقول: *نعم، ماما.*

ينطلق سايمون مبتعداً. فتلتفت كارين إلى آغاثا وتقول: *لقد تركت زوجي البارحة. وترك سايمون زوجته.*

تحدِّق آغاثا إليها.

لديّ أطفال. ليسوا صغاراً كثيراً، وليسوا كباراً أيضاً. لم نخبر أحداً، بل هربنا هكذا بشكلٍ مفاجئ. تمد كارين ذراعيها فوق رأسها ثم تنزلهما مرةً أخرى، وتقول: *يا إلهي! إن البوْح بما في قلبي شيء جديد. آمل أنك لا تمانعين.*

تقول آغاثا: *بل أمانع.*

تضحك كارين وتقول: *هذا منصف تماماً، على أيِّ حال. إنني أريد فقط أن أكون مع سايمون. أحب أطفالي، ولكنني أحب حياتي أيضاً. أريد حياةً خاصةً بي، وهذا كل شيء. سيتفهّم الأطفال موقفي يوماً ما.*

تقول آغاثا: *على الأرجح أنهم لن يفعلوا.*

تومئ كارين برأسها وتقول: *حسناً، من المؤكد أنني آمل أن تكوني مخطئة.*

تفكِّر آغاثا بوالدة ميلي وكيف تركت ابنتها، فتشعر بجسدها يتوهّج من الغضب. يتصاعد هذا الشعور في جسدها ويصبغ بشرتها بلونٍ أحمر. تريد أن ترى أم ميلي لتقول لها: *من تظنّين نفسكِ؟ إنها*

Twitter: @ketab_n

مجرد طفلة. وتريد أن تقول هذا الكلام لكارين الآن. تريد أن تقول لها: *من تظنين نفسكِ؟* ولكن آغاثا تقول بدلاً من ذلك: *إنها عشرة*.

تسند كارين ظهرها على كرسيِّها، وتجلس الاثنتان بصمتٍ لبضع لحظات وهما تستمعان إلى صوت آلة الصرافة، وصوت الثلاّجة وهي تنفتح وتنغلق، والناس من حولهما يتحدّثون بأصواتٍ غير مسموعة. تقول كارين أخيراً: *أصغي إليّ. هل نقلّك إلى أي مكان؟ نحن متّجهون في الاتجاه نفسه تقريباً. ويسرّنا كثيراً أن نحظى بصحبتك*.

فتقول آغاثا بحزم: *كلا. سآخذ القطار في طريق العودة. شكراً لكِ*.

*

تجلس آغاثا إلى الطاولة في محطة الخدمة وتنظر إلى المكتوب في كتاب عمرها: *أناس أحببتهم*، وعلامة الاستفهام تلك! وتتخيّل تلك النظرة التي رأتها على وجه والدة ميلي من خلال النافذة قبل بضعة شهور. *كيف تتقدم في السنّ دون أن تدع الحزن يهيمن على كلّ* شيء؟ تفكّر باللحظات التي مرت بعد وفاة رون وكيف مشت على طول الشارع ودخلت إلى بيتها. وتتذكّر الضغط الذي سيطر على جسدها وجعله على وشك الانفجار. تفكّر بالغرفة الفارغة في بيتها، وتتخيّل نفسها تدخل إلى تلك الغرفة بعد أن رأت زوجها يفارق الحياة وتجد طفلاً؛ طفلهما، جالساً في تلك الغرفة ثم تجلس إلى جواره على سريره أو سريرها (فلربما كانت فتاة). فقد سمحت لنفسها في بعض الأحيان أن تسرح بهذه التخيّلات. لقد كانت لِتقول له...

Twitter: @ketab_n

ماذا؟ ماذا كانت لِتقول؟ توفّي والدك. كيف تخبر طفلك أن هذه هي سُنَّة الحياة؟ أي أنك تعيش لتموت فقط؟ وما دمتَ على قيد الحياة، فهناك كثير من الناس الذين تعرفهم وتحبهم سيموتون؟ وأنّ أفضل شيء يمكنك فعله حقيقةً هو ألاّ تأبه لأمر أحدٍ على الإطلاق؟

تناديها كارين التي تقف في الطابور لدفع ثمن الوقود، وهي تبدو منزعجة: *آسفة، يا عزيزتي، هل تجيدين القيادة؟ هل تمانعين في نقل السيارة إلى مكانٍ آخر؟ الله وحده يعلم أين ذهب سايمون. لا بد أن المفاتيح لا تزال فيها. آسفة لإزعاجك.*

تقف آغاثا لتنظر إلى الخارج، فتجد حوالى ست سيارات أو سبع بانتظار الدور. يطلق أحد السائقين بوق سيارته بين الحين والآخر. ويعاني الرجل الواقف خلف المنضدة صعوبةً في التعامل مع نظام الكمبيوتر. فتعاود آغاثا النظر إلى كارين. عندما تضيّق آغاثا عينَيها، تبدو لها كارن شبيهةً إلى حدٍّ ما بوالدة ميلي. كيف تخبر طفلك أن الحياة تمضي على هذا النحو؟

تقول آغاثا لنفسها وهي تضع حقيبتها على كتفها: *يجب أن تجدي طريقةً ما.*

وتقول كارين بينما تمضي آغاثا نحو الأبواب الأتوماتيكية: *أرجو المعذرة؟*

فتقول آغاثا: *قلتُ إنني أجيد القيادة.*

تبتسم كارين وتقول: *آه، شكرًا، يا عزيزتي.*

تتوقّف آغاثا عندما تصل إلى الباب وتلتفت إلى كارين. ينفتح الباب من خلفها وتستطيع آغاثا أن تشعر بحرارة الجو تلسع ظهرها: *إنني آسفة جدًا.*

Twitter: @ketab_n

تلوّح كارين بذراعها لها، وتقول: *لا بأس، يا عزيزتي. بالكاد كلّفت الفطيرة شيئاً يُذكر.*

فتقول آغاثا لنفسها وهي تمضي نحو السيارة، *كلا، ليس بسبب هذا.*

تفتح آغاثا باب السيارة وتدخل. تجد المفاتيح في المشعلة فتمسك بها بين راحتيها. تحدث المفاتيح صوتاً. تشغّل السيارة. وفجأة، تتخيّل وجهها ظاهراً على ملصقٍ معلّقٍ في كل مكانٍ، مثل وجه كارل، مكتوباً تحته: *مطلوب!* ولكنها تضغط على المسرّع وتنطلق.

تفكّر بتلك السيارة المرسومة التي تلاحق السهم الأسود المتّجه نحو النُّزُل الأسترالي الكبير، وتواصل القيادة دون توقّف.

تقول لنفسها: *حسناً، هذا يرقى إلى درجة عشرة بكل تأكيد.*

12:17: تقود السيارة في الطريق الخارجي. آغاثا تقود سيارة في الطريق الخارجي في وسط الصحراء! لا تتجاوز سرعة ستين كيلومتراً في الساعة، ولكنها تواصل القيادة دون توقف. تصيح من النافذة: *إنني أقود! إنني أقود!* وتصيح لعامل نظافةٍ وهو جالسٍ ليدخن بجانب الطريق، فيصيح لها بدوره: *مرحى، يا سيدة!* ثم تصيح لامرأةٍ يبدو على سيارتها أنها معطّلة: *إنني أقود!* فتصيح المرأة قائلة: *تبًّا لك!* وتصيح للسماء وللطيور: *إنني أقود!* فلا يرد عليها أحد. بل تسمع صوت الريح التي تهبّ على وجهها.

تصيح من النافذة قائلةً: *عمل جيد، أيتها الطيور! هذا الطريق شديد السلاسة.* تمسك بالمقود بكلتا يديها وتبتسم ابتسامةً عريضةً لكل شيء تمر به. *صندوق بريد جميل! لافتات مثالية! موقع جيد،*

Twitter: @ketab_n

أيتها الأبقار! أشجار جميلة! تلك الغيمة تبتسم لي! سماء زرقاء رائعة!

تهم آغاثا بأن تعدل نظارتها فلا تجدها. فتراها بعين عقلها متروكةً على المغسلة في حمّام محطة الخدمة. تحاول ألاّ ترمش بعينَيها بل تفتحهما على وسعهما، وتسمح للهواء البارد بالدخول إليهما.

ترى لافتةً على جانب الطريق، فتوقف السيارة بجانبها. تقرأ على اللافتة: *النُّزُل الأسترالي الكبير*. وترى سهماً يشير إلى طريقٍ ترابيٍّ مستقيمٍ يبدو ممتداً بلا نهاية، فتعود إلى الخريطة.

تبتلع آغاثا ريقها وتعثر على الغماز وتشغّله وتهمس قائلة: *صوت جميل، أيها الغماز*، وتنعطف إلى اليسار.

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

بعد أن يمضي كارل وميلي سحابة يومهما وهما يقطعان الطريق إلى الجنوب عبر الصحراء، تحت أشعة الشمس المحرقة، يكاد ماؤهما أن ينفد. فيقول كارل: *حسناً، سنموت، يا ميلي.*

تقول ميلي: *كنت أحاول أن أخبرك بذلك.*

كلا، أقصد عاجلاً وليس آجلاً. أليس هذا ما أردته يا آغاثا بانثا؟ يرفع نظره إلى السماء ويقول: *هذه الجرمة!* فلا يرتدّ صدى صوته بل يتلاشى في الخواء الذي يحيط به، ثم يتذمّر قائلاً: *أكاد أموت من العطش.*

يمسك بماني وينظر بعمق إلى عينيه ويقول: *صحيح، يا ماني؟ أتفهم ما أعنيه. إنني أكره هذا المكان؛ أستراليا. أي اسم هذا؟ إنه شديد الجفاف. كل الأشياء هنا يشبه بعضها بعضاً ونهايتها إلى العدم، يا ماني.* يركل التراب ويقول: *أكره التراب. إنه مجرّد تراب. من يحبّ التراب؟ لا أحد. أكره هذه السماء. أكره الشُجَيْرات. كيف يمكن أن تعيش هنا؟* يركع على الأرض متّكئاً على ماني ليسند نفسه، ويصيح: *لا يوجد شيء هنا.* ويدفن رأسه على ساق ماني.

تقول ميلي: *أسرِعْ.*

يقف كارل ويواصل المشي قائلاً: *لن نتمكّن من الوصول إلى ميلبورن بحلول الغد.*

بل سنصل.

لن ننجح أبداً.

بل سننجح.

هذا مستحيل.

Twitter: @ketab_n

تقول ميلي: *أنت لا تعرف أيّ شيء.* وتتوقف فجأة، وتقول: *أذلك هو النُّزُل هناك؟* وتشير بيدها.

يحدّق إلى الاتجاه الذي تشير إليه ميلي ويقول: *لا تعبثي بي، يا ميلي. إنني شديد العطش. أظن أنني مصاب بنقص السوائل. أتفهمين ما أعنيه؟ هذه تُعد من المراحل الأولى للموت.*

تقول وهي ترفع الخريطة: *يوجد نزل هنا؛ ذلك الذي أخبرنا عنه قبطان كل شيء.*

حسناً، لا أستطيع رؤية أي شيء. ويضع يده على رأس ميلي ليتفقّد درجة حرارتها، ويقول: يا *إلهي! إن الحرارة تؤثّر عليكِ. لا بأس، يا ميلي. سنكون على ما يرام.* يحاول أن يرفعها ليحملها، ولكنها تقاومه.

تدفعه بعيداً عنها وتقول: *إنني بخير.*

يقول كارل: *حافظي على طاقتكِ، يا ميلي.*

تمشي ميلي متقدمةً عليه، وتقول: *قلت لك إنني بخير.*

يقول كارل: *انتظري.* يسمع صوت محرِّكٍ من بعيد. ويقول: *ما هذا؟* تلوح على بعد ميلٍ سيارة بيضاء يئز محرِّكها والتراب يتناثر من خلفها، كأنها تتزلج على بحيرةٍ حمراء. يقول كارل: *سيارة. إنها سيارة، يا ميلي. بشر!*

تبدأ السيارة تبطّئ من سرعتها ثم تتوقّف. وينجذب الغبار المستقر في المكان إليها كأنها تشهق وتزفر. عندئذ، يدرك كارل أنه ينظر إلى مبنى. يقول: *أهذا...* ويغمض عينَيه ويفتحهما مرةً أخرى. فيجد أنه لا يزال موجوداً. ينادي قائلاً: *ميلي! إنه نُزُل.* يرفع كارل ماني إلى الأعلى ويقبّله ويقول: *لقد نجونا.*

*

Twitter: @ketab_n

لم يشعر كارل بهذا القدر من السعادة لمجرّد رؤية مبنى. يبدو المبنى بنيَّ اللون ويتميّز ببهرجةٍ غير متناسقة تجعله أشبه بلعبة أطفال، أو بكومةٍ من الخردة جمعها طفل عملاق من هنا وهناك وركّبها بعضها فوق بعض. يقرأ اسم المبنى مكتوباً على اللوحة المعلّقة على السطح بأحرفٍ كبيرةٍ مستديرة: *النُّزُل الأسترالي الكبير*.

تقول ميلي: *هذا هو المكان*. وتدخل على الفور، ولكن ليس قبل أن تكتب بإصبعها على التراب: *هنا، يا أمي*.

لقد سمع كارل عن الرجال الذين يعتبرون أنفسهم زبائن دائمين في هذا النوع من الأماكن، فكلهم رجال أشدّاء سريعو الغضب، أيديهم ضخمة وعيونهم تقدح شرراً بسبب الشمس. أما كلامهم فهو عبارة عن بضعة أسماء وأفعال، وما بينها شتائم كثيرة. يتوقّع أن تكون لحظة دخوله شبيهةً بلحظات أفلام الغرب الأمريكي. فيتخيّل نفسه يدخل إلى هناك والجميع يديرون رؤوسهم لينظروا إليه، وتتوقّف الموسيقى عن العزف وتنكسر كأس في مكانٍ ما. من سيلعب دوره في الفيلم يا تُرى؟ يتذكّر فجأةً أن الممثل بول نيومان قد فارق الحياة. أليس هناك أحد يعرفه لا يزال على قيد الحياة؟ تنتابه موجة عارمة من الثقة، فيمشي بكتفين مفرودتين وظهرٍ منتصبٍ وصدرٍ عريضٍ فخور. إنها مشية رجل! يستطيع هذا النوع من الرجال أن يكشف أيّ شخصٍ محتالٍ أو مدّعٍ، ولكنه رجل حقيقي. فقد واجه الموت وهزمه. نعم، لقد خدع الموت! إنه رجل. انظروا إلى هذا الرجل! سيمشي إلى المشرب بخطوتين أو ثلاث خطوات ويسحب كرسيًّا ويجلس عليه بخشونة الرجال ويضرب بقبضة يده ويطلب، كلا لا يطلب، بل يأمر بشراب مزدوج (ترى ما الذي كان

Twitter: @ketab_n

بول نيومان ليطلبه؟) وعندئذ، ينظر الجميع إليه. فيقترب من النادل ويقول له بصوتٍ منخفضٍ مزلزلٍ، لأن من يملك القوة لا يحتاج إلى التحدّث بصوتٍ مرتفع: *اجعلها ثلاثة أضعاف*. هل سيؤدي هذا إلى حدوث دهشةٍ جماعية؟ ربما. ولكنه لن يلاحظ هذا لأنه مشغول بالتصرّف كرجل. وعندئذ، سيفرح الرجال بوجوده ويصافحونه أو يضربون أكفّهم بكفّه أو أيًّا يكنْ ما يفعلونه عادةً لتبادل التحية. وسيتحدثون عن أمور تخص الرجال كالأدوات والزراعة وكثير من الأمور الأخرى التي من المؤكد أنه سيكتشفها بمرور الوقت.

ولكن عندما يفتح الباب في حقيقة الأمر، فإنه يكتشف أنه لا يستطيع الوصول إلى المشرب بثلاث خطوات فقط.

تهمس ميلي قائلة: *كارل، لماذا تمشي بخطواتٍ واسعةٍ هكذا؟*

فيهمس لها كارل بدوره قائلاً: *ماذا؟ هل يبدو تصرّفي غبيًّا؟*

فتقول: *نعم*.

يمشي إلى المشرب بخطواتٍ ذوات طولٍ عادي. توجد لوحات أرقام من كلّ أنحاء أستراليا مصفوفةً على جدارٍ واحدٍ كأنها باحة مقبرةٍ للسجلات الميتة. وهناك أيضاً خمسة أجهزة تلفزيون من الحجم الكبير مبعثرة في أنحاء النُّزُل، وكلها تعرض المباراة نفسها. يبدو المكان مفروشاً بالسّجاد ومظلماً. سقفه منخفض والهواء فيه كامد، بينما يتطاير الغبار في دوامات في الأماكن التي يتسرّب منها ضوء الشمس.

هناك رجلان جالسان يثرثران عند البار، ولكنهما بالكاد يلاحظان دخوله. يبدو النادل مشغولاً بتلميع الكؤوس ثم يومئ برأسه باتجاهه عندما يراه، فيومئ كارل بدوره، ويفكر في نفسه: *إنه يلاحظ أنني رجل*. يسحب كرسيًّا فيصدر صوت احتكاكه بالأرض. ينظر إلى

Twitter: @ketab_n

النادل ويقول معتذراً: *آسف*. يكتسب وجهه تعبيراً جديداً عليه، وهو تعبير أنثوي بعض الشيء. ويمكنه أن يشعر بذلك، فينتابه شعور بكره نفسه. يسند كارل ماني على المشرب فيرفع الساقي حاجبيه استغراباً، بينما يذهب كارل ليجلس على كرسي المشرب. ولكنه يرتبك بسبب كل الانتباه الموجّه إليه، والضغط الذي يشعر بوطأته بسبب تصرفه كرجل، فلا ينتبه إلى الكرسيّ مطلقاً، ويسقط إلى الوراء على الأرض مباشرة، ويسقط ماني عليه. فتملأ الضجة وصداها كل أنحاء النُّزُل.

ومع ذلك، فهذا ليس أسوأ ما حدث، بل الأسوأ هو الصوت الذي يخرج من فم كارل بشكل لاإرادي كالبركان الذي تنطلق منه الغازات السامّة المتجمّعة لمئات السنين؛ صوت يصدره فقط الرجال المسنّون عندما يتم الدفع بهم إلى أقصى حدود مجالهم الجسدي. آآآآآآآه. إنه أسوأ صوتٍ صدر منه حتى أنه ليس واثقاً من قدرته على التفوّه به مرةً أخرى.

يبقى ممدّداً على الأرض لبضع ثوان متأمّلاً تلك اللحظة الصغيرة ولكن المرضية في حياته عندما ظنّ أولئك الرجال أنه واحد منهم. يدع أنف ماني يستقر على أنفه ويأخذ نَفَساً عميقاً.

يأتي صوت من الأعلى يقول: *هل أنت بخير، يا صديقي؟*

ويقول صوت آخر: *نعم، هل أنت بحاجةٍ لمساعدةٍ، يا صديقي؟*

وفجأةً، يجد نفسه جالساً عند المشرب مع رجلين (نعم، رجلين!) وهما يصفعانه على ظهره ويضحكان، ويطلبان له شراباً، ويسألانه: *ما هي قصتك؟* ويشعر كارل أنه عاجز عن محو الابتسامة عن وجهه.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

تسند ميلي ظهرها على كرسيّ كارل وتعبث بحاشية بنطال ماني الذي سنده كارل إلى المشرب. يتحدث الرجال عن لعبة كرة القدم ويحاول كارل أن ينضمّ إليهم. فتسمعه يقول: *نعم، لا ينبغي استبدال ذلك الشاب بهذا الشاب.*

تمد يدها إلى حقيبة ظهرها لتأخذ بعض الطعام، ولكن يديها تقعان على قطعةٍ من الورق موضوعةً بين ألواح الشوكولا ومكتوبٍ عليها: *قبطان كل شيء.* فتفتحها.

عزيزتي قبطان الجنائز،

في اليوم الذي غادرتِ فيه القطار، وجدنا مكالمة فائتة من هاتف أمك. وتركت لنا امرأة ما رسالة، ولكنها ليست أمك. استمعت إلى الرسالة ست عشرة مرة لأحرص على كتابتها بشكل صحيح. ووضعت كلامها ضمن دائرة لكي تعرفي أنّ الكلامَ كلامُها وليس كلامي.

"عزيزتي ميلي. أنا الخالة جودي. أين أنت، يا خبي؟ نحن نبحث عنك. إن أمك لم تكن على صواب في ما فعلته عندما رحلت. لقد أرسلتُ العم ليث إلى الغرب ليحضركِ ولكنه لم يجدكِ هناك بعد أن قطع كل تلك المسافة. أين ذهبتِ، يا حبي؟ بلّغي أيّ شرطي قصتك، وابقي في مكانك وسنأتي لنأخذك. اتفقنا، يا حبي؟ اتفقنا؟".

آسف لأنني لم أخبركِ. فقد خشيت أن أحزنكِ. يمكنك أن تستعيري أمي في بعض الأوقات إن أردتِ ذلك.

المخلص قبطان كل شيء.

بطل خارق.

الشركة الهندية.

Twitter: @ketab_n

تطوي ميلي الرسالة وتعيدها إلى الحقيبة وتضع يدها على معدتها.

وعندئذ، تسمع أحداً يقول لها: *مرحباً*.

تمد ميلي رأسها إلى الأمام، وتنظر من خلف ساق ماني. فترى فتاةً جالسةً متصالبة الساقين على أحد الكراسي. تبدو في مثل عمرها، وشعرها أسود مالس، ومربوط على هيئة ذيل حصان. مع الطفلة علبة كبريت تشعل أحد أعوادها وتراقبه وهو يشتعل.

تردّ عليها ميلي وهي تتأمّل اللهب: *مرحباً*.

تقول الفتاة بعد أن ينطفئ عود الكبريت: *من هذا؟*

فتقول ميلي: *هذا كارل*.

تقول الطفلة: *كلا، ليس هذا بل ذلك*. وتشير إلى ماني بعود الثقاب المحترق.

تتنحنح ميلي وتقول: *آه، هذا ماني. إنه ميت*.

فترفع الطفلة حاجبها وتقول: *إنه بلاستيكي*.

تقول ميلي: نعم، *إن الأجساد الميتة تتحوّل إلى بلاستيك ثم يستخدمونها في محلات بيع الملابس*. تنظر إلى أصابعها وتضيف قائلة: *هذا ما أعتقده*.

فتنظر الطفلة إليها وقتاً طويلاً ثم تقول أخيراً: *أنت غريبة الأطوار*.

تقول ميلي: *بل أنتِ الغريبة*.

تشعل الطفلة عود كبريت آخر وتقول: *عندما توفّي عمي أحرقه أبي ثم رمينا رماده في المحيط*.

فتقول ميلي بهدوء: *إنني آسفة لمصابكم*.

Twitter: @ketab_n

تقول الطفلة: إن الجثث تفوح منها رائحة كريهة، لذا يتوجّب علينا أن نحرقها. تنظر إلى ميلي وتضيف: هذا ما أعتقده.

فتقول ميلي بريبة: هذا يعتمد على الطريقة التي تفكرين بها حيال الأشياء.

فتزحف الطفلة نحو ميلي وتحدق إليها قائلةً: كلا، غير صحيح. وتشعل عود ثقاب آخر وتمسك به. فيشكّل اللهب ظلالاً تتراقص على وجهها. وتقول وهي تبتسم ابتسامةً عريضةً: هيّا نحرقه. إن كان ميتاً على أي حال.

تشعر ميلي بانقباض في معدتها، وتراقب اللهب إلى أن ينطفئ. تنظر خلفها إلى كارل الذي يضحك ويروي قصةً بصوتٍ أعمق بكثيرٍ من صوته الذي اعتادت على سماعه منه من قبل، ثم تعاود النظر إلى ماني.

تقول الطفلة وهي تميل برأسها نحو ميلي: مِمّ تخشين؟

فتقول ميلي: لا شيء. إنني لا أخشى شيئاً. ولكن هذا غير صحيح لأنها خائفة من كل شيء، وتشعر بهذا الخوف في قرارة نفسها.

الليلة التي سبقت أول يوم من أيام الانتظار

بعد أن تُوفّي والدها، راح جميع سكان البلدة يعاملونها بكل حبٍّ ويخاطبونها بعبارات مثل: *نعم، يا ميلي. يا عزيزتي المسكينة. تناولي مصّاصة.* ولكنها أدركت أنهم يتصرّفون هكذا بسبب وفاة والدها وأنهم:

1- إما مسرورون لأن آباءهم ليسوا متوفّين، ولأنهم لا يستطيعون تخيُّل فكرة وفاتهم،

2- وإما أن آباءهم متوفون أيضاً.

Twitter: @ketab_n

وهكذا، فالسيدات في متجر الطعام الصحي قدّمن لها كل المرطبانات الزجاجية التي يملكنها. والرجل في متجر الخردوات أعطاها قدر ما تريد من الشموع. وعندما سألت أمها وهي تحدّق إلى الجدار في غرفة النوم: *متى وُلِد والدي؟* لم تردّ أمها على سؤالها، فذهبت ميلي إلى السيدة التي تعمل في المكتبة لأنها تعتقد أنها أكبر الأشخاص في البلدة سنًّا. فتمكّنتا من اكتشاف ذلك من خلال البحث في كل صور المدرسة القديمة في السجلات. وعثرتا على صورةٍ لوالدها يبدو فيها وجهه أنحل وأكثر نوراً وصفاء، ولكنه والدها بشكل أكيد. وبعد أن حلّ الظلام، تسلّلت عائدةً إلى أمها ووجدتها جالسةً على الأريكة بملابس خفيفة وهي تشاهد على التلفزيون دون أن تشعل الضوء. كانت ليلةً حارةً وكانت تُعرض مباراة لرياضة الكريكت، ولكن أمها لم تكن تحب الكريكت، لذا أدركت ميلي أن أمها لا تشاهدها. ولكن أباها كان يحبها، وربما لهذا السبب شغّلت التلفزيون. أخذت المرطبانات الزجاجية ترن في داخل حقيبة ميلي، ولكن أمها لم تحرِّك ساكناً. ولم تتحرك طوال اليوم إلا حين أحضرت لها ميلي طبقاً من العنب من الثلاجة ووضعته بجانبها، فربتت رأسها، ولكن عندما مرت ميلي من أمامها في الظلام، وجدت أن العنب كله لا يزال كما هو.

وهكذا، تسلّلت ميلي خارجةً إلى الباحة الفارغة، وتسلّقت وعلقت مرطباناً زجاجياً داخله شمعة مضيئة، على كل غصنٍ من أغصانها. وعندما انتهت من عملها، وضعت بعض الشموع على الأرض أمام الشجرة ورتبتها على شكل كلمة: *بابا*. ثم صفّت الشموع المتبقية في خطٍّ طويل. فكانت تلك أطول شَرْطَةٍ شاهدتها في حياتها.

Twitter: @ketab_n

أشعلت ميلي الشموع وجلست على العشب ثم استلقت على بطنها وجعلت من يديها وسادةً تسند إليها ذقنها. تكسّر العشب من تحتها ووخز وجهها. كان صيف ذلك العام شديد الحرارة والجفاف، فظلّت الشموع على الشجرة تتمايل بلطفٍ في النسيم، وتلك التي على الأرض ترتعش. كانت النجوم تتلألأ في السماء الصافية، والآن بدا المنظر موحياً بأن هناك نجوماً أخرى معلّقة على الشجرة والأرض. شعرت ميلي أنها صنعت ليلةً مرصّعةً بالنجوم في العالم كله. ونهضت لتتجول في أنحاء سمائها متسائلة إن كان والدها يفعل الشيء نفسه في تلك السماء العالية.

هبت نسمة ريح كما حدث قبل بضعة شهور عندما كانت تحمل تلك العنكبوت الميتة بين يديها. وسمعت المرطبانات الزجاجية تصدر صوت رنين وهي تصطدم بالشجرة، وشاهدت بعض الشموع تسقط على الأرض، فتراجعت إلى الخلف عندما رأت النار تندلع في العشب. بدأت النار صغيرة ولكنها ازدادت اشتعالاً حتى بات المكان كله مشتعلاً بالنيران. وقفت ميلي هناك وهي ترى كل ذلك يحدث أمامها. وشاهدت سماء الليل المتلألئة بالنجوم تختفي. تراجعت إلى الوراء لأن الحرارة لسعت بشرتها بينما أخذ الشرر يتطاير من الحريق والمرطبانات تتكسّر وتنفجر. وهكذا، لم يعد بوسعها فعل شيء سوى الركض. عثرت على شجرةٍ في مكانٍ بعيدٍ في آخر الشارع فتسلقت عليها حتى وصلت إلى قمتها. بعد قليل، استيقظ السكان وخرجوا من بيوتهم، وشاهدتهم يحضرون دلاء الماء والخراطيم ثم وصلت سيارات الإطفاء. راقبت ميلي كل هذا من مكانها السري، ولم يعرف أحد أنها هناك. وعندما حلّ النهار مرةً أخرى، عادت

Twitter: @ketab_n

ميلي إلى البيت لأن المرء يعود إلى بيته دائماً، أليس كذلك؟ فوجدت الشرطة هناك تمسك بحقيبتها، ووجدت أمها تنظر إليها كأنها مجـــرد رسمٍ لا حياة فيه. فتألمت ميلي في أعماقها ولم تعرف كيف تعتـــذر عن فعلتها لأنها أدركت أن ذلك أسوأ فعلٍ ارتكبته في حياتها علـــى الإطلاق.

*

حسناً؟ تقول الفتاة ذات الشعر الأسود، ثم يحدث كل شـــيء بسرعة كبيرة. تشعل الفتاة عود ثقاب، فيتوهج ويشتعل ثم تقربه من قميص ماني. همّ ميلي أن تمنعها، ولكن بعد فوات الأوان، فالفتـــاة تشعل قميص ماني بالنار.

تقف ميلي وتتراجع إلى الخلف بينما تتمدّد ألسنة النار إلى أعلى قميصه، ثم تعود فتركض إليه، ولكنها لا تعرف كيف تطفئ النـــار. فتلوِّح عليها وتنفخها. وتشعر بالنار حارة قرب جلدها بينما تراقب ماني وهو يتحول كرةً نارية.

تسعل سعالاً متواصلاً وهي تقول: *آسفة، يـــا أمـــي. آســـفة، يا أمي. آسفة، يا أمي.*

Twitter: @ketab_n

كارل الطابع على الآلة الكاتبة

بينما تجلس ميلي على الأرض وهي تسعل، تنظر إلى كارل وتشعر أن قلبه يتمزّق أشلاءً. أهناك شيء أسوأ من رؤية الخوف في عينَي طفل؟ ماني يحترق. يرش النادل الماء عليه بالخرطوم وتنطفئ النار. ينتبه كارل أن هناك طفلةً أخرى. من أين أتت، بحق السماء؟ لماذا أصبح هناك عدد كبير من الفتيات الصغيرات فجأةً؟ إنها تمسك ببعض عيدان الثقاب، ولكن كارل لم يربط بين الأمرين بعد. فيركع بجوار ميلي وهي تسعل وتبكي، ويضع يده على خدها. ثم ينظر إلى الطفلة الأخرى ويقول: *ماذا فعلتِ؟* يعرف أنه لا يُفترض به الصراخ على الفتيات الصغيرات ولا سيما اللواتي لا يعرفهن، ولكن هذا ما حدث. فتبدأ الطفلة الأخرى بالبكاء أيضاً، ولكنه لا يأبه لذلك. يقول أحد الرجال: *انتظر دقيقةً، يا صديقي. هذه ابنتي.* يدرك كارل أن كلمة صديقي استُخدِمت هنا بنبرةٍ ساخرة. ويريد أن يرد بالطريقة نفسها. ترى هل استخدمها هكذا من قبل؟ هل استخدمها على الإطلاق؟ لذا، ينهض ويمشي نحو الرجل. يبدو كارل أطول قامةٍ منه، ولا بد أن هذا مهم، أليس كذلك؟ يقول: *حسناً، يا صديقي.* ويشدد نبرة صوته على كلمة صديقي، ويشعر بها مدهشةً وهي تخرج من فمه. سيفعلها مرةً أخرى إن مرّ بهذا الموقف ثانية ويقول: *لو لم تكن ابنتك مجرمة لما اضطررت لفعل هذا.*

يأتي سكوتي أو جونز أو كراشر، أو أيًّا يكن اسمه، وهو الرجل نفسه الذي كان يشرب ويضحك معه قبل لحظات، ويضع يديه حول عنقه. يحاول كارل إبعاد يديه وهو يختنق، ويتمكّن من تصويب ضربةٍ ضعيفةٍ بركبته إلى معدته. فينطوي الرجل على نفسه ويسقط

Twitter: @ketab_n

الكرسي على الأرض. يضع كارل يديه حول عنقه. لم يجرب شعور الاختناق من قبل، ولكنه يشعر بالامتنان لهذه التجربة، ويقول: *آسف، يا رجل*. ينظر سكوتي أو جونزي أو كراشر نحوه ويزمجر في وجهه. يزمجر؟ نعم، إنه بالتأكيد يزمجر ويهجم عليه. يستطيع كارل أن يخمِّن الاتجاه الصحيح ليهرب إليه، يطارده الرجل بينما هو يتحرك في أرجاء المكان متعثّراً وهو يراوغ هجماته. يضع بعض الكراسي والأطفال الصغار عقباتٍ في طريقه ويحتمي بالطاولات، ولكنه إن أراد أن يتوخى الصراحة فعلاً مع نفسه، فإن الرجل يميل للسمنة بعض الشيء. وفي لحظةٍ يسميها كارل لحظة تشتُّت ذهني، (من المؤكد أن كل رجلٍ عظيم يمر بها، أليس كذلك؟) ينسى كارل أن يراوغ، فيمسك الرجل بقميصه ويسحبه نحوه. يصطدمان أحدهما بالآخر، وتتحرك أيديهما باهتياجٍ كأنهما يحاولان أن ينقذا نفسيهما من الدفن وهما على قيد الحياة. وفجأةً، تسقط رغوة بيضاء عليهما من مكانٍ ما وتغطيهما. فيبتعدان أحدهما عن الآخر وهما يسعلان ويدمدمان بغضب. يتراجع كارل إلى الوراء وهو يمسح الرغوة عن عينيه بيديه. ويكتشف أن الجرح المندمل في راحة يده انفتح من جديدٍ خلال المعركة. ينزف الدم منه ويشعر كارل أنه مصاب بالدوار، ولكنه عندئذٍ يرفع بصره ويميِّز من خلال طبقةٍ من الرغوة والتراب الأحمر والعرق آغاثا بانثا. يبدو شعرها مشعّثاً وفوضويًّا وهي تتنفّس بصعوبةٍ حاملةً مطفأة حريقٍ وعلى وجهها تعبير همجي أخرق كأنها أحد المقاتلين في الحروب. تقدم مطفأة الحريق لهما كأنها رأس مقطوع مدمّى لمحاربٍ من أحد الجيشين ولسان حالها يقول إن الدور سيحين عليهما بعده.

Twitter: @ketab_n

تبدو مدهشةً جداً لدرجة أن كارل يعجز عن إبعاد نظره عنها.

تسأل آغاثا قائلة: *ما الذي فعلته؟*

كل شيء حدث أنساه أمر ميلي. كيف استطاع أن ينسى أمرها؟ يشير إلى الفتاة الصغيرة الأخرى المنكمشة تحت الطاولة في الزاوية البعيدة وهي لا تزال تبكي، ويقول: *اسألِيها*. أما ميلي، فلا تزال جالسةً على الأرض بجانب المشرب، وهي تبدو ضئيلة. يفكر بإيفي وبجسدها الضئيل ويتذكر ما قاله لها: *سأكون هنا دائماً، يا إيفي*. ولكن الرجل يقول: *الآن، انتظر دقيقة، يا صديقي*. ويهاجم كارل من جديد ويمسكه من خصره ويدفعه نحو الجدار. توجّه آغاثا مطفأة الحريق نحوهما مرة أخرى. فيقف كارل معتمداً على كل التوازن الذي يستطيع التوصل إليه، ثم يمسح وجهه بكمه ويقول: *لست صديقك، يا صديقي*.

تصيح آغاثا قائلة: *اخرسْ! اخرسوا جميعاً!* وتشير إلى النادل وتقول: *أنتْ! أعطني بعض الماء البارد!* يحدق النادل إليها فتقول: *حسناً؟*

يقفز النادل قليلاً في مكانه ويبحث خلف البار ثم يعطيها زجاجتين كبيرتين من الماء.

تقول آغاثا دون أن تنظر إلى كارل: *خذْهما*. فيعرف كارل أنها تتحدث إليه، لذا يأخذ زجاجتَي الماء من النادل ويبتسم له.

تنحني آغاثا على الأرض بمجهود كبير وترفع ميلي إلى كتفها. فتقول ميلي وهي تسعل: كل شيء مؤلم.

تقول آغاثا: *أعرف*. وتمشي نحو مدخل النُّزُل. ويمشي كارل جارًّا قدمَيه قبلها ويضع زجاجتَي الماء على الأرض ويفتح الباب. تتعمّد آغاثا ألاّ تنظر إليه وهي تمر به، وتخرج قبله.

Twitter: @ketab_n

يلحق بها إلى موقف السيارات ويتوقّف عندما تفتح باب السيارة، ويقول: *لمن هذه؟*

لا يبدو على آغاثا أنها سمعته. وحتى إن سمعته فعلاً، فهي تتجاهله. تضع ميلي في المقعد الخلفي وتلتفت إلى كارل وتقول ببرود: *ماء*، وتمد يدها إليه، فيعطيها الزجاجة. تأخذها منه بعنف. يشاهدها من خلال نافذة السائق وهي تضع الزجاجة على شفتي ميلي، وتقول: *اشربي، يا ميلي. سيجعلكِ هذا تشعرين بتحسُّن.*

تأخذ ميلي الماء وتشربه بشكلٍ متقطّعٍ وتغمض عينَيها.

يتذكّر كارل الخوف في عينَيها وينتابه شعور مفاجئ بالرغبة في حمايتها، فيقول: *لا بأس، يا ميلي.*

تغلق آغاثا الباب وتبدأ بضرب كارل.

فيقول وهو يحاول حماية نفسه: *ماذا؟*

كان ينبغي عليك أن تعتني بها.

تستطيعين أن تتكلّمي.

تأخذ آغاثا غصناً من الأرض، وتقترب منه والغصن مرفوع في يدها، وتبدو مستعدةً للضرب.

يقول كارل وهو يحتمي خلف شجرة: *توقّفي. يجب أن تتوقفي. توقفي الآن. أنت مريعة. هل تسمعينني؟ أنت أوقح شخص قابلته في حياتي. أراهن أن زوجك مات بسببك.*

يشعر كارل بالصدمة من نفسه، فيقول: *تُبا تُبا تُبا. لم أقصد ما قلته، يا آغاثا. لقد خرجت الكلمات مني خطأ...*

تبدأ آغاثا بالصراخ. لا تتفوّه بأي كلمات، بل بصوتٍ لا معنى له، يبدو صادراً من مكانٍ عميقٍ في داخل جوفها. يضع كارل يدَيه

Twitter: @ketab_n

على أذنيه لأن الصوت شديد الصخب، ولكن ليس هناك ما يـــردّد صداه، لذا يتلاشى في الخلاء ويختفي تماماً.

تتقدم آغاثا في طريقها نحو كارل بغضب وتقف مقابله، فيشعر بأنفاسها على عنقه. يظلان واقفَين هناك وهما ينظـــران أحـــدهما إلى الآخر بشكلٍ مباشر. ليست لديه فكرة عما تريد فعله، فيرتجف لمجرّد التفكير بذلك. لطالما كانت مجنونةً، ولكنه لم يرها هكذا من قبـــل. ولا يعرف ما هي قادرة على فعله. ترمي بغصن الشجرة من فـــوق رأسه وتمسك بمؤخِّرة عنقه بكلتا يديها. فيكاد يصرخ، ولكنها ترتمي عليه وتعانقه بكل قوّتها.

لم يكن عناقاً طويلاً بل قصير وقاسٍ وجافّ، ولكنه عناق رغم كل شيء. تبتعد آغاثا بعنف وتشبك ذراعيها وهي تنظر إليه بغضب. فيحدّق إليها وفمه مفتوح على وسعه.

تصيح آغاثا: هيّا. وتستدير وتعاود المشي بحزمٍ متوجِّهـــة نحـــو السيارة.

*

تقود آغاثا السيارة على طول طريق ترابيٍّ طويل. فيشاهد كارل التراب يمتد أمامهم كأن السيارة تطلق سُحُباً صاروخيةً وهي تـــدفع نفسها على الأرض. يلتفت وينظر إلى ميلي فيجدها مستغرقةً في النوم على جنبها، وذراع ماني التي انصهرت حديثاً تحيط بخصرها.

يشعر أن العالم شديد القسوة على ميلي ولا يعرف كيف يخفّف عنها. يتمنى أن يحملها على ظهره ويريها أشـــياءً جميلـــة. يريـــد أن يتمشّى إلى جانبها وهي تمشي على سورٍ قرميـــديٍّ، وأن يشـــير إلى

Twitter: @ketab_n

أزواجٍ كبارٍ في السن يمسك بعضهم بأيدي بعض، ويعلمها أنّ كل شيء من حولهم يعزف موسيقى جميلة، وكلّ ما عليها فعله أن تغمض عينَيها وتتخيّل النوتات الموسيقية. يودّ لها أن تعرف كم يفرح المرء حين يضع كتاباً على الرف بعد أن ينهي قراءته. ويأمل أن يجعلها تقرأ كلماتٍ جميلةً وأن يعرّفها إلى مقدار الجمال الذي يمكن لها أن تجده في صفحةٍ من الصفحات. إنه يريد أن يريها كلّ شيء جيّد. ولا يريد لها أن ترى أي شيء سيئ.

يعاود الالتفات ليوجّه المقدمة، ويقول: من أين حصلتِ على السيارة؟

فلا ترد آغاثا.

يدفع قفل الباب إلى الأسفل ثم إلى الأعلى، ثم إلى الأسفل ثم إلى الأعلى، مرةً ثانية. يفكر بعناقها له. ويتخيّل أنه أكثر شيء مثير حدث في حياته على الإطلاق. قتال في النُّزُل، وامرأة تمسك بعنقه وتعانقه أمام الجميع! ويتأمّل كيف تمسك المقود الآن كأنها تمسك به بكل قوتها، أو كأنها شخص يعرف كيف يمسك الأشياء، والطريقة التي تشاهد بها الطريق بتلكما العينين القويّتين كأنها متأهّبة لأي شيء؛ كنغرٍ أو أفعى أو معركةٍ حاسمة. ويتعجّب من عدم صراخها عندما تصدم الأرانب، ومن الطريقة التي تثبت بها أزرار بلوزتها حتى العنق.

تنظر آغاثا إليه، فيغمز لها، فتسأله: *ما خطب عينك؟*

فيجيب: *لا شيء.* ويحدّق من خلال النافذة وهو يشعر بالاهتزاز اللطيف للسيارة تحت ساقيه. يضغط وجهه على النافذة ويقول: *لا يوجد أي شيء هنا بالفعل، أليس كذلك؟*

Twitter: @ketab_n

لا ترد آغاثا على سؤاله بسرعةٍ، بل تبقي عينَيها مركّزتَين على الطريق ويديها مثبتَتين بإحكام على المقود، وتجيب قائلة: *كل شـــيء هنا*.

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

عندما تستيقظ ميلي، تجد أن السيارة توقفـــت، وأن الأبـــواب تنفتح وتنغلق.

صوت صفق باب
سنقوم فقط...
لا أكثر من...
صوت صفق باب
اتفقنا؟

يعانقها كارل، فتشعر أنّ والدها هو من يعانقها وتهمس: هـــل *حلمت به؟* يقول كارل: *مَنْ؟* فتقول ميلي: *هل اختلقته من خيـــالي؟* فهي واثقة من أنها فعلت ذلك، ولكن كارل يقول: *كلا، يا ميلـــي*، ثم يقول: *سنعود في الحال، يا ميلي*. ويغلق الباب ويســـود الظـــلام. تقول: *هل أنا ميتة؟* ولكن ليس هناك من جواب لأنهما اختفيا، ولأن الجميع دائماً يغادرون. ويبقى السؤال معلّقاً في الظلام أمامها كهيكلٍ عظميٍّ في بيت رعب. تجلس وتنظر إليهما وهما يبتعدان، وتضم ماني إليها وتغمض عينَيها بإحكام.

Twitter: @ketab_n

آغاثا وكارل

كان الوقت صباحاً حسب توقيت آغاثا الرسمي، والشمس بدأت تشرق. ذلك التوقيت الفاصل بين ليل ونهار، تحرص آغاثا ألاّ تفوّته. يسمعان صوت أمواج المحيط تضرب الجروف وهما واقفان بين الشُجَيْرات على بعد مئات الأمتار من السيارة، أحدهما بمواجهة الآخر.

يضع كارل يده على خد آغاثا. فلا يجد الشعور بذلك بغيضاً. ويصيح فجأة: *خدك ناعم جداً!*

تبتسم آغاثا وتصيح بدورها: *وملمس يدك جميل أيضاً!*

يصيح كارل: *سأضع يدي الثانية على خدّك الآخر!*

أودّ ذلك!

يقترب كارل قليلاً ويمسك بوجه آغاثا بين يديه. لا يمكنه أن يراها بوضوح لأن المكان لا يزال مظلماً، ولأن عينيه ضعيفتان ضعفاً مريعاً، ولكنه يستطيع أن يشعر بحرارتها، ويحب ملمس بشرتها على يديه. فيصيح قائلاً: *ورائحتك جميلة أيضاً!*

يقفان متقابلين، ويبدوان مصدومين كأنهما استيقظا من حلم بينما يزداد الضوء دفأً من حولهما. فيصبحان أكثر من مجرد خيال ضبابيٍّ، أحدهما في نظر الآخر. يقف كارل أمام آغاثا وهو يبدو نحيلاً جداً. فتتقدم نحوه إلى أن تصبح قريبة جداً حتى أنها تشعر بكل نَفَس يصعد ويهبط في صدره.

تجلس على الأرض بصعوبة وساقاها ممدودتان أمامها، ويجلس كارل بصعوبة مماثلة. يتقاربان ويلاحظ كل منهما التجاعيد في وجه الآخر. وتلاحظ آغاثا وجود مزيد من شعر الأذنين لديه مما كانت

Twitter: @ketab_n

تظن. ويلاحظ كارل وجود شعيرات نامية في ذقن آغاثا. ومع ذلك، يغمضان عيونهما ويتعانقان.

غزلهما ليس راقياً أو شيئاً يود المرء رؤيته. فلا شيء يبدو كما ينبغي عليه. يلطّخهما التراب الأحمر ويتوجّب عليهما أخذ استراحة لينظفاه.

تشرق الشمس وتزداد حرارةً واصفراراً. يدرك كارل وآغاثا أنه ينبغي عليهما أن يلعبا الورق ويجلسا على الكراسي بوقار ويعدّا الشاي للأحفاد، لا أن يتغازلا في الصحراء، ولكنهما يفعلان ذلك، وهذا يجعلهما كنجوم السينما. يفكّر كارل في نفسه: *أستطيع أن أؤدي دوري بنفسي في أحد الأفلام. إنني أفضل من بول نيومان، فهو ميت وأنا* حي. يشعران ببشرتيهما باردتين ومدهشتين في الهواء المنعش. هناك جمال لا يُنسى في الشعور الذي ينتابهما الآن، وكأنهما عاشا طويلاً ليستحقا هذه اللحظة الرائعة. إنه شعور كالتحليق في الهواء. لا تستطيع آغاثا الكف عن الإمساك بذراعيها لتشعر بهبوب النسيم عليهما. كم هو شعور حقيقي! ولا يستطيع كارل الكفّ عن النظر إليها. فينظر كلّ منهما إلى عينَي الآخر وقتاً طويلاً. لم تشعر آغاثا بشعور طيب حيال جسدها من قبل. و لم تدرك أنّ من الصواب أن تكون فيه، ولكنها لا تنبس بحرف. فالسعادة تعقد لسانها.

وبعد قليل، يجلسان متقابلين وهما يشعران بالتراب البارد على بشرتيهما، ويحتضن كل منهما الآخر ويتأمّلان الشمس تستعد لبداية يومٍ جديد. تقول آغاثا: *لقد أحببته. أقصد رون.*

فيجيب كارل قائلاً: *أعرف هذا.*

يستخدم كارل طرف إصبعه ليكتب على التراب المحيط بهما: *كارل وآغاثا.*

Twitter: @ketab_n

ميلي بيرد

تستيقظ ميلي وتقرص نفسها، فتكتشف أنها ليست ميتة. تنظر إلى ماني، فتجده منصهراً بالكامل وقميصه ملتصق بجسده، وتمرّر أصابعها على وجهه. تمسك حاملة علب العصير بيدها وتحدِّق إليها. ثم تمرّر أصابعها على حدود أستراليا، وتتساءل عن مكان وجودها الآن. تتخيّل ضوءاً أحمر نابضاً يشع في وجهها من حاملة العلب ولافتةً ضوئيةً مكتوباً عليها: *أنت هنا*. تخرج من السيارة وتدور حولها وهي تنادي: *كارل؟* ثم تنظر تحتها وتتسلّق السقف وتنادي: *آغاثا؟*

تبدأ الشمس تضيء كل شيء من حولها. فتكتشف أنهم ركنوا سيارتهم بجانب جرفٍ كبير. تقف عند طرف الجرف وتشعر بريحٍ قويةٍ تهب عليها فتجعل ملابسها مجعّدةً كتموجات الماء، بينما يتطاير منديلها من خلفها. تمد ذراعيها أمامها كأنها تستعد للطيران. يبدو السقوط إلى المحيط في الأسفل بعيداً جداً. فهناك مسافة شاسعة تفصل بين الجرف والمياه. وتشعر أن صوت الأمواج على الجرف والصخور يصم الآذان.

تفاجئها رؤية رجلٍ واقفٍ عند حافة الجرف على بعد خمسين متراً منها، ووجهه متجه نحو الجهة الأخرى. تلاحظ أنه يضرب عدداً من كرات الجولف في الماء. فتراقبه لبضع دقائق وتراه يرجّح المضرب مسافةً بعيدةً خلف كتفه ثم يضرب. أما الكرات، فتطير بعيداً وعالياً ثم تسقط كل تلك المسافة نحو المحيط. تتساءل عما يمكن أن يكون شعورها إذا حلّت محل تلك الكرات. وتتخيل نفسها تطير في الهواء ومنديلها يرفرف من خلف عنقها، ثم تسقط وتواصل السقوط بسرعة هائلة، فتفقد الشعور بنفسها وتغطس في المحيط وتبتلعها المياه.

Twitter: @ketab_n

تقترب من الرجل وتقول له: *ستموت يوماً ما.*

يجفل الرجل ويقفز من مكانه ثم يستدير نحوها ويقول رافعاً مضربه إلى الأعلى: تبًّا! يتفحّص المكان خلفها، ثم يقول: *هل تحطّمت سفينتك الفضائية في مكانٍ ما أم ماذا؟*

كلا، كم بقي من المسافة إلى ميلبورن؟

أين أبوك وأمك؟

كم كيلومتراً بقي؟ بالضبط؟

يا إلهي! بقي كثير جداً، يا عزيزتي. ربما حوالي 1500.

هلاّ تأخذني إلى هناك؟ يوجد شيء مهم جداً يجب أن أفعله هناك اليوم.

كلا، يا عزيزتي. فأنا ذاهب في الاتجاه الآخر.

تقول وهي تتنهّد: *حسناً.* وتستدير وتمضي مبتعدة بعد أن سئمت من الكبار ومن وعودهم، ومن حقيقة أنهم لا يفعلون أي شيء يقولونه. وتقرر أنها من المؤكد ستفعل كل شيء يتعلق بها بنفسها، لأنها الوحيدة التي تستطيع أن تضع ثقتها بها، ولأنها تدرك أنها ستفعل كل ما يدور في رأسها. إن الكلمات التي يقولها الناس تمشي في اتجاهين فقط: فهي إما أن تكون صادقة وإما كاذبة. لقد سئمت وتعبت من كل ما يجري. تدرك أن كارل وآغاثا ذهبا إلى مكانٍ ما وخلّفاها وراء ظهريهما. وتفهم أن أمها لا تريدها أن تعثر عليها، ولكنها لا تأبه لذلك بعد الآن. فهي قبطان الجنائز وسيدة نفسها.

هل أنتِ بخير، يا عزيزتي؟ أين أبوك وأمك؟

إنهما ميتان. ولكن من أين لك أن تفهم؟ فأنت مجرد رجل راشد.

Twitter: @ketab_n

تفتح باب السيارة وتجلس بجانب ماني وتقبّله على جبينه بنعومة، كما تعوّد والدها أن يفعل معها، ثم تجره خارج السيارة نحو حافة الجرف، فيخلّف جسده آثاراً على الأرض، ويلمع التراب الأحمر في ضوء الصباح. سوف تجعل ماني يطير إلى ميلبورن. نعم، ستفعل ذلك بنفسها الآن، لأن أحداً لن يفعل ذلك غيرها ولن يساعدها، ولكنها ستتحلّى بالقوة. ستمسك به تحت إحدى ذراعيها وستقفز وتطير في الهواء ككرة الجولف، ولكنها ستواصل الطيران ولن تسقط. وسيشعر كارل وآغاثا وأمها بالأسى لما فعلوه. وسيعتذرون لها جميعاً قائلين: آسفون، يا ميلي. آسفون، يا ميلي. آسفون، يا ميلي.

Twitter: @ketab_n

آغاثا وكارل وميلي

يعود كارل وآغاثا إلى السيارة كأنهما مراهقان. يصفع كارل آغاثا على ظهرها مازحاً، فتضحك بسعادة. يبدوان ملطخين بالكامل بالتراب الأحمر، وشعرهما مشعّث وفوضوي. عندما ينظر أحدهما إلى الآخر، تدرك آغاثا أن جميع النساء قد يشعرن بالغيرة منها، وهذا هو بالفعل كل ما أرادته في حياتها.

ولكن عندئذ...

يقول كارل عندما يصل إلى الباب: *ميلي!* ويستدير إلى الوراء وينادي: *ميلي!*

تقرّب آغاثا وجهها من نافذة السيارة وتقول وأنفاسها على الزجاج: *ميلي!* ثم تصيح في الجهة الأخرى: *ميلي!*

يدوران حول السيارة ويتفقّدان أسفل السيارة وأعلاها، وهما يناديان بلا توقف: *ميلي*، كأنها الكلمة الأخيرة في تعويذةٍ سحرية، ولكن لا يمكنهما العثور عليها في أي مكان. والمكان برمته مسطّح لا معالم فيه. تدور آغاثا حول نفسها وتجول ببصرها في الأنحاء على أمل أن يظهر شكل ميلي أمامها من المجهول. تخطر ببال آغاثا فكرة مفاجئة تجعل ركبتيها تخذلانها مما يجعلها تتكئ على غطاء السيارة لتسند نفسها. تقول وهي تنظر باتجاه الجرف: *لا بد أنها هناك. إنها هناك، إنه المكان الوحيد*. وتجعلها خطورة المكان هناك ترتعد من شدة الخوف.

يلاحظ كارل وجود رجل يضع مضرب جولف على كتفه ويمشي نحوهما مشيةً مسترخيةً تبدو قليلة الاحترام. فيقول كارل: *أرجو المعذرة*. ويتّجه إليه ثم يقول: *هل شاهدت طفلةً صغيرة؟* ويشير

Twitter: @ketab_n

بيده إلى جانبه ليحدد طولها. وكل ما تستطيع آغاثا سماعه في مهب الريح هو: ميلبورن وطفلة غريبة الأطوار تجر شيئاً ما نحو الجرف.

تشاهد كارل يمسك بتلابيب الرجل ويقول: *لماذا لم تمنعها؟* فيدفع الرجل كارل بيديه ويقول: *أبعد يدَيكَ عني، يا صديقي.* تأخذ آغاثا نَفَساً عميقاً وتمشي نحو حافة الجرف.

تمشي آغاثا بأقصى سرعة يسمح لها بها خوفها بينما تسمع صوت الرجلين يتصايحان من خلفها. لقد سئمت من الصراخ بل أصبحت شديدة السأم من الأصوات العالية التي تصدر من أفواه الناس ومن بينها فمها هي. يبدو المحيط شاسعاً جداً ومترامي الأطراف. وحتى لو بدت له نهاية، فهي تعرف أنه لا نهائي. توقفت على بعد أمتارٍ من الحافة وركعت على الأرض وتمددت على بطنها. قرّبت نفسها إلى الأمام وهي تشعر بالحصى تخدش ساقَيها وتبذل جهداً في المحاولة، ثم تمسك بالحافة بكلتا يديها وتسترق النظر إلى الأسفل.

نادت قائلةً: *ميلي!* ولكن صوتها بددته الريح. فنادت مراراً وتكراراً كأنها تريد أن توقظ ميلي من نومٍ عميق. تستفحّص آغاثا المحيط بحثاً عن أي دليل على وجودها، ولكن ليس هناك أي شيء. لقد قتلتها، هي من قتلت هذه الطفلة الصغيرة، والذنب ذنبها هي. نعم، ذنبها. أخذت تهيل التراب على نفسها وأجهشت بالبكاء.

ولكنها سمعت... *آغاثا؟*

رفعت آغاثا رأسها بسرعة ونظرت باتجاه مصدر الصوت. يوجد شيء ما هناك، ولكنها لا تستطيع أن تميّزه بوضوح بدون نظارتها. *ميلي؟*

Twitter: @ketab_n

يجيب شخص ما بضعف: *آغاثا*. لا بد أنه صوت ميلي، لذا تزحف آغاثا على طول حافة الجرف باتجاه الصوت. وعندئذ، تراها متمسكةً بمانٍ وواقفةً على إفريزٍ حجريٍّ ناتئ من تحت حافة الجرف، كأنه شفة سفلى بارزة تعبيراً عن الامتعاض.

تقول آغاثا: *ميلي!* ولا تعرف ما تقول غير ذلك. ما الذي تقوله؟ كيف يمكن لك حتى أن تقول أي شيء؟

ترفع ميلي نظرها إليها، فتراها تبكي. لم ترها آغاثا تبدو جامحة إلى هذا الحد. تقول ميلي: *ابتعدي، يا آغاثا. لست بحاجة لكِ. إنني بخير بمفردي.*

تقول آغاثا وهي تزحف لتقترب من الحافة أكثر: *إنني آسفة، يا ميلي*. يبدو الإفريز الحجري غير مستقرٍّ كأنه على وشك أن ينهار في أي لحظة.

كلا، غير صحيح.

تقول آغاثا: *لا تتحركي*. تنظر خلفها طلباً لمساعدة كارل، ولكنه لا يزال يتجادل مع الرجل الغريب.

تقول ميلي وهي تشيح بوجهها عنها: *لست رئيسةً لي، يا آغاثا.*

فتقول آغاثا: *كلا، لستُ كذلك.*

ستتركينني وحسب.

تنظر آغاثا إلى السيارة مرةً أخرى متمنيةً أن يأتي كارل ليساعدها. تشعرها فكرة السقوط في المحيط بالدوار. فتقول آغاثا وهي تجبر نفسها على النظر إلى الأسفل: *هذا صحيح. سأفعل هذا يوماً ما. فهذه هي الحياة، يا ميلي.* تشعر بالهواء منعشاً وبارداً، ويملأ صخب المحيط العارم أذنيها. تضيف قائلة: *ولكن طالما نحن على قيد*

Twitter: @ketab_n

الحياة، أليس لطيفاً أن نكون صديقتين؟

تقول ميلي: *سأفعل ما أريده، يا آغاثا. لا تستطيعين منعي. ولا أحد يستطيع ذلك.*

تقول آغاثا: *كلا، يا ميلي.* ولا تعود قادرةً على التفكير. فجسدها يفكّر ويتصرّف نيابةً عنها، ولكنها ستفكر بالأمر لاحقاً. أهذا ما يشعر به المرء عندما يحظى بأطفال؟ أي أنه يتصرّف بدون تفكير؟ فيعيش خارج جسده، ويسكن داخل أجسادهم وحدهم؟ تزحف آغاثا على طول الحافة وتخدش ساقيها وذراعيها، ولكنها لا تشعر بذلك لأنها تحاول أن تبقي نظرها على ميلي محاولة الإمساك بها أو الوصول إليها فقط، ولكنها بعيدة جداً. ولن تصل إليها أبداً. تركع على يدَيها وركبتَيها وتحاول أن تصيح عليها، ولكن الكلمات لا تخرج من فمها. وتشعر أن حنجرتها مسدودة. وتحدق بعجز بينما تعانق ميلي الرجل البلاستيكي الغبي وتتقدم خطوةً نحو المحيط. فتغمض آغاثا عينَيها وتكفّ عن التنفس، وتتمنّى أن تستطيع قتل نفسها بمجرد منع نفسها من التنفّس، لأنه لم يبقَ لها شيء آخر تفعله.

بعد ثوانٍ من حبسها نَفَسَها، تشعر بدفء بجانبها. تفتح آغاثا عينَيها فتجد ميلي واقفةً بجانبها وهي تنظر إلى المحيط. تنظر آغاثا وترى الرجل البلاستيكي يسقط ومنديل ميلي مربوط حول عنقه. فيبدو للحظة كأنه يطير، ثم يسقط في المحيط محدثاً طرطشةً خفيفةً ويطفو على السطح.

تجلس آغاثا وتأخذ نَفَساً عميقاً؛ نَفَساً يشهق فقط ولكنه لا يتنفّس؛ نَفَساً يأخذ كل الذرات من هذه اللحظة ويحتفظ بها في رئتيها.

Twitter: @ketab_n

تمسح ميلي عينَيها بكمِّها وتجلس بجانب آغاثا، وتقول: *ماذا تعني كلمة مهجور؟*

هناك عدد من القمم المتناثرة في المحيط كأنه صفٌّ من الطلاب يرفعون أيديهم. تسكت آغاثا للحظات. توحي كل فكرة وكل نَفَس وكل حركة بأهمية كبيرة في هذا المكان الطلق، ولكن الكلمات التي تُقال تصبح أكثر أهميةً من أيّ شيء آخر. تجيب آغاثا قائلة: *متروك*.

أو تائه؟

نوعًا ما. ولكنها لا تنظر إلى ميلي، بل تمد يدها إلى يد الطفلة وتمسكها بإحكام.

عندما يعثر عليهما كارل، يلاحظان أن قميصه ممزّق وشعره كلّه مشعّث. يساعدهما على تسلّق حافة الجرف ويعانقهما. تروي له آغاثا قصة مصير صديقه البلاستيكي، فيتظاهر كارل بعدم المبالاة. تقترح عليهما ميلي مشاركتها ملكية ساق ماني، ويبدو هذا حلاً مقبولاً عند كارل. يركبون السيارة وينطلقون في طريقهم وسط هذا المكان الطبيعي الساحر. تتأمل آغاثا بهدوء. وتضع ميلي يدها على انعكاس صورتها في النافذة. ويبتسم كارل لأنه كتب عبارة: *نحن هنا*، على طبقة الغبار المتراكمة على غطاء محرك السيارة.

بعد عشر سنوات من الآن، ستجلس آغاثا بجوار سرير كارل في المستشفى وتشاهد أيامه الأخيرة في الحياة تنقضي أمام عينيها. وستكون ميلي في بلدٍ آخر، لذا سيفوتها كل هذا، ولكنها ستعود لتحضر جنازته. وفي تأبينها لها، ستقول: *كارل هو صديقي الحميم*، وستتعمّد استخدام صيغة المضارع في كلامها. أما آغاثا، فستفارق الحياة بعد كارل بثلاثة أشهر. وستعثر عليها ميلي ميتةً على كنبتها.

Twitter: @ketab_n

وستعتقد ميلي أنها تبدو حزينة وسعيدة في آن. وفي نهايـــة المطـــاف، ستموت ميلي أيضاً كما تموت كل الكائنات مخلفةً وراءهـــا زوجـــاً سابقاً وولدين بالغين. سيأتي موتها جراء حادث مفاجئ وسريع. ولن تكوّن جملتها الأخيرة فكرةً حقيقيةً على الإطلاق...

ولكنهم في هذه اللحظة لا يعرفون كل هذا بعد.

لأن هؤلاء الثلاثة في الوقت الحاضر؛ ميلي وآغاثـــا وكـــارل، منطلقون في طريقهم للعودة أدراجهم من حيث أتوا.

*

Twitter: @ketab_n

تائهون في أستراليا

بروك دايفيز

الأسئلة هي وسائل التعليم الأكثر أهمية بالنسبة إلى الصغار، وميلي بطلة رواية تائهون في استراليا لا تختلف عن سائر الصغار. ذات يوم، وجدت الكلب رامبو ميتاً، فدوّنت اسمه في أعلى لائحة للكائنات الميتة. وما لبثت هذه اللائحة أن ضمت ثمانية وعشرين كائناً؛ من بينها والدها. وقد ترافق ذلك مع طرحها الكثير من الأسئلة على والدها. وعندما لم تقنعها أجوبته، لجأت إلى رفاقها في المدرسة الأكبر سناً منها. ذات يوم وبينما كانت برفقة أمها في السوق طلبت منها انتظارها ريثما تعود، وهناك تبدأ أيام الانتظار، ومغامرات ميلي؛ حيث تلتقي كارل الطابع على الآلة الكاتبة وآغاتا.

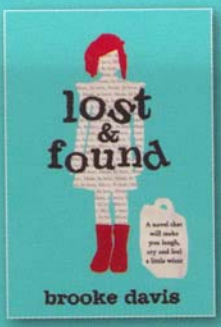

ISBN 978-614-01-1564-4

الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com - www.nwf.com